الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الحاج لخضر- باتنة 1-

كلية اللغة و الأدب العربي و الفنون

قسم اللغة و الأدب العربي

# ملامح اللسانيات الوظيفية في الخصائص لابن جني

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د في الدراسات اللغوية

تخصص: اللسانيات التطبيقية

إعداد الطالبة:

يمينة زكري

إشراف الأستاذ الدكتور:

جـــــودي مـرداسـي

أعضاء لجنة المناقشة

| الاسم و اللقب | الدرجة العلمية | الجامعة الأصلية | الصفة |
|---|---|---|---|
| أ.د.بلقاسم دفة | أستاذ التعليم العالي | باتنة 1 | رئيسا |
| أ.د.جودي مرداسي | أستاذ التعليم العالي | باتنة1 | مشرفا و مقررا |
| أ.د.زغدودة ذياب | أستاذة التعليم العالي | باتنة1 | مناقشا |
| أ.د.سليم حمدان | أستاذ محاضر – أ - | حمة لخضر-الوادي- | مناقشا |
| أ.د.صورية جغبوب | أستاذة التعليم العالي | عباس لغرور- خنشلة- | مناقشا |
| أ.د.ليلى سهل | أستاذة التعليم العالي | محمد خيضر- بسكرة- | مناقشا |

السنة الجامعية:1440-1441هـ/2019-2020م

تعد اللغة عنصرا أساسيا في تشكيل الوجود الإنساني،إذ يتم بواسطتها إدراك العالم الخارجي،وفي الآن ذاته التعبير عن العالم الداخلي لما تقدمه من دور رمزي تعبيري تواصلي رابط بين الإنسان و مثيله أو ما يكافئه على المستوى الاجتماعي، وبين الإنسان وما يحيط به في عالم الطبيعة و الواقع، فاللغة كما يذهب إليها أحد الفلاسفة ، "هي العلم الأول للإنسان"[1]، فقد أتاح بعدها الرمزي فرصة إنشاء علوم و بناء حضارات تمكن بها الإنسان من طبع نقطة تميزه و تفرده عن بقية المخلوقات و الموجودات.

ونظرا لأهمية اللغة هذه ، وما تؤديه من دور فعال في تحديد العالم المشترك للأفراد و الجماعات ، فقد عكفت ثلة من الباحثين على دراستها و الغوص في أسرارها سعيا منهم للوصول إلى القوانين التي تحكم بنيتها حتى يتم الكشف عن كنهها و طبيعتها.

انطلاقا مما سبق ، سار العلماء في بحثهم و دراستهم للغة ضمن مناح مختلفة واتجاهات متعددة،فكانت اللسانيات البنيوية التي تأسست على يد ( سوسير **Saussure**) منادية بمبدأ دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها كرد فعل على الدراسات السابقة له ، ويتم التوصل للدلالة عن طريق التقطيع والاستبدال من خلال تقابل العناصر اللغوية داخل النظام حتى تتمايز، دون الالتفات إلى ما يمكن أن يحيط به من شروط خارجية تسهم في إنتاجه، وهذا ما نحا بالبنيوية إلى إقصاء الكلام و المتكلم و السياق غير اللغوي من دائرة الدراسة باعتبارها عناصر خارجة عن اللغة.

نظرا للقصور المنهجي الذي وقعت فيه اللسانيات البنيوية في فهمها و تحليلها للغة ، ظهرت اللسانيات التوليدية مع ( تشومسكي**Chomsky** )متجاوزة ثغرات البنيوية من خلال تطبيقها لمفهومي:

---

[1] Ernst Cassirer ,La philosophie des formes symboliques , la langue ;trade.Ole Hansen,love et Jean lacoste,minuit,Paris,1972,p39

نقلا عن: الزواوي بغورة، الفلسفة و اللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطلية للطباعة و النشر، بيروت،ط،2005،ص 70

- ✓ التوليد:ويرتبط بالنحو، بحيث يمكن إنتاج عدد لا نهائي من الجمل انطلاقا من عدد محدود من القواعد.
- ✓ التحويل: خاص ببنية الجمل، إذ يسمح بعقد صلة بين البنية العميقة و البنية السطحية.

بعدها ظهرت اللسانيات الوظيفية لتقف في مواجهة البنيوية و التوليدية وما نتج عنهما من مفاهيم وإجراءات ؛ بأن تجاوزت الفصل بين النظام و الكلام من خلال صب اهتمام على كليهما، مما استدعى منها بالضرورة أخذ ما يتبع الخطاب من ملابسات أثناء تداوله واستعماله بعين الاعتبار، مستثمرة البعد التداولي للغة الذي ينص على دراسة الظواهر اللغوية ضمن سياقاتها بوصفها كلاما متداولا من قبل متكلم نحو متلق في مقام محدد ، من أجل أداء معنى و غرض معين، لتعلن بذلك معارضتها المنهجية والنظرية لسابقتيها و تستقل باتجاه بحث لساني عرف بالوظيفية.

إن المتأمل في التراث اللغوي العربي و المتصفح لتركة اللغويين من علماء العربية ممن أجرى قلمه في البحث اللغوي ،يصادف في محاولات اطلاعه وقراءته مفاهيم و مباديء تتنزل ضمن اتجاهات بحث لسانية معاصرة منها الوظيفية وإن وردت بأشكال ومصطلحات مختلفة ، فقد اهتم القدامى بالجانب الوظيفي للغة، وهو ما تكشف عنه القضايا المبثوثة في طيات مؤلفاتهم الممتدة ضمن تخصصات مختلفة ؛من نحو وبلاغة و علم أصول و غيرها من علوم العربية ، المدفوعة أصلا بتتبع سير حركة المعنى، لتتقاطع مع كثير من مباحث اللسانيات الوظيفية التي يشتغل عليها الباحثون في الوقت الحاضر إذ أولى القدامى عناية بالحدث الكلامي و مكوناته من متكلم و مستمع وما يجري بينهما من كلام داخل سياق و مقام وجبت مراعاته ، ومدى تأثير سياق الحال في توجيه الدلالة و مقاصد الكلام حتى أضحى عنصرا مميزا للتفريق بين مختلف معاني الجمل حسب ما يذهب إليه النحاة و البلاغيون.

لعل من أبرز الجهود التي جاءت في هذا السياق ما قدمه ابن جني في تحليله لنظام اللغة و كلام العرب ضمن كتابه ( الخصائص)، إذ يفترض أن فيه لفتات و إشارات لمباديء وظيفية من قبيل الدور التواصلي للغة،ومراعاة طابعها الاجتماعي، و

الدلالة الوظيفية لترتيب عناصر الجمل المكونة للكلام،ومركزية المعاني و تبعية الألفاظ لها ، إضافة إلى ارتباط دلالة الألفاظ و دقة معانيها بسياق الحال ، هذه النقاط و غيرها هي ربما مما يلتقي فيه الطرح اللساني الحديث ضمن الاتجاه الوظيفي مع التفكير اللغوي في التراث اللغوي العربي .

بناء على ما سبق وسعيا لإحداث حوار بين الدرسين ، جاء هذا البحث موسوما ب:

**"ملامح اللسانيات الوظيفية في الخصائص لابن جني "**

محاولا بناء حلقة وصل بين الحداثة و التراث، بالانطلاق مما توصل إليه التنظير اللساني من مفاهيم وإجراءات يتوسم بها دراسة اللغة من زاوية أحد ضلعيها قائم في اللسانيات المعاصرة و الآخر غائر في التراث اللغوي العربي استنطاقا و دراسة له من أجل تحديد مواضع اتفاقه و اللسانيات الوظيفية ؛برهانا و إثباتا لمراعاة التراث الجانب الوظيفي في التحليل اللغوي، ووفقا لهذا المنظور انبثقت عدة أسئلة أبرزها:

1. ماهي المنطلقات المعرفية لكل من الاتجاهين الشكلي و الوظيفي؟
2. ما أوجه التمايز القائمة بينهما؟
3. هل أدرك علماء العربية القدامى الوظيفية ؟ ما ملامحها في تراثهم؟
4. هل اكتفى ابن جني بالتحليل الشكلي للغة ،أم انه اعتمد مفاهيم وظيفية ؟
5. ما هي أبرز المواضع التي ظهر فيها التفكير الوظيفي عند ابن جني في الخصائص أو ما أهم القضايا الوظيفية المطروحة من خلاله؟
6. ما مدى إمكانية إحداث تفاعل بين النحو العربي و الاتجاه الوظيفي ؟

كونت هذه الأسئلة و غيرها إشكالية البحث ،والمصنفة ضمن إطار إعادة قراءة التراث اللغوي العربي متبنية وجهة نظر (أحمد المتوكل) القائمة على توحد المفاهيم المبثوثة في علوم اللغة العربية رغم تعددها، تفاديا للوقوع في مطب القطيعة المعرفية أو الإسقاط الذي يمكن أن يواجه قاريء التراث.

وبناء عليه وقع الاختيار على هذا الموضوع ، إضافة إلى أسباب أخرى منها:

1. الكشف عن خبايا التراث اللغوي العربي.
2. تحديد مكانة الدراسة التراثية في خريطة الدرس اللساني المعاصر.
3. الرغبة في الإطلاع على التيار الوظيفي وذلك من خلال قراءته و البحث فيه بوصفه أحدث توجه لساني تم الوصول إليه في مجال اللسانيات النظرية.
4. تعيين ملامح الفكر الوظيفي في النحو العربي، وإثبات تجاوز النحاة للدراسة الشكلية.
5. البرهنة على فرضية أن كتاب الخصائص من بين المؤلفات التي تحمل بين دفتيها مباديء و قضايا ومسائل وظيفية.

انطلاقا مما سبق قام البحث بتحديد أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها و هي في إجمالها:

1. تحديد الإطار العام للتيار الوظيفي و أهم المباديء التي يقوم عليها في مقابل التيار الشكلي.
2. تحديد اتجاهات البحث اللساني الوظيفي و معرفة أبرز نظرياته بتتبع تحركاتها و تطورها.
3. السعي نحو برهنة وجود جانب وظيفي يتجلى في قضايا و مسائل وظيفية واقعة ضمن كتاب الخصائص، من خلال تحديد ملامحها و سماتها فيه .
4. التمييز بين النحو العلمي الذي يقر بدور السياق و المقام ومختلف العناصر المكونة للحدث التخاطبي وما تقوم به تحليل اللغة بما تحويه من ظواهر، و النحو التعليمي الذي يقف عند معرفة القواعد و القوانين الشكلية.

وبناء على ما سبق، جاء البحث مكونا من أربعة فصول تتصدرها مقدمة و تتبعها خاتمة.

ففي الفصل الأول المعنون ب" **النسق اللساني من صف البنية إلى نمذجة القدرة التواصلية**"، سار فيه البحث وفق ثلاثة مباحث؛ رصد أولها تخلي الدراسات اللغوية عن التاريخية واستعاضتها بالمنهج الوصفي الذي أقره (سوسير **saussure**)، وإعلان نشأة الدرس اللساني البنيوي ، أما ثانيهما فقد خصص لمتابعة المنعطف

التوليدي وانتقال الدراسات اللسانية من وصف اللغة إلى تفسير الكفاءة و الوقوف على تطور النماذج التوليدية المقدمة لتفسير القدرة اللغوية الكامنة ، يليه ثالثهما الذي اهتم بانتقال الدراسات اللغوية من مستوى كفاءة اللغة إلى مستوى إنجازها من خلال الاشتغال على القدرة التواصلية لتتوسع دائرة البحث اللساني إذ أصبحت تشمل الحدث التخاطبي بكامل عناصره بوصفه تجسيدا للبعد التداولي للغة .

وفي الفصل الثاني المعنون ب "**مسارات الوظيفية في البحث اللساني**"، سعى إلى تحديد المعالم الرئيسة للاتجاه الوظيفي من خلال مباحث ثلاثة؛ عالج المبحث الأول المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها المنحى الوظيفي وما ينسب إليه،والتي شكلت الإطار العام و الحدود المميزة بين ماهو وظيفي و ماهو شكلي،ليأتي بعد ذلك المبحث الثاني ليفصّل القول في النظريات الوظيفية البنيوية من قبيل حلقة براغ اللغوية وجهود( أندري مارتيني **A .Martin**)في تحليل التراكيب ، ليختم الفصل بمبحث ثالث تناول النظريات الوظيفية ذات البعد التداولي مفتتحا بالوجهة الوظيفية للجملة ومنتقلا بعدها إلى النظرية السياقية مع قطبيها ( فيرث **Firth** وهاليداي **Haliday** ) ، ثم يواصل مع بقية النظريات الوظيفية حتى يصل في النهاية إلى نظرية النحو الوظيفي ونماذجها في تحليل اللغة .

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان :" **قضايا الصوتيات الوظيفية من خلال الخصائص**"، تم فيه البحث عن الجانب الوظيفي في مستواه الصوتي في مدونة الدراسة ، بتقسيم الفصل إلى مباحث ثلاثة ؛ جاء التركيز في أولها على نظرية الفونيم و نظرية السمات ومدى حضورهما في ذهن ابن جني من خلال الخصائص ،أما المبحث الثاني فقد اشتغل على الفونيمات فوق القطعية من نبر و تنغيم و غيرها من المظاهر السياقية مما ورد في مدونة البحث ، بينما عولجت مسائل التغيرات الصوتية من مماثلة و مخالفة و غيرها في المبحث الثالث من هذا الفصل.

عنون الفصل الرابع من البحث ب" **مباديء التنظير الوظيفي في الخصائص** "، والذي سعت مباحثه إلى الخوض في أهم القضايا الوظيفية التداولية التي أوردها ابن جني؛ فقد عالج المبحث الأول مسألة التواصل باعتبارها الوظيفة الأساسية للغة ، ثم

فكرة تبعية البنية للوظيفة في المبحث الثاني، ليتكفل بعدهما المبحث الثالث بدراسة السياق و دوره في تحديد المعاني ، مما يثبت الجانب الوظيفي في التفكير اللغوي العربي بوجه عام وعند ابن جني بوجه خاص.

يصل البحث بعد هذه الفصول إلى خاتمة يجمل فيها أهم نتائجه و استخلاصاته .

سعيا نحو بناء هذه الفصول و تجسيدها ، تبنى البحث المنهج الوصفي الذي تم من خلاله تتبع مسار المنعطفات اللسانية مع الاستعانة بآلية التحليل و الاستقراء حتى يتم توضيح المنحى الوظيفي الموجود في كتاب الخصائص .

ولقد أدت طبيعة الموضوع إلى لجوء البحث إلى مجموعة من المصادر و المراجع ذات الخلفيات المختلفة والمتنوعة ، بحيث جمعت الدراسة بين مؤلفات تراثية أبرزها مدونة البحث ممثلة في كتاب الخصائص وأخرى حداثية ككتاب آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، كما أنها مزجت بين كتب عربية مثل العربية معناها و مبناها و أخرى أجنبية في مصادرها نحو قواميس اللغة والموسوعات اللسانية أو تمت ترجمتها ، لتشكل كلها معا روافد ينهل منها البحث في دراسته.

رحلة البحث لم تكن بالأمر السهل الهين ، بل واجهت عقبات كثيرة؛ لعل أصعبها نقص المادة العلمية ،مضافا إليها مغامرة الخوض في النظريات الوظيفية ومحاولة حصر قضاياها في كتاب الخصائص المتسم بالتشعب مما استلزم بذل جهد ووقت كبيرين في قراءة النصوص واستقرائها و تفكيكها حتى يصل البحث إلى مبتغاه.

وفي الختام ، أتوجه بعظيم الثناء و خالص الشكر إلى الأستاذ المشرف ؛الدكتور جودي مرداسي على كل مجهوداته التي كانت خير معين في استكمال الدراسة لمحطات بحثها.

أسأل الله جل جلاله السداد و التوفيق

يسعى هذا الفصل إلى إبراز أهم تمفصلات الدرس اللساني بتشريح المفاهيم الأساسية للتنظير الألسني ;و الإجراءات الناتجة عنها ،فهي عناصر يتم بها قياس التفاوت بين النظريات اللغوية ، خاصة بعد التراكم الكبير الذي عرفته الدراسات اللغوية في القرنين الماضيين والذي أدى إلى صعوبة تصنيفها، إلا أنه يمكن ملاحظة منعطفين (مدرسة تصنيفية ومدرسة يسعى أصحابها إلى مجاوزة الوصف الصرف إلى التنظير. ويمثل هاتين المدرستين، في نظر هؤلاء المؤرخين، تياران سائدان اثنان: تيار البنيوية وتيار النحو التوليدي التحويلي)'فما هي إذن الخلفيات المعرفية و المنطلقات المنهجية و الأساليب المتبناة لكل منهما في تحليل اللغة ؟ وما جوانب النقص التي دفعت باللسانيات إلى تجاوز وصف اللغة و تفسيرها إلى محاولة نمذجتها باعتمادها مفاهيم منفتحة استقتها من النظرية الوظيفية المبنية على ركائز ذات بعد تداولي .

شكلت اللغة بما تحويه من ظواهر و معطيات موضوع علم اللسانيات باعتبارها "نظاما ذو قوالب تنتظم مكوناته المختلفة ، يتألف من إشارات صوتية اعتباطية، ويتميز بالاعتماد على بنية باطنية،وبالإبداعية، وثنائية التأليف، و النقل الثقافي"[1]، فاللغة بهذا التعريف هي نسق من الأصوات الأساسية التي أخذت تنتظم في شكل طبقي لتبرز من خلالها وحدات لغوية اكبر تتسم بقدرة التعبير الواسع والمتجدد عن المدلولات عبر الزمكان.

فاللسانيات تهتم بدراسة المعطى اللغوي علميا باعتماد الوصف و التحليل والتفسير حتى تتوصل إلى نظرية شاملة يمكن من خلالها اكتشاف مجموع الخصائص المتحكمة في النشاط اللغوي، إذ تتميز كل نظرية بطرحها الخاص المنبني على مفاهيم تتمكن بواسطتها من بناء نموذج جهازها الواصف الذي يمكنها من تحليل المعطيات وما يتصل بها من عوامل ومؤثرات ، لتسري على سيرورة الدرس اللساني حركية وانفتاح على معطيات جديدة استمدتها من المعرفة المعاصرة ساهمت في ظهور نماذج موسعة تجاوزت كلا من التركيب و الدلالة لتصل إلى التداول ،

[1] جين اشسين، اللسانيات مقدمة إلى المقدمات، تر: عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة،ط1،2016،ص62

وتحقق رصدا فعالا لكل معطيات النشاط اللغوي و بالتالي إدراك أعمق لآليات اشتغال اللغة وفهم أدق لها.

## المبحث الأول: اللغة من المنهج التاريخي إلى المنهج الوصفي:

### أولا- ما قبل المقاربة الوصفية:

مرت دراسة اللغة قبل ظهور المقاربة الوصفية التي جاء بها سوسير (**saussure** ) بعدة مناهج ، يمكن تصنيفها وفق رؤيتين هما:

أ- **العقلانية:** ترى أن اللغة عقلانية بشكل كبير إذ أنها تستند إلى منطق كلي ، وبالتالي فهي مرآة للفكر "الأساس المتصور عند جماعة بورت رويال هو العقل و الفكر الإنسانيان ، و العلاقات المتبادلة و المحكمة ل modi essendi المتعلقة بالعالم الخارجي ، و الmodi intellegendi التي بها تدرك و تفسر في العقل "[1] .

ب- **التاريخية** : تعتمد التاريخ في تفسير الظواهر اللغوية فهي تنطلق من تاريخ اللغة ككل حتى تصل إلى تفسير حالة لغوية واقعة ضمن نقطة زمنية محددة "كان علم اللغة في القرن التاسع عشر مركزا إلى حد كير على الدراسة التاريخية للغات الأوروبية ، و التي تم فيها معظم التقدم والتطوير في المنهج و النظرية...إن الاكتشاف الأوروبي للسنسكريتية كان هو المصدر الأول لهذا التطور"[2]،فقد جاءت معظم الأعمال خلال هذه الفترة في شكل بحث عن العلاقات التاريخية القائمة بين اللغات ، نتج عنها علم اللغة التاريخي و علم اللغة المقارن باعتماد أسلوب التأثيل .

تتبع سوسير (**saussure** ) مسيرة منجزات التفكير اللغوي لمن سبقوه تاريخيا من العلماء ، إذ أخذ بتشريحها وإبراز النقائص و الثغرات التي تم الوقوع فيها من خلال تحديد مادة البحث و موضوعه ،ثم المنهج المتبع في تحليل الظواهر موضوع البحث ليصل في النهاية إلى قيمة البحث ممثلا في النتائج التي يتوصل إليها ، وهو ما نجده

[1] ر.هـ.روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب،تر: أحمد عوض،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة و الفنون، ع 227،1997،ص 183-184

[2] نفسه،ص 246

في الفصل الأول من كتابه تحت عنوان : "نظرة سريعة إلى تاريخ علم اللغة"[1]، سعيا منه للإجابة عن مسألة قيمة التيارات السابقة قبل تقديم رؤية مناسبة لدراسة اللغة ، ابتدأها بالنحو اليوناني لينتقل بعدها إلى ما تلاه من مقاربات حاولت دراسة اللغة .

أ- **القواعد Grammar**:شكلت القواعد وهي عمدة النحو التقليدي نقطة انطلاق النقد بقول سوسير "إن هذه الدراسة التي بدأها الإغريق و أخذها عنهم الفرنسيون اعتمدت على علم المنطق،وهي تفتقد إلى النظرة العلمية ولا ترتبط باللغة نفسها وليس لها من هدف سوى وضع القواعد التي تميز بين الصيغ الصحيحة، وغير الصحيحة، فهي دراسة معيارية، تبتعد كثيرا عن الملاحظة الصحيحة للحقائق، ومجالها محدود ضيق"[2]،سارت القواعد وفق منهجية مجانبة للصواب، فقد انطلقت مما يجب أن تكون عليه اللغة بدلا من ملاحظة اللغة كما هي واقعا، و الملاحظة هي أولى مراحل بناء القانون العلمي كما يقول (**راسل** )"إننا لكي نصل إلى قانون علمي يجب أن نمر بثلاث مراحل رئيسة:الأولى ملاحظة الحقائق ذات الدلالة،والثانية الوصول إلى فرض يفسر هذه الحقائق ، و الثالثة أن نستنبط من هذا الفرض بطريقة القياس نتائج يمكن اختبارها بالملاحظة"[3].

إن الملاحظة تلعب دورا كبيرا في بنية المنهج العلمي و عملية تحليله للظواهر من خلال "رصد ما نلاحظه من الأشياء، والوقائع و الظواهر، وما ندركه بينها من علاقات متبادلة، و تصنيفها و تصنيف خصائصها، و ترتيبها و اكتشاف الارتباط بينها،أنه كشف دلالات المعطيات الحسية بالاعتماد على الملاحظة و التجربة و دراسة ما بينهما من علاقات متبادلة "[4].

أدى تغييب الملاحظة إلى اعتماد القواعد على الجانب المكتوب دون المنطوق ، مع الاكتفاء بالمستوى التركيبي وإهمال دراسة الكلمة في مستواها الانفرادي كما يؤكد

---

[1] فردينان دوسوسور، علم اللغة العام،تر: يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية،العراق،1985،ص 19، وعنوان نسخته الأصلية هو: cours de linguistique générale

[2] نفسه،ص19

[3] برتراند راسل،النظرية العلمية،تر:عثمان نويه،المدى للطباعة والنشر،سوريا،ط1،2008،ص51

[4] عبد الله غزلان، اللسانيات و تعليم اللغة العربية وتعلمها، سلسلة ندوات منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط،رقم 14،ص 77

سوسير"فالنحو التقليدي يجهل أجزاء كاملة من اللغة. كصياغة الكلمات مثلا: وهو معياري يتخذ لنفسه دور فرض القواعد، وليس تسجيل الحقائق، وهو يفتقر إلى نظرة عامة شاملة،وكثيرا ما يعجز هذا النحو عن الفصل بين الكلمة المكتوبة و الكلمة المنطوقة"[1]، ثم أن توظيف المنطق لم يكن بالشيء الجديد لأنه من مميزات الذهنية اليونانية التي راحت تسقط هذا النمط من التفكير الفلسفي على اللغة إذ"...اعتبر كتاب اللغة من الإغريق الجملة حكما منطقيا ، واعتبروا طرفي الإسناد النحوي بنفس الطريقة التي اعتبروا بها الموضوع والمحمول في المنطق"[2].

أصبح الهدف من النحو التقليدي هو بناء مجموعة من القواعد و تطبيقها كنظام غربلة للصواب اللغوي في مستواه التركيبي ، نظرا لافتقارها لآليات تمكنها من تحليل معطيات اللغة في شكليها المكتوب و المنطوق معا ممثلين في بقية المستويات اللغوية ، وهنا يكمن جوهر الفرق بين اللسانيات و القواعد: "إن علم اللسانيات يتميز بأنه وصفي descriptive، لا معياري presprective. فعلماء اللسانيات يعنون بدراسة ما يقال ،لا بما يحسبون أنه يجب أن يقال، إنهم يصفون اللغة من كل جوانبها، دون أن يفرضوا قواعد للصواب اللغوي correctness "[3].

ب- **الفيلولوجيا philology** : لم يتوقف النقد عند النحو التقليدي بل انه طال أيضا علم فقه اللغة،فنجد سوسير في هذا الشأن يصرح قائلا: " ...فقد اهتم علماء فقه اللغة بتصحيح النصوص المكتوبة وشرحها، والتعليق عليها، كما شجعت هذه الدراسة أصحابها على الاهتمام بالتاريخ الأدبي، وبالعادات و التقاليد ، و النظم الاجتماعية وغيرها، وقد استخدم هؤلاء العلماء أساليب النقد في دراستهم وكان هدفهم، من دراسة المسائل اللغوية،مقارنة النصوص، التي كتبت في فترات زمنية مختلفة ، لمعرفة اللغة التي يختص بها كل مؤلف من مؤلفي هذه النصوص،ولحل رموز بعض اللغات القديمة

[1] سوسير ، علم اللغة العام ،ص101
[2] تمام حسان،مناهج البحث في اللغة،مكتبة الانجلو المصرية للنشر،مصر،دط،1990،ص 14
[3] جين اشسين، اللسانيات مقدمة إلى المقدمات،ص 34

الغامضة و تفسيرها "[1]، يكمن اعتراض سوسير على فقه اللغة في الجزئية وعدم تحقيق الشمول الذي يتجلى في مستوى جمع المادة اللغوية من خلال الاكتفاء بالنصوص المكتوبة فقط ،وهي في الحقيقة نصوص أنتجت بلغة لها أبعاد زمنية محددة ممثلة في اللغتين اللاتينية القديمة و الإغريقية مما يضيق من مساحة البحث اللغوي في مادته و بعده الزمني لأن الفيلولوجيا تتكئ بشكل كبير على فكرة قدم النص وتاريخيته، وهو ما انعكس بشكل مباشر في آليات التحليل ، فهو يعتمد على عناصر خارجة عن بنية اللغة التي تتكون منها مدونة البحث ، كالعادات و التقاليد وغيرها مما يخدم تفسير النص و شرحه بهدف فك شفرات نص قديم أو تحديد أسلوب كتابته، وهي أهداف تقع خارج نطاق علم اللغة لأنها تتخذ اللغة وسيلة لا غاية في ذاتها، بينما تتحدد مهمة الباحث اللغوي في الأصل بدراسة النمط حسب ما يصرح به روبير مارتان (**robert martin**) بقوله: "إن ما يبحث عنه اللساني هو النمط؛أي العناصر اللسانية التي تتجسم في صورة تواردات فيما ننتجه من الخطابات،...بينما اكتفت فقه اللغة بالتواردات فقط "[2].

ج-**علم اللغة التاريخي و المقارن Historical and comparative linguistics**: يواصل سوسير سعيه حثيثا بحيث توقف عند (ويليام جونز - **William Jones** ) وثلة من علماء اللغة المقارنين ، بتثمين جهودهم في توظيف واستخدام المقارنة كمنهج في تحليل اللغات، وتأسيسهم بذلك لعلم اللغة المقارن كفرع معرفي عاد بنتائج أبرزها اكتشاف علاقة القرابة بين اللغات و تحديد الفصائل و الأسر اللغوية ، ومع ذلك فقد اخفق هذا المنهج في التأسيس لعلم اللغة ،بحيث غيب معنى المقارنات الممارسة و العلاقات المكتشفة بين اللغات،وهو ما أفصح عنه سوسير من خلال قوله : " إن مدرسة علم اللغة المقارن ، التي يعود إليها الفضل-لاشك – في اكتشاف فرع جديد مثمر من فروع المعرفة، لم تفلح في إنشاء علم اللغة الحقيقي لكونها أهملت

[1] سوسير، علم اللغة العام،ص19

[2] روبير مارتان،مدخل لفهم اللسانيات،تر: عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة،بيروت ،لبنان،ط1،2007،ص 33، بتصرف

البحث في طبيعة الموضوع الذي تدرسه، وهذه خطوة أساسية بدونها لا يستطيع أي علم من العلوم أن يجد له أسلوبا في الدراسة"[1].

ومجمل القول أن سوسير يقف معترضا على الدراسات السابقة له من ناحيتين:

1. تبني العلماء السابقين لأساليب منبثقة من نظريات خارج التفكير اللغوي و محاولة تطبيقها على اللغة، مما انجر عليه تشتت اللغة وتمزقها بين العلوم لأن ذلك " يفتح الباب بين عدد من العلوم؛كعلم النفس وعلم المجتمعات البشرية، و النحو المعياري، وفقه اللغة وغيرها. وكل هذه العلوم تتميز عن علم اللغة، ولكنها قد تدعي أن اللسان أحد أهدافها، وذلك بسبب الأسلوب غير الصحيح الذي يستخدم في علم اللغة "[2].
2. النظرة التاريخية للغة و مفادها انه يمكن تفسير حاضر لغة ما من خلال العودة إلى تاريخها،إلا أنها لا تتعدى توضيح أن ظاهرة (ظ2) ناتجة عن ظاهرة قبلها (ظ1) أقدم منها زمانيا ، ولا تتوقف على تحديد كنه الظاهرة في ذاتها و البحث عن تفسيرها لأنه "إذا أمكن للسانيات التاريخية ...أن تضع تفسيرا نظاميا تطوريا لهذا الجزء أو ذاك من التاريخ، فإنها لا تقول في شأن نقطة الانطلاق سوى أنها متولدة من نقطة أخرى سابقة لها، فهي بانتقالها من حالة إلى ما قبلها تكون لا نهائية، بل تضع آخر الأمر في غياهب الزمن"[3].

بعد أن حلل سوسير المناهج التي سبقته في دراسة اللغة ، ووصل إلى أهم المطبات التي وقعت فيها وعرقلتها عن تقديم دراسة علمية لظاهرة اللغة ، قدم مشروعه الذي عرف باللسانيات الوصفية وهي محطة البحث الآتية.

[1] سوسير ،علم اللغة العام،ص 21
[2] السابق، ص 27
[3] روبير مارتان،مدخل لفهم اللسانيات،ص64

**ثانيا: المقاربة الوصفية للغة و عملية التنظير للسانيات :**

قدم سوسير من خلا ل نظرته السريعة إلى تاريخ علم اللغة مسحا شاملا أبرز من خلاله أهم نقاط الضعف التي مست كلا من منهج الدراسة الممارس من طرف علماء اللغة أو طبيعة المادة موضوع البحث والتنقيب، و توصل إلى أن الإشكالية الرئيسة ، هي في حقيقة الأمر كامنة في عدم استقلال اللغة بعلم خاص له حدوده المعرفية و إجراءاته المفهومية وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها "إن سوسير اضطر إلى التفكير في شروط لسانيات عامة، نظرا إلى عدم رضاه عن المناهج و المفاهيم المستخدمة في النحو المقارن للغات الهندية الأوروبية، هذا الاتجاه في البحث هو الذي يفسر كل منهجيته "[1]، وهي منهجية برزت من خلال نمط مختلف في تحليل وقائع و ظواهر اللغة أدت إلى قطيعة معرفية لأن سوسير أخذ ببناء نظريته بعيدا عن اللسانيات المقارنة ، من خلال تطبيقه للمنهج الاستقرائي في البحث الألسني " يقوم المنهج الألسني على سلسلة من العمليات و الخطوات الأساسية لدراسة موضوعه منها: ملاحظة الأحداث والمعطيات اللغوية و رصد تشابهاتها الجزئية، و صياغة بعض التعليمات بهذه الأحداث المتماثلة و المتشابهة بقصد إحداث بعض التعديلات في الوقائع التي تمت ملاحظتها .وعلى أساسها يتم التقدم ببعض الفرضيات لتفسير هذه الأحداث، وهي مرحلة الفرض، ثم محاولة التأكد من ملاءمة هذه الافتراضات للواقع اللغوي، وذلك من خلال القيام بملاحظات جديدة، وهذه هي مرحلة التجربة، ثم تليها مرحلة بناء النظرية القائمة على هذه الافتراضات التي تفسر عمل اللغة بصورة عامة"[2].

يمكن القول بأن اللسانيات تتبنى منهج التجريد الذي تعتمده العلوم الطبيعية فهي تجعل من الواقع نقطة بداية بملاحظته بدقة و موضوعية لتجمع المادة اللغوية وتصفها وتصيغ لها فرضيات تفحص صحتها من عدمه بالتجربة ، فإن صدقت

[1] لويك دوبيكير، فهم فرديناند دوسوسير وفقا لمخطوطاته- مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات- تر: ريمة بركة، مراجعة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان،ط1،2015،ص34

[2] ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، المباديء و الأعلام، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،ط2،1985،ص143

على العام و الخاص كان بمثابة القانون العام اي نظرية قابلة للتطبيق على جميع اللغات ، وفي حالة عدم صحتها يتم التخلي عنها ، وبذلك تتضح أولى مهام الباحث اللساني ، وهي " المعاينة و الوصف ، لما كان ما يدرسه شيئا من أشياء الكون يوجد قبل التصدي لفحصه،فإن هذا الشيء قابل بمقتضى طبيعته لمعالجة اختبارية"[1]، وهو ما يظهر تأثير المذهب الأمبريقي و الفلسفة التجريبية بوضوح في رؤية سوسير، من خلال اعتماده في بناء مفاهيم نظريته على ملاحظة الحدث أو التجربة التي يصل بها إلى نتائج علمية تمكنه من وصف العلاقة أو العلاقات القائمة بين متغيرات تم استقراؤها، فكيف استثمر سوسير هذه الإجراءات في تشكيل نواة التيار البنيوي في البحث اللساني ؟

**أ- اللغة موضوعا لعلم اللسانيات:**

لابد في البداية من تحديد طبيعة مادة و موضوع اللسانيات، أما المادة فهي كما يراها سوسير"تضم جميع مظاهر الكلام عند الإنسان ،سواء أكان ذلك في المجتمعات البدائية أوالمتمدنة،وفي الفترات الكلاسيكية أو الفترات المتأخرة ، ولا ينبغي للغوي أن يدرس في كل فترة من الفترات اللسان الصحيح و اللغة المنسقة حسب، بل جميع أنواع التعبيرات الأخرى أيضا،يضاف إلى كل ذلك شيء آخر وهو طالما أن اللغوي لا يستطيع أن يلاحظ اللسان مباشرة في اغلب الأحيان،فعليه أن يدرس النصوص المكتوبة ، فهو لا يستطيع التوصل إلى التعبيرات التي تبتعد عنه من حيث الزمان أو المكان إلا من خلال هذه النصوص"[2].

بهكذا تحديد يلاحظ سعة المادة و تشعبها واتسامها بالشمول نتيجة لتوسع حيزها المكاني والزماني من الناحية الخارجية ، إذ أنها تهتم باللغة حية كانت أو ميتة ، و ضمها لشقي اللغة المنطوق والمكتوب بكافة مستوياتها الاستعمالية فصيحا أو لهجة من الناحية الداخلية، فهي " تسري على جميع أمثلة الظاهرة التي يبحثها العلم، ولا

[1] روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ص 27
[2] سوسير ،علم اللغة العام ، ص 24

شان لها بالظاهرة في صورتها الفردية،"[1]، وهو بذلك يهدف إلى توسيع نطاق مجال البحث اللغوي ، باعتبار الشمول احد سمات التفكير العلمي ، و كذا الانطلاق من الملاحظة مما يضفي طابعا علميا ويعمل تلقائيا على اتصاف النظرية بالعموم وإخراجها من الدائرة الضيقة التي تقتصر في دراستها على عنصر دون آخر ، سواء من الناحية الزمنية كفقه اللغة وفقه اللغة المقارن ، أو بشكل لغوي دون آخر كالنحو التقليدي .

فالغاية الأولى لسوسير هي تأسيس نظرية قائمة على قواعد علمية موضوعية تمنحها القدرة على تحليل معطيات اللغة بشكل دقيق ومفيد " إن اللسانيات ستصبح نافعة إذا ما قدمت أدوات للملاحظة شاملة بما يكفي، ودقيقة بحيث يستعملها جميع من لهم اهتمام باللغة، ..."[2]، إلا أنه في الوقت ذاته عاد على المنهج بصفة الغموض وعدم الانسجام، لتنوع المادة وعدم وجود وحدة أو ترابط بين أجزائها ، لأنه كما يقول سوسير " إذا درسنا اللسان من وجهات نظر عديدة مختلفة ، في آن واحد، ظهر لنا علم اللغة ، كأنه شيء مرتبك ، غير متجانس،يتكون من أشياء غير مرتبطة بعضها ببعض..."[3].

إن اللسان هو تعبير عن الملكة البشرية و قدرتها على إنتاج اللغة في بعدها الإنساني، وهذا يعني تكاتف مختلف العوامل النفسية و الاجتماعية و العقلية في إبراز هذه الملكة" اللسان متعدد الجوانب وغير متجانس،؛يشتمل على عدة جوانب في آن واحد..واللسان ملك للفرد و المجتمع لا يمكن أن نصنفه...لأننا لا نستطيع أن نكشف عن وحدته"[4]،لذلك يجب إعادة ترتيب معطيات اللسان و تصنيفها بحيث يتسنى إيجاد القاسم المشترك بين أجزائها و بالتالي تعيين العوامل الثابتة و المتغيرة بحيث تم تحديد اللغة كموضوع للسانيات "...إن لجميع هذه الصعوبات حلا واحدا فقط، وهو أن نضع كلتا قدمينا، من البداية،على ارض اللغة، ونستخدم اللغة مقياسا لجميع مظاهر

[1] فؤاد زكريا،التفكير العلمي،مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت ،ع3، 1978،ص37

[2] ماري آن بافو، جورج أليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى : من النحو المقارن إلى الذرائعية ،ص108

[3] سوسير ، علم اللغة العام، ص 27

[4] السابق،ص 27

اللسان، فاللغة وحدها...يمكن أن تخضع على ما يبدو لتعريف مستقل قائم بذاته ،..."[1].

فاللغة وفقا لما يحدده سوسير جزء من اللسان ، إلا أنها تختلف عنه بوصفها تواضعا ناتجا عن مؤسسة اجتماعية بغرض التواصل " اللغة جزء محدد من اللسان،...اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة"[2]، إن خاصية الاستقلال التي تتمتع بها اللغة و الناتجة أساسا من بنيتها الداخلية باعتبارها نظاما ، سمح لها بالتموضع كوحدة لقياس مختلف مظاهر اللسان ، إذ أن "اللغة...لها كيان موحد قائم بذاته، فهي تخضع للتصنيف، وتحتل المركز الأول بين عناصر اللسان، وهذا التصنيف يضفي نظاما طبيعيا على كتلة غير متجانسة اللسان"[3].

ومع تحديد موضوع اللسانيات باللجوء إلى المنهج العلمي القائم على الوصف و التصنيف ، تصبح اللغة في مقابل اللسان بالضرورة مادة اللسانيات و موضوعها بوصفها "نظام من الإشارات system of signs التي تعبر عن الأفكار "[4] ،و كل ما هو خاضع للنظام يستلزم وجود قانون يحكمه و بالتالي يمنح قدرة للعلم على استنباطه و التحكم فيه "يكون هدف اللسانيات تفحص القوانين العامة للغة، ومن أجل ذلك يجب الانطلاق من الوقائع ،إذ لايمكن استنتا ج القوانين العامة للغة إلا من أشكالها الخاصة أي من الألسنة ، ومن المراقبة التي يمكن أن نقوم بها "[5]، وتتحدد بذلك وظيفة اللساني في استنباط قوانين كلية تعمل على وصف اللغة بالانطلاق من ملاحظته لتحققاتها البارزة ضمن الجماعات اللغوية المختلفة ممثلة في اللغات البشرية ، كالعربية و الفرنسية و الانجليزية ، ...الخ، مما يرسم حدودا لمجال اللسانيات وهدفها،يقول سوسير" أما مجال علم اللغة فيجب أن يشمل على :

[1] سوسير،علم الغة العام،ص27
[2]نفسه،ص 27
[3] نفسه،،ص27
[4] نفسه ،ص 34
[5] لويك دوبيكير، فهم فرديناند دوسوسير وفقا لمخطوطاته- مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات-ص54

1. وصف تاريخ جميع اللغات المعروفة، ويعني ذلك تتبع تاريخ الأسر اللغوية و إعادة بناء اللغة الأم لكل أسرة، على قدر المستطاع.
2. تحديد القوى التي تعمل بصورة دائمة و عامة في جميع اللغات، واستنتاج القواعد العامة.
3. تحديد معالمه و طبيعته".

يمثل تحديد اللسانيات لذاتها نقطة أساسية في بناء سوسير ، ويبرز بشكل كبير من خلال تعيين مادة اللسانيات و موضوعها من ضمن معطيات اللسان المختلفة والتي تقع في نقطة تقاطع العلوم الأخرى،ويعتبر كل من الوصف و التصنيف المستمدين من خاصية النظام عاملين في تحديد موضوع اللسانيات وهو (اللغة ) مما يعلن عن استقلال اللسانيات كعلم قائم بذاته يتمتع بإطار معرفي خاص به يسعى إلى دراسة اللغة في حد ذاتها ومن أجل ذاتها ، وفي ذلك يقول **(صابر لحباشة)** : "إن الناظر في تطور العلوم اللسانية الحديثة،يقف على انتقالها من طور كانت فيه عالة على المقاربات الكلاسيكية التي تعود، إما إلى النحو و البلاغة التقليديين، وإما إلى القول الفلسفي في الشأن اللغوي.ولم ينتظم المنوال اللساني مستقلا بمنهجه وموضوعه بصفة رسمية إلا مع فرديناند دي سوسير"[1].

**ب- المفاهيم و الإجراءات:**

1-**اللغة نظام( system)**: وهو مفهوم مرتبط بشكل اللغة وهيأتها بما يحدد طبيعتها، و بالتالي الفصل بين ما هو داخلي مرتبط بها و بين ما هو خارجي عنها "اللغة نظام له ترتيب خاص به،ويمكن توضيح ذلك بتشبيه النظام اللغوي بالشطرنج،...كل شيء يحدث تغييرا في النظام بأي أسلوب كان إنما هو داخلي "[2]،يمكن القول بأن ( اللغة نظام ) هي السمة الفارقة في نظرية سوسير ، بحث دعت بشكل غير مباشر إلى التركيز على علاقة عناصر النظام فيما بينها دون الاهتمام بقيمة العناصر في ذاتها" ...نظام كل عناصره متماسكة،

[1] صابر لحباشة، اللغة و المعرفة،رؤية جديدة، صفحات للدراسات و النشر،دمشق،سوريا،ط1،2008،ص7
[2] سوسير ، علم اللغة العام ، ص 41

أي فيه يقتضي كل شيء الآخر بشكل متبادل، فيه كل عنصر يتحدد من خلال موقعه في الشبكة الكلية للعلاقات"[1].

2- **البنية (structure)**: انبثقت عن النظام فكرة البنية بوصفها (مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة " تقابل خصائص العناصر " تبقى أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية،)[2]، فهي تهتم بشكل مباشر بالكشف عن العلاقات الداخلية التي تربط بين مختلف عناصر النظام، وهو ما تذهب إليه في تحليلها للغة " اللغة نظام من العلاقات يرتبط بعضها ببعض على نحو تكون فيه القيم الخاصة بكل علامة بشروط على جهة التبادل بقيم العلامات الأخرى "[3] ، وظهر بذلك عصر جديد عرف ب (اللسانيات البنيوية )، بينما أفضى التفكير في العلاقات التي يقوم عليها بناء اللغة و نظامها إلى الكشف عن بناء الجملة وفق محورين ، عمودي يمثل كل العناصر الموجودة في الذاكرة و القابلة للتموضع مقابل العناصر الحاضرة فعلا في الجملة ضمن المحور الأفقي، وبرز بذلك كل من التقطيع و الاستبدال كإجراءين يقوم عليهما التحليل البنيوي للغة.

3- **الآنية و التطورية ( Diachronic-Sychronic)**: لم يتم التمييز بينهما إلا بعد تحديد سوسير (اللغة) كموضوع لدراسته ، واختيارها من بين تنوعات أخرى للمعطى اللغوي هي : اللسان و الكلام ، يقول **(سوسير)** " سيكون اهتمامي علم اللغة فقط دون علم لغة الكلام "[4]، بما أنه يسعى إلى الوصف و التصنيف فهذا يدعوه بالضرورة إلى تجاوز التاريخية و التطورية من خلال تثبيت الظاهرة اللغوية في نقطة زمنية معينة (ن) حتى يتمكن من تصنيفها ووصفها من حيث تكوينها وماهيتها الداخلية، فميز بذلك بين منهجين آنيSynchronic و تطوري Diachronic بحيث "يتناول علم

[1] بريجيته بارتشيت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي،تر: سعيد حسن بحيري، المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط 1،2004،ص 110

[2] جان بياجيه، البنيوية، تر: عارف منيمنة،بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، باريس،ط4،1985،ص8

[3] ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني،تر:سعد مصلوح،وفاء كامل،المجلس الأعلى لثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،ط،2000،ص 218

[4] سوسير، علم اللغة العام،ص 38

اللغة التزامني العلاقات المنطقية والسيكولوجية التي تربط بين العناصر المتزامنة وتكون نظاما في العقل الجماعي للمتكلمين، أما علم اللغة الزمني فيدرس العلاقات التي تربط بين العناصر التي تتعاقب زمنيا ولا يدركها العقل الجماعي"[1].

يعد هذا التمييز فتحا في مجال دراسة اللغة يروم سوسير من خلاله إلى تحقيق دقة في تحليل المعطيات باعتماده على الآنية نظرا لعجز التاريخية على الوصول إليها نتيجة لاعتمادها على التطور مما يوقعهافي عدم الإحاطة بكل الدقائق بسبب اتساع المدى الزمني"لا يدرس علم اللغة الدياكروني Diachronic العلاقات بين العناصر الموجودة في حالة لغوية، بل العلاقات بين عناصر متعاقبة يحل كل عنصر منها محل العنصر الآخر بمرور الزمن"[2].

عرفت أفكار سوسير تحركا سريعا في البعد الزمكاني بحيث تلقفها الباحثون الأوروبيون على فترات زمنية مختلفة مشكلة بذلك مدارس في البحث اللساني تنضوي كلها تحت التيار البنيوي تحمل في طياتها مباديء التفكير البنيوي " اللسانيات البنيوية...لا تشير بالضرورة إلى فرع مستقل ، أو مدرسة بعينها في علم اللسانيات، فكل اتجاهات هذا العلم منذ جهود سوسير توصف بأنها بنيوية، من حيث أن البنيوية لا تدل في هذا التوظيف العام لها إلا على مجرد النظر للغة على أنها نظام مسبوك في قوالب معينة ، ومؤلفة من عناصر جد مترابطة،لا على أنها ركام من الوحدات المستقلة غير المترابطة"[3]، وهذا ينحو إلى طرح السؤال : أين يكمن أثر سوسير فيم تلاه من مدارس و اتجاهات بحث؟

**ثالثا: تجليات فكر سوسير في البحث اللساني :**

تقاسمت الاتجاهات اللاحقة في بحث اللغة أفكار سوسير واخذ كل منها بطرف بحيث "...قامت المدارس اللاحقة بردود فعل متباينة ...فقد درستها من

[1] السابق، ص 117
[2] سوسير، علم اللغة العام ، ص163
[3] جين اشسين، اللسانيات مقدمة إلى المقدمات، ص 74

الناحية النظرية فقط مثل الغلوسيماتية، أو عنيت كذلك بتطبيقات النظرية مثل حلقة براغ أو حتى وضعت التطبيقات في الصدارة مثل علم اللغة الوصفي"[1]، وفيما يلي بيان لكل واحدة منها:

أ- **حلقة براغ____( Cercle de prague)**: تأسست على يد (فلم ماثيسيوس **Vilém Mathesius** ) ومجموعة من طلابه التشيك ، إلا أن ملامح البروز و الشهرة جاءت مع انضمام مجموعة من العلماء الروس إليها أبرزهم: (**تروبتسكوي Nicolaï Troubetzkoy** ) و (جاكوبسون **Roman Jakobson** )، وغيرهم، ومع أن نشاط الحلقة ضم كلا من اللغة و الأدب و النقد و الدراسات الأسلوبية إذ تناولت بالدراسة مختلف الظواهر اللغوية الصوتية و الصرفية و المعجمية، إلا أنها برعت في الدراسات الصوتية مما جعلها تتميز بمجموعة من الأعمال الفونولوجية، بخاصة بعد نشر كتاب (أسس الفونولوجيا) لتروبتسكوي ( principles of phonology)،وهو انجاز توصلت إليه المدرسة من خلال تطبيقها لمباديء النظرية البنيوية ، واستثمارها لأفكار سوسير بحيث "كانت المقولات التي صاغها سوسير في كتابه (دروس في اللسانيات لعامة ) مصدر إلهام أساسي ل (تروبتسكوي) بشكل يوحي منها أفكاره الصوتولوجية: فاللغة ذات وظيفة اجتماعية، وهي نظام، و الوحدات الصوتية تقوم بدور الوحدات اللغوية التي يتم من خلالها انجاز التواصل"[2]، ففيم يكمن أثر سوسير ؟

1-الاستفادة من تمييز ه بين اللغة و الكلام ، فقامت بالفصل بين الفونتيك و الفونولوجيا، وهو ما نجده في كتاب المباديء بنص مفاده " نحدد دراسة الصوت المرتبط بآلية الكلام بمصطلح الصوتيات ، بينما نحدد دراسة الصوت المتعلق بنظام اللغة بمصطلح علم الأصوات"[3]، فالفونولوجيا (phonology )

[1] بريجيتة بارشيت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي،ص112

[2] ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني،ص2

[3] N.S Trubetzkoy ,principles of phonology,translated byChristiane,A .M.Baltaxe,university of California,press,U .S 2nd ed,1971,p04

تهتم بدراسة الصوت من حيث قيمته اللغوية ، اي انه ينتمي إلى نظام لغوي معين و يحقق وظيفة تعبيرية وهو ما أورده جورج مونان ( **george mounin**) في قاموسه عن الفونولوجيا ، قائلا،بأنه فرع اللغة الذي يدرس أصوات اللغة من وجهة نظر وظيفية [1]،فهي عبارة عن تصنيف و ترتيب لما تحمله لغة ما من وقائع صوتية مختلفة بهدف تحديد الظواهر الصوتية الدالة للغة المعينة، أما الفونتيك فتهتم بدراسة الصوت من حيث قيمته المادية المجردة فهو علم يهتم بشكل خاص على علم التشريح، علم وظائف الأعضاء ، والذي يدرس إنتاج و إدراك أصوات اللغات البشرية في جميع خصائصها الفيزيائية[2]، فهي تقوم بوصف أي صوت في استقلال عن وضعيته اللغوية لأن موضوعه الأساسي هو الظاهرة المادية للكلام ، وهدفه الحفاظ على النطق السليم للصوت.

2-تبني فكرة أن اللغة نظام ، مما سمح لها بتطبيق مبدأ التقابل بين الأصوات لتحديد سماتها و خصائصها ضمن النظام اللغوي الواحد "إن تروبتسكوي – ومدرسة براغ بصفة عامة–كان مهتما بالدرجة الأولى بالعلاقات الرأسية بين الفونيمات ...وهذا من سمات اللسانيات الأوروبية،أي بطبيعة التقابل بين الفونيمات التي يمكن أن تكون متميزة عن بعضها البعض في بنية صوتية معينة"[3].

---

والنص في لغته الأصلية ورد بهذا المتن :" we designate the study of sound pertaining to the act of speech by the term of phonetics , the studu of sound pertaining to the system of language by the term of phonology

[1] Georges mounin , dictionnaire de la linguistics,press universitaire de la France,4 e ed,2004,p260

" c'est la branche de linguistique qui étudie les sons du language dun point de vue fonctionnel"

[2] Ibid,p260"c'est la science, dépendante notamment de l'anatomie, de la physiologie et de laccostique,qui étudie la production et la perception des sons des langue humaines, dans toute l'étendue de leurs propriétés physiques, "

[3] جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق و التطور، تر:محمد زياد كبة،مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية،1994،ص 110

وتعتبر نظرية الفونيم إحدى نتائج هذا التطبيق ، ذلك أن تروبتسكوي قام بإسقاط مفهوم دور العلامة اللغوية ضمن النظام على دور الفونيم "إن الفونيم ينبغي أن ينظر إليه على انه علامة لغوية مهمتها حمل معنى الكلمة، وعلى ذلك فان إحلال صوتيم مكان صوتيم سيؤدي إلى إحداث تغيير في المعنى" [1].

ب- **الغلوسيماتيكية (glossematic )**: نشأت في كوبنهاجن على يد كل من (يلمسليف **hjemsleve**) الذي بذل جهودا في جعل النظرية اللغوية أكثر تجريدا من خلال الاعتماد على الصياغة الرياضية بهدف إضفاء السمة المنطقية و العلمية عليها ، وشكلا بذلك لسانيات منطقية تتبنى مفهوم :اللغة بنية جوهرها كامن في العلاقات التي تجمع بين مختلف عناصرها ، وهي بذلك تحقق مبدأ سوسير القائل ( اللغة شكل و ليست مادة ) وتميز بين الشكل و المادة "أن اللغة تفرق بين أمرين: الشكل مقابل المادة ، و المضمون مقابل التعبير، وتتلاقى هذه الفوارق فيما بينها،فتنبثق عنها أربع طبقات هي: المضمون و المادة،و المضمون و الشكل، و التعبير و الشكل والتعبير والمادة"[2]، وهو عبارة عن تفصيل لبنية اللغة المكونة من مجموع العلامات اللغوية ، كل منها يتركب من دال بمثابة التعبير و مدلول بمثابة المحتوى مع تميز هما معا بشكل ومادة ، ويهدف هذا التفصيل إلى تحديد مجال اللسانيات و تمييزها عن علم الأصوات و الدلالة ، و المخطط التالي يمثل حدود و موضوع كل علم :

[1] ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني،ص 236
[2] جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق و التطور،ص 176

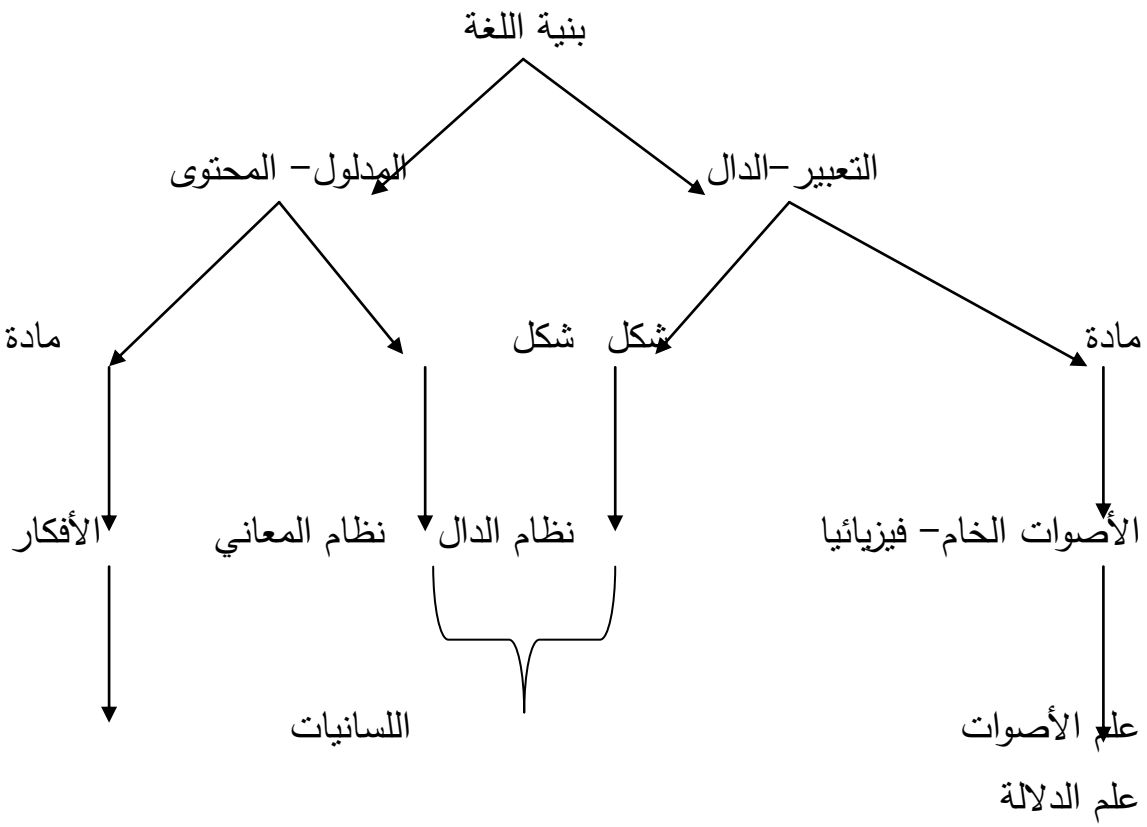


رسم تخطيطي يوضح موضوع الدرس اللساني حسب ما يراه (يلمسليف)

يتركز اهتمام اللسانيات بالجانب الشكلي للعلامة اللغوية ، من خلال التركيز على العلاقات التي تحكم انتظامها وتكسبها قيمة في بنية النظام ، مما يدفع إلى الاهتمام بالعلاقات الأفقية ، وتحديدأنواعها.

ج- **الوصفيون (البنيوية الأمريكية)**:انبثقت اللسانيات الأمريكية في دراسة اللغة من حاجة اتثروبولوجية، فقد سعت جهود مجموعة من العلماء سابير( **Sapir, Edward**)، بلومفيلد (**Leonard Bloomfield**)، بواز (**Boas, Franz** )إلى وصف لغات الهنود الحمر السكان الأصليون لأمريكا باعتبار اللغة أحد مركبات الجنس البشري لأنه "وجد أن للغة أهمية خاصة من حيث شتى عناصر الثقافة التي يحاول علماء الإنسان فهمها"[1]،فمن خلال اللغة يمكن الوصول لبقية البنيات – العقلية و النفسية –للهنود، وبما أن اللغات المستهدفة لا تتناسب والمنهج التطوري الذي تشبع به العلماء لغياب

[1] السابق،ص 51

معرفة سابقة باللغة و تاريخها إضافة إلى انعدام تدوينها ، فقد كان لزاما عليهم الانطلاق من اللغة في مستواها الشفوي (الكلام ) و اتخاذه مدونة لتحليلها ، ما يجعلها تتفق و البنيوية في تبني المنهج الوصفي ، وهذا يعني بالضرورة وصف الحقائق اللغوية كما هي في نقطة معينة من الزمن وضمن مادة محددة ممثلة في " المدونات : والتي يشترط فيها الانعكاس و التناسق، ومواد موضوعة وضعا لكنها خاضعة لرقابة متكلمين أكفاء وهم بصفة عامة متكلمون لسانهم الأم هو اللسان المدروس "[1].وبذلك تكتمل لدى الباحث اللساني العناصر الأساسية لينطلق في عملية الوصف.

وفي الحقيقة يمكن رصد التأثير الأوربي في اللسانيات الأمريكية من خلال كتاب "اللغة language " لبلومفيلد الذي بث فيه أسس و مباديء التحليل اللغوي ، التي غدت فيما بعد منهجا للمدرسة الأمريكية ، فقد أفاد من سوسير النظرة البنيوية للغة مع تطبيق ثنائيتي التقطيع و الاستبدال كإجراءين للبرهنة على توزيع العناصر اللغوية، وقد اعترف بأثر سوسير قائلا: لقد أمدنا بالأساس المنهجي لعلم اللغة الإنسانية[2].

مع الانتشار الواسع لفكر سوسير و تأثيره في مختلف المدارس و الاتجاهات اللسانية ، رسمت مرحلة جديدة في الدرس اللساني كانت بمثابة نقطة تحول من اللسانيات التاريخية إلى اللسانيات الوصفية "تحول اتجاه اللسانيات في القرن العشرين، من الاهتمام بدراسة مظاهر تغير اللغة، إلى الاهتمام بانجاز وصف لها، وبدلا من البحث في الكيفية التي تغيرت بها وحدات لغوية معينة ، في عدد من اللغات المختلفة،جعل اللسانيون يركزون على انجاز وصف للغات البشرية، كل على حدة ، في مرحلة زمنية بعينها"[3]، بحيث تقوم عملية الوصف في التيار البنيوي على مجموعة من الأسس المنهجية في تحليل الظواهر اللغوية ممثلة في :

1. "ملاحظة أكبر عدد من الوقائع ملاحظة موضوعية.

[1]ينظر:روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات،ص 34

[2] Leonard Bloomfield,Language,George Allen And Anwin Ltd,USA,1933,P

[3] جين اسشين ، مقدمة إلى المقدمات ، ص 73

2. تجميع الوقائع و تصنيفها بغية تنظيمها و ترتيبها في مقولات و أقسام متجانسة.
3. وصف الوحدات اللغوية الدالة و المميزة.
4. دراسة العلاقات القارة بين مختلف الوحدات في مختلف المستويات.
5. البحث عن الثوابت الممكنة وتحديد القوانين العامة ( انساق البنيات)"[1].

## المبحث الثاني: من وصف اللغة إلى تفسير الكفاءة:

### أولا- العقلانية / التجريبية:

ساد المذهب السلوكي المنبثق من التصور الميكانيكي في الأوساط العلمية ،و استطاع أن يفرض سننه و معاييره على البحث العلمي ويحدد نفسه نموذجا لتفسير الظواهر ، ولم يسلم الوصفيون منه "فقد كانت نظريات بلومفيلد في اللغة سلوكية إلى أبعد الحدود "[2]، إذ أصبحت اللغة وفقا له خاضعة لمبدأ مثير واستجابة، مثلها مثل بقية السلوكيات الأخرى بهدف إضفاء صبغة علمية بالانطلاق من النزعة التجريبية التي لا تؤمن إلا بالتجربة ، مما نتج عنه إقصاء الدلالة و دراسة المعنى بحجة أنه غير قابل للقياس وأنه يضفي مسحة ذاتية " إن احتواء جانب المعنى في اللغة قد يتضمن خطر إفساح المجال لدخول المعايير الذاتية في التحليل. إن علينا أن نترك المعنى جانبا حين تكون مهمتنا تأسيس منهج لساني كفء"[3]، مما دفع به إلى تبني المنهج التجريبي بهدف إضفاء البعد الموضوعي على البحث اللساني ، ذلك أن غاية العلم التجريبي هي " جمع المعطيات الموضوعية الممحصة أو القابلة للتمحيص ، إن

[1] : Enrico Arcaini,principes de linguistique appliqueé,Paris,payot,p21 ،نقلا عن: مصطفى غلفان،في اللسانيات العامة،تاريخها،طبيعتها،موضوعها، مفاهيمها،دار الكتاب الجديد لمتحدة، بيروت، لبنان،ط1،2010،ص 108

[2] جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق و التطور،ص 59

[3] ميلكا إفيتش،اتجاهات البحث اللساني،ص279

العلم يسعى إلى استخلاص القوانين العامة، انطلاقا من المعطيات، فترتيب المعطيات و تصنيفها يعد من أولى الخطوات نحو محاولة فهم موضوعي للعالم المحيط بنا، وبذلك يصبح العلم معرفة موضوعية للعالم الخارجي"[1].

بتطبيق أتباع بلومفيلد لخطوات منهجه الذي مزج فيه بين البنيوية و السلوكية التجريبية، غدا هدف النظرية اللغوية هو تقديم وسائل و آليات دقيقة تمكن الباحث اللساني من تصنيف الوحدات اللغوية في المتن وأضحت اللسانيات علما تصنيفيا مما دفع بها إلى الولوج في نطاق الصراع بين المادية التجريبية و العقلية الفطرية،يصرح إرنست كاسيرر (**ernst cassire**) بشأن هذا قائلا:" غالبا ما يخوض علماء الأحياء و اللغة معركة ضد عدو مشترك ، هو النزعة الميكانيكية، أو الآلية أو المادية في تفسير اللغة،فيحاول علماء اللغة و الأحياء إيجاد الذرائع الكافية لنقض المعطيات الآلية للغة،إلا أنه لا يمكن وصف اللغة لا بالآلية ولا بالحيوية أو العضوية على وجه التدقيق ، لأن اللغة ليست كائنا حيا أو ميتا، إنها ليست كائنا على الإطلاق، و السبب في ذلك أن اللغة نشاط إنساني خالص "[2].

قام تشومسكي ( **chomsky**) بمحاولة تطبيق آليات التحليل البنيوي في دراسة التركيب ، إلا أنه توصل إلى عدم تماشيها و دراسة الجمل ، وأنها فعالة فقط في المستويات الأدنى (المورفيمات و الفونيمات) لأن هذه الأخيرة توجد بشكل محدود في كل لغة مما يمكن من تصنيفها عكس الجمل التي تتسم بطابع التجديد مما يجعلها غير محدودة لأنها تخضع لميزة الإبداع وهو ما اعترف به في قوله : كان مفهوما بوضوح أن إحدى الصفات المشتركة بين جميع اللغات هي جوانبها الخلاقة الإبداعية[3]، و بالتالي فالبنيوية بما تحويه من مفاهيم و إجراءات عاجزة عن تفسير

---

[1] E .Bach ;linguistique et philosophie des sciences in problemes du language,p196
نقلا عن: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ماقبل المعيار إلى النموذج الأدنوي –مفاهيم و أمثلة- ،عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن،2010،ص13-14

[2] Ernst Cassirer ,structuralism in modern linguistics,in :world journalist of the linguistics cercle of new york ;v1,1945,p110 نقلا عن: الزواوي بغورة، الفلسفة و اللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ص73

[3] Noam Chomsky, aspects of the theory of syntax,the M I T press,1965,p6

جميع العلاقات الكامنة ضمن الجملة الواحدة أو بين الجمل فيما بينها على مستوى الخطاب ، " إن وجهة النظر التقليدية القائلة بأن المهمة الرئيسة لعلماء اللسانيات ، تتمثل في تقديم وصف ل ( مادة ) مما جرى التلفظ به فعلا من الكلام ، هي وجهة نظر لا تستطيع أن تطرح لنا تفسيرا بشأن ما تتسم به اللغة من إنتاجية أو إبداعية "[1].

دفع الوقوف أمام تركيب الجمل و البحث في تفسير لآليات توليدها واشتغالها ، بالدرس اللساني إلى نقطة تحول كبرى ، تم من خلالها الانتقال من دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية تستند في حكمها على الملفوظات للجماعة اللغوية ، إلى الاهتمام باللغة كظاهرة عقلية تعتمد على حدس المتكلم /المستمع المثالي ؛ بمعنى التحول عن اللغة نحو معرفة اللغة كما يقول تشومسكي : " فالنحو الذي نتبناه حول مركز الاهتمام من السلوك الفعلي أو الممكن ،...إلى دراسة نظام المعرفة التي تكمن وراء استخدام و فهم اللغة "[2]، ومع اختلاف زاوية النظر وتحديد وجهة البحث ، أصبح لزاما على الباحث اللساني حسب تشومسكي التوغل في البنية الذهنية و اكتشاف الآلية المسؤولة عن طريقة التوليد ، يقول : "...واجب اللغوي إيجاد وسيلة من نوع ما تسمى نظام القواعد تقوم بتوليد جميع جمل لغة معينة، ولا تولد جملا لا وجود لها في تلك اللغة "[3].

إن سعي النظرية التوليدية في البرهان على وجود آلية تقوم بهندسة اللغة داخل الدماغ البشري ، يجعلها ترتبط مباشرة بالتصور الافتراضي القائم على التفسير لأن "هدف العلم ليس جمع المعطيات الموضوعية و ترتيبها ووصفها، بل ينبغي تفسيرها في ضوء فرضيات عامة...إن تقدم العلوم لا يرجع أساسا للتجارب المخبرية التجريبية و التحليلات التكنولوجية فحسب، بل إن النضج العلمي الذي وصلته كثير من العلوم البحتة راجع لكونها تقوم على تصور افتراضي في تفسير الظواهر المعروضة للتحليل

" it twas clearly understood that one of the qualities that all languages have in common is their-creatve- aspect"

[1] جين اسشين، مقدمة إلى المقدمات، ص 77

[2] نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية،طبيعتها و أصولها واستخدامها،تر: محمد فتيح،دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1،1993،ص 83

[3] نفسه،ص نفسها

العلمي"[1]، وهذا ما يظهر جليا في منهج النظرية التوليدية من خلال محاولتها تقديم تفسير لظاهرة الإبداع و الخلق في اللغة،وانعكاسه بوضوح في نقد تشومسكي للبنيوية ، وهو في الحقيقة ترجمة مباشرة للصراع القائم بين النزعة التجريبية التي تحصر بحثها في الوقائع الملاحظة وتبني رؤيتها للعالم من خلال إعادة ترتيبها وتصنيفها في مقابل النزعة العقلانية التي تحاول تأسيس رؤيتها للعالم من خلال تجاوز الوقائع الملاحظة و اعتبارها علامات لثوابت كامنة و قارة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلا ل الافتراضات و اختبار صحتها من عدمه ،يقول تشومسكي بهذا الشأن : "كل نظرية عملية لابد أن تعتمد على عدد محدود من الملاحظات، وتحاول تفسير هذه الظواهر، ثم التكهن بظواهر جديدة عن طريق صياغة قواعد عامة طبقا لتراكيب فرضية"[2].

**ثانيا– الكفاءة (Competence)/ الأداء(Performance) :**

عمد تشومسكي إلى بناء نماذج تفسيرية ، يحاول من خلالها – كاستجابة ضرورية وحتمية – إلى تغطية العجز الذي تعاني منه النظرية البنيوية ، وذلك بتبني طريقة حديثة في التحليل اللساني يمكن من خلالها إثبات قدرة اللسانيات على تفسير نشاط الدماغ البشري بالولوج إليه عن طريق اللغة باعتبارها ناتجة عن بنيته ، فتصبح اللسانيات نافذة لدراسة الذهن، بالمعنى التقني، النظرية اللسانية عقلية ، بحيث تهتم باكتشاف واقع عقلي ذهني يكمن وراء السلوك الفعلي[3]؛أي البحث في القدرة اللغوية ، يقول في موضع آخر " ينبغي كما يبدو أن نفكر في معرفة اللغة بوصفها حالة معينة للعقل/الدماغ، عنصرا ثابتا نسبيا ضمن الحالات العقلية العابرة و أن نفكر فيها أيضا كقدرة من قدرات العقل يمكن تمييزها،...هي قدرة اللغة بخصائصها و بنيتها و نظامها التي هي وحدة من وحدات العقل "[4]، وحتى يتحقق ذلك

[1] مصطفى غلفان،اللسانيات التوليدية ،ص14

[2] نعوم تشومسكي،البنى النحوية، ص69

[3] Noam Chomsky, aspects of the theory of syntax,p4
"in the techniCal sense,linguistic theory is mentalistic,since it is concerned with discovering a mental reality underlying actual behavior"

[4] نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، ص 68

فلابد من الولوج إلى البنية الذهنية و اكتشاف ما تحمله من ثوابت تمكنها من إنتاج اللغة، وتسليط الضوء عل معطى لغوي بذاته هو اللغة دون البقية من لسان و كلام ، فهي ليست البحث في " الأشكال اللغوية كما هي منطوقة بالفعل – بل– القدرة الضمنية التي تفسر هذه الأشكال،...ليس وصفا لما كان قد قاله المتكلم،وإنما شرح و تعليل للعمليات الذهنية التي من خلالها يستطيع الإنسان أن يتكلم بجمل جديدة"[1]،وبذلك تصل التوليدية إلى التمييز بين الكفاءة ( competence ) و الأداء (performance )، يقول تشومسكي : نميز بذلك بشكل أساسي بين الكفاءة وهي معرفة المستمع المتكلم باللغة ، و الأداء الفعلي للغة في المواقف الملموسة.[2]

فالكفاءة ترتبط بقواعد اللغة في مستواها الذهني ، بينما يرتبط الأداء بتحقق تلك القواعد ضمن السياقات الفعلية، وهو ما حاول تشومسكي إثباته من خلال الاستعانة بالمتكلم – المستمع المثالي عينة لتوضيح و تفسير قدرة وكفاءة إنتاج اللغة ، تهتم النظرية اللغوية /اللسانية في المقام الأول بمتحدث مستمع مثالي في مجتمع كلامي متجانس كليا،و الذي يعرف لغته تماما، على ألا يتم وصفها من قبل شروط غير متصلة بالقواعد النحوية كقيود الذاكرة، والانحرافات، وتحولات الانتباه و الأخطاء في تطبيق معرفته باللغة في الأداء الفعلي[3]،وبالتالي يتحدد موضوع النظرية التوليدية عند تشومسكي في مجموع القواعد التي اصطلح عليها بالكفاءة وهي عنده " القواعد

[1] أحمد حساني،مباحث في اللسانيات،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ، 1999، ص 118

[2] Noam Chomsky,aspects of the theory of syntax,p4

" we thus make a fondamental distinction between competence –the speaker hearer's knwledge of this language- and the performance – the actual use of language in concrete situations"

[3] ibid,p4

"linguistic theory is concerned primarily with an ideal speaker – listener,in completely homogenous speech community,who knws its language perfectly and is uneffacted by such grammatically irrelevant conditions as a memory limitations, distractions,shifts of attention, and interest,and errors in applyin his knowledgeof the language in actual performance"

التي تتبعها اللغة في إنتاج الجمل و فهمها وهذه القواعد تفسر أمثلة الأداء الممكنة كلها"[1]، والمخطط التالي يبين موضوع دراسة النظرية التوليدية.

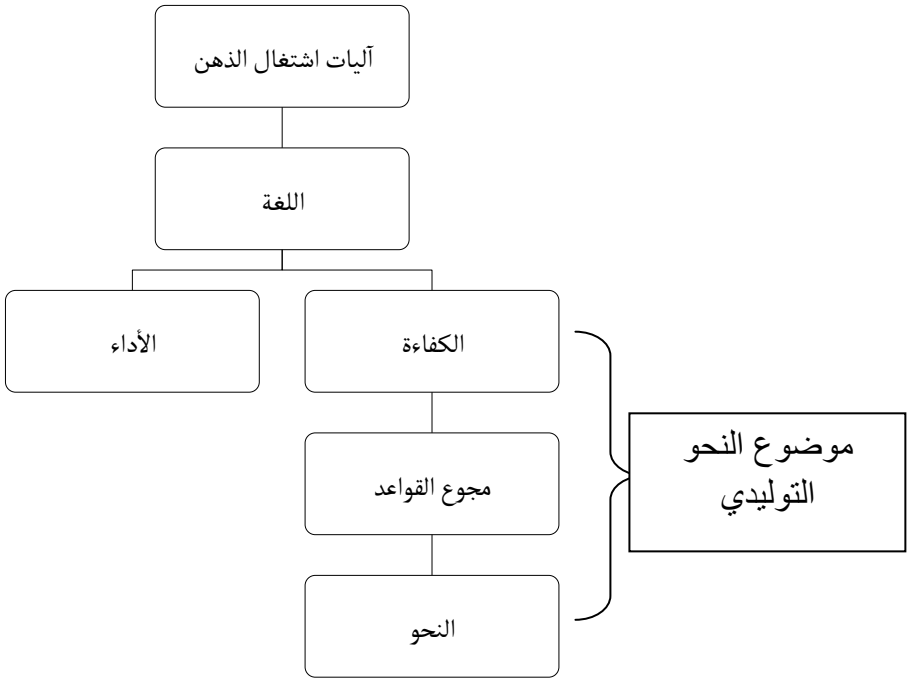


رسم تخطيطي يوضح موضوع الدراسة في النظرية التوليدية

**ثالثا: نحو تفسير الكفاءة اللغوية :**

إن نظرية تشومسكي لم تتشكل دفعة واحدة، بل أخذت بالتطور عبر مراحل مختلفة امتدت من سنة 1957 إلى يوم الناس هذا ، ويمكن تحديد ثلاثة نماذج كبرى مثلت لأهم التحولات التي مرت بها النظرية التوليدية :

**أ-** البنى التركيبية

**ب-** النموذج المعياري

**ت-** البرنامج الأدنى

أ- **البنى التركيبية** : وهو أول نماذج النحو التوليدي ، وقد تم الانطلاق في بنائه من النحو المركبي والتحليل إلى المكونات المباشرة و وسلاسل ماركوف ،

[1] صبري إبراهيم السيد،تشومسكي و فكره اللغوي و آراء النقاد فيه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص ص66،67

من خلال محاولة تطبيق تشومسكي للمفاهيم و الإجراءات البنيوية ، ليكتشف اكتفائها بالوصف الشكلي للجملة دون التعمق في بنية شبكة علاقاتها الداخلية "إن تمحيص هذين النموذجين وتطبيقهما يكشفان النقاب عن بعض الحقائق للبنية اللغوية وعن عدد من الفجوات في النظرية اللغوية: نخص بالذكر عدم قدرة النظرية على تفسير علاقات معينة بين الجمل،"[1] ، ومن بين الظواهر التي أبرزت ضعف النموذجين الالتباس ، وتحديد نوع الجملة، والعلاقات بين الجمل، أضف إليها عدم إيجاد تناسق بين الترتيبين الخطي و البنيوي لبعض الجمل التي تحمل دوالا متقطعة * ، فكان لابد من إيجاد حلول لهذه المعضلات ، وهنا تنبه تشومسكي إلى إدخال ما يعرف بالمكون التحويلي و تجربته بتطبيقه وهو ببساطة كما يذهب في تحديد مفهومه بأنه :" مجموعة من القواعد لها القدرة على الحذف و الإضافة و تحريك العنصر من مكانه و تعويضه بعنصر آخر"[2]و دمجه إجرائيا في تحليل بنية الجملة و تمكنه بذلك من تجاوز ثغرات النحو المركبي (بنية العبارة ) و سلاسل ماركوف معا "عندما نصوغ التحليل التحويلي بصورة صحيحة نجد انه أكثر قدرة من الوصف حسب بنية العبارة، كما أن وصف بنية العبارة أكثر قدرة في جوهره من عمليات ماركوف ذات الحالة المحدودة"[3].

ويمكن تمثيل آليات اشتغال نموذج البنى التركيبية في الشكل التالي:

[1] نعوم تشومسكي، البنى النحوية،ص 12

*الدوال المتقطعة، بالفرنسية signifiants discontinus: كل دال يرد بشكل وحدتين في موقعين مختلفين في التتابع الخطي مع دلالتهما معا مجتمعين على معنى قائم بذاته ، كالنفي في الفرنسية ، والذي يعبر عنه بالدالين (ne...pas ).

[2] نفسه ،ص 154

[3]نفسه ،ص 65

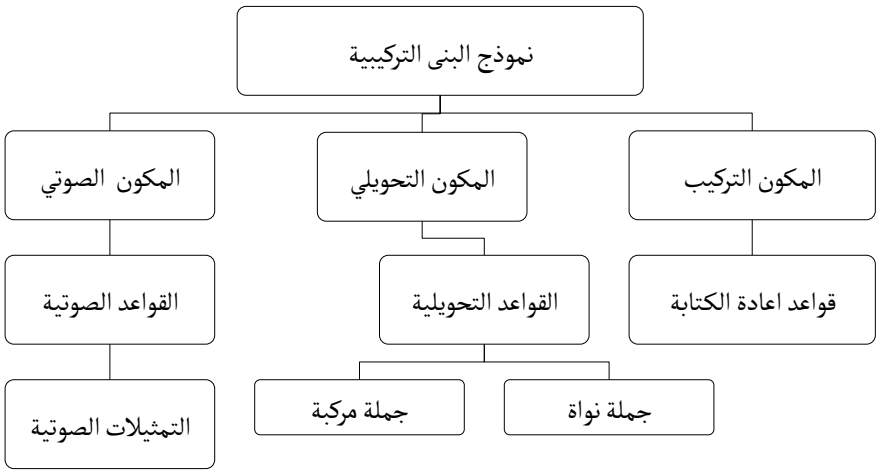


رسم تخطيطي يوضح آليات الاشتغال في نموذج البنى التركيبية

ب- **النموذج المعيار:** وسع فيه تشومسكي من آفاق البحث بالاستفادة من نتائج نقاشات مجموعة من اللسانين بعد ظهور نموذج البنى التركيبية ،لعل أبرزها دراسة ( كاتز **Katz Jerrold J**)[1] و (**بوسطال Postal Paul M** )[2] ،في دراستهما المعنونة ب (نظرية متكاملة للأوصاف اللسانية An integrated theory of linguistic descriptions) التي طرحت فيها مجموعة من التساؤلات من بينها: ماهي العلاقة بين بناء الجملة/ التركيب والدلالات؟ ثم كيف ترتبط التحويلات النحوية بالمعنى المقصود؟ وتحديدا ماهي التأثيرات الدلالية إن وجدت التي تنطوي عليها التحويلات؟ كيف يمكن وصف الترابط بين علم الدلالة والهياكل النحوية؟[3]

[1] كاتز باحث مشارك في علم اللغة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في عام 1961. وعين أستاذا مساعدا للفلسفة هناك عام 1963 ، وأصبح أستاذًا في عام 1969. من عام 1975 حتى وفاته. كان أستاذا متميزا للفلسفة واللغويات في جامعة مدينة نيويورك ،داخل اللغويات ، اشتهرت كاتز نظريته في علم الدلالة في القواعد النحوية (علم الدلالة التوليدي).

[2] بول مارتن بوسطال (ولد في 10 نوفمبر 1936 في Weehawken ، نيو جيرسي) هو لغوي أمريكي وعضو هيئة التدريس في جامعة نيويورك. تلقى درجة الدكتوراه من جامعة ييل في عام 1963. درس في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا حتى عام 1965 ، ثم تولى منصب البحث في IBM حيث بقي حتى عام 1994،وهو شخصية مهمة في التطور المبكر للقواعد التوليدية ، وأصبح مؤيدا لحركة علم الألفاظ التوليدية إلى جانب جورج لاكوف ، وجيمس ماكايلي.

[3] Jerrold J . Katz and Paul M.Postal, An integrated theory of linguistic descriptions , Cambridge,MA,MIT press1964,in the Philosophical forum, v34,nov3-4,2003,p402

"what is the relationship between syntax and semantics ? how do syntactic transformations related to sentential meaning ,and particular,what semantic effects ,if

وهي أسئلة تصب كلها في دائرة علاقة المكون الدلالي المسؤول عن المعنى بالنحو التحويلي ومحاولة ضمه إلى بقية مكونات النموذج التركيبي حتى يتم بناء نظرية متكاملة للوصف اللساني وذلك من خلال عملية الدمج بين المكونين التركيبي و الدلالي ، يقول الباحثان في ذلك : لابد من توفير وسيلة مناسبة لإدراج الوصف النحوي الدلالي في مكون وصفي واحد [1].

فسحت الأفكار السابقة الطريق أمام النظرية التوليدية للتوسع في النموذج المعيار من خلال كتاب تشومسكي ( مظاهر النظرية التركيبية – of the theory of aspects syntax) واعتبار علاقة التركيب بالدلالة علاقة تأويل ، يقول تشومسكي :" إن كل جملة تتوافر على بنيتين: بنية عميقة وبنية سطحية يتم الربط بينهما بواسطة مجموعة من القواعد التحويلية، حيث إن كل زوج ( بنية عميقة و بنية سطحية ) يتوافر على تأويل دلالي و تأويل صوتي[2]، و يبقى المكون التركيبي هو المسؤول عن توليد الجمل،بينما تلعب الدلالة دورا تأويليا وتصبح حزمة المعرفة الضمنية بقواعد النحو أو ما يسمى بالكفاءة اللغوية تشتغل في النموذج المعيار كالتالي :

any , dotransformations have ? how should the linkage between semantics and syntactic structures be described ?"

[1] Ibid ,p 401

"…to provide an adequat means of incorporating,the grammatical and the semantic description into one integrated description"

[2] Chmesky,Aspects de la théorie syntaxique,pp30-34 نقلا عن: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية،ص110

رسم تخطيطي يوضح بنية واشتغال النموذج المعيار في النظرية التوليدية التحويلية

**ث-نموذج البرنامج الأدنى:** قبل أن يصل تشومسكي إلى هذا النموذج وهو آخر ما توصلت إليه أبحاث النظرية التوليدية التحويلية ، كانت له وقفة مع نموذجين قبله هما :

- ✓ **النظرية المعيار الموسعة:** وهي تطوير لأفكار النموذج المعيار ، بتزويد البنية السطحية بقوة التأويل الدلالي،مع ضبط إجراءات اشتغال التحويل ، والإبقاء على توليدية المكون التركيبي.
- ✓ **نظرية المبادئ و الوسائط:** تم فيها تحديد النحو الكلي من خلال تعيين المبادئ الكلية لما تشترك فيه جميع اللغات، إضافة إلى تحديد قوالب الجهاز النحوي و وصف طرق اشتغالها ، بحيث "أسفر العمل في نموذج المباديء و الوسائط عن صياغة مجموعة من المباديء و القيود و الوسائط التي تعمل بموجبها الملكة اللغوية، مما أدى إلى تدقيق المسلمة الكبرى للنحو

التوليدي،...ومفادها أن المباديء والقيود التي يوظفها النسق الحاسوبي لصياغة التمثيلات اللسانية موحدة في كل اللغات البشرية"[1].

وبعد هاتين المحطتين وصلت التوليدية مع التطور المعرفي إلى النموذج الأدنوي ، و الأدنوية كما يقول الفهري هي "نهج نظري مفاده أن يقوم العلم بتغطية اكبر عدد من الوقائع و التجارب عبر استنتاجات منطقية مرتبطة بعدد قليل من الافتراضات و المسلمات "[2]، فالأدنوية تبنى على الاستنتاجات ما يعني اتسامها بمجموعة من الخصائص هي "البساطة، التقليص، التقتير "[3]، وهو ما يتجلى بشكل واضح في مكونات وآليات النموذج الأدنوي لدى تشومسكي في الشكل التالي:

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية ، ص 365

[2] عبد القادر الفاسي الفهري،المقارنة و التخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر،ج1،الدار البيضاء، المغرب ، ط1،1993،ص 17

[3] نفسه،ص17

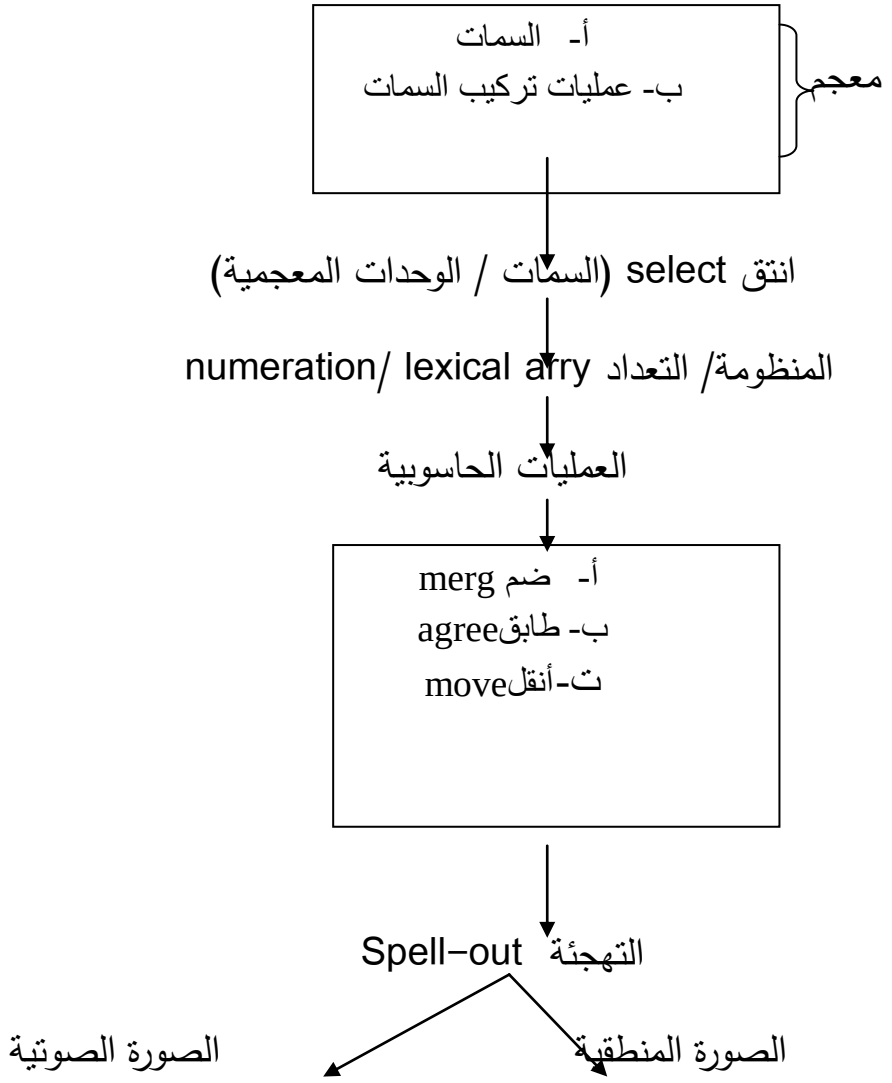


رسم تخطيطي يوضح مكونات جهاز النحو في البرنامج الأدنوي[1]

سعت التوليدية التحويلية إلى تطوير نماذج قادرة على تفسير القدرة اللغوية الكامنة لدى الأفراد،إضافة إلى محاولة اكتشاف كنه و طريقة اكتسابها ، الأمر الذي جعلها تغلق على نفسها البحث فيما تبقى من معطى لغوي كالانجاز و الكلام باعتبارهما خارجين عن نطاق اللسانيات، وهو ما حدا بالبحث اللساني نحو سلك اتجاه آخر يأتي بيانه تاليا.

[1] محمد الرحالي، تركيب اللغة العربية، مقاربة نظرية جديدة، ص 15، نقلا عن: مصطفى غلفان، النظرية التوليدية، ص 420

## المبحث الثالث: نحو نمذجة القدرة التواصلية:

### أولا:من كفاءة اللغة إلى انجاز القدرة التواصلية:

أثارت التوليدية التحويلية منذ ظهورها ردود أفعال كثيرة من خلال حصر اهتمامها بالقدرة دون الانجاز ، مما حفز ظهور مواقف وآراء مناهضة لمركزية القدرة في اللسانيات التوليدية وإقصاء الانجاز بما يتضمنه من سياق و بعد اجتماعي ، يقول **(جورج لايكوف George Lakoff)** "لا وجود لكائن تشومسكاوي – نسبة إلى تشومسكي – كائن لغته محض تركيب، محض شكل معزول و مستقل عن المعنى و عن السياق و الإدراك و العاطفة و الذاكرة و الانتباه و الفعل، وعن الطبيعة الدينامية للتواصل "[1]، في هذا إعادة واضحة لقيمة المعنى و السياق بالاعتماد على تضافر العناصر التي يتشكل منها ، انطلاقا من العنصر البشري ممثلا في المتكلم و المتلقي بما يتمتعان به من قدرات إدراكية ولغوية، وصولا إلى تفاصيل العملية التواصلية ممثلة في تسلسل المواقف و مقام الحدث الكلامي،ولعل (لايبوف **William Labov**)[2] هو أبرز من نادى بضرورة البحث في البعد التواصلي للغة و الذي يمارس بشكل يومي ضمن أفراد المجتمع، لتشكل آراؤه فيما بعد مشروع السوسيولسانيات أو اللسانيات الاجتماعية والتي حاولت تحديد وظيفة اللغة داخل المجتمع بأنها وسيلة يستخدمها الناس للتواصل مع بعضهم البعض في الحياة اليومية ، هذا هو الهدف ، و بالتالي العمل على التعبير و التباين اللغوي [3].

---

[1] جورج لايكوف،مارك جونسون، الفلسفة في الجسد- الذهن المتجسد و تحديه للفكر الغربي- تر: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة،ليبيا،ط1،2016،ص41

[2] وليام لابوف (من مواليد 4 ديسمبر 1927 ، روثرفورد ، ن.ج. ، الولايات المتحدة) ، لغوي أميركي. بعد العمل لسنوات عديدة ككيميائي صناعي ، بدأ لابوف أعمال الخريجين في عام 1961 ، مع التركيز على الاختلافات الإقليمية والطبقية في النطق باللغة الإنجليزية في مارثا فينيارد ، ماساشوستس ، وفي مدينة نيويورك ، وحول طرق قياس التغير الصوتي والتباين. تناول معظم أبحاثه في وقت لاحق نفس القضايا بطرق متزايدة التطور ، وبلغت ذروتها في مبادئه الضخمة للتغيير اللغوي (1994). كان اكتشاف أن اللغة الإنجليزية الأمريكية أصبحت إقليمية أكثر ، وليس أقل ، تباعدت معتقدات شعبية وجذبت انتباه العديد من خارج مجاله. في عام 2006 ، بالتعاون مع شارون آش وتشارلز بوبرغ ، قام بنشر أطلس اللغة الإنجليزية في أمريكا الشمالية: علم الصوتيات ، علم الأصوات ، والتغيير الصوتي.

[3] Sociolinguistics,an interview with William Labov,Revista,vertual de Estudos da liguagem,Revel,v5,n9, Agosto de 2007,p1,[ www.Revel.INF.br]

وبمثل هذه الجهود أخذت اللسانيات منحى جديدا بتبنيها للكلام كموضوع للبحث و التحليل،وعلى رأسها المشروع الذي قدم له (هايمز **Dell Hathaway Hymes**)[1] ضمن سلسلة مقالاته و أبحاثه وما سماه بالقدرة التواصلية في مقابل القدرة التوليدية " ...ما يتميز به الفرد المتكلم هو امتلاكه لقدرة أكبر وأشمل وأكثر وظيفية مما يقترحه النحو التوليدي ، وهي القدرة التواصلية communicative competence التي لا تمكن من القدرة على إنتاج وفهم ما لا حصر له من الجمل النحوية، بل تتعلق باشتغال السلوك اللغوي في شموليته وواقعيته وهي مختلف السياقات و المقامات الممكنة لتحقيق كل أغراضه التواصلية في أبعادها الفردية و الجماعية"[2].

يمكن رصد نقاط الاختلاف القائمة بين النظرية التوليدية بزعامة تشومسكي و توجه اللسانيات الاجتماعية مع هايمز بفكرة القدرة التواصلية في الجدول التالي[3]:

| تشومسكي | هايمز |
|---|---|
| موضوع التحليل اللساني يقف عند حدود الجملة | يجب أن يتجاوز التحليل اللساني الجملة إلى الخطاب |
| موضوع البحث اللساني هو قدرة المتكلم –المستمع المثالي | موضوع البحث اللساني هو قدرة متكلم مستمع واقعي له وجود في قلب الحياة الاجتماعية |
| القدرة واحدة لدى جميع أعضاء الجماعة | القدرة تتغير من فرد لآخر ، ومن جماعة |

"It’s language, the instrumment that people use to communicate with each other in every day life . that’s the object,that is the target of the work on linguistic change and variation"

[1] ديل هاثواي هايمز (7 يونيو 1927 في بورتلاند ، أوريغون - 13 نوفمبر 2009 في شارلوتسفيل ، فيرجينيا) لغوية ، وعلم اجتماعي وعلم أنثروبولوجيا ، وفولكلوري أسسوا أسسًا تأديبية للدراسة المقارنة الإثنوغرافية لاستخدام اللغة. ركز بحثه على لغات شمال غرب المحيط الهادئ. كان من أوائل الذين أطلقوا على الحقل الفرعي الرابع للأنثروبولوجيا "علم الأنثروبولوجيا اللغوية" بدلاً من "علم اللغويات الأنثروبولوجي". يلفت التحول المصطلح الانتباه إلى أرضية الحقل في الأنثروبولوجيا بدلاً من ما أصبح ، في ذلك الوقت ، بالفعل نظامًا ذاتيًا (علم اللغة). في عام 1972 ، قامت Hymes بتأسيس مجلة Language in Society ، وكانت بمثابة محررها لمدة 22 عامًا.

[2] D.Hymes,vers la competence de communication,pp82-130-131 ، نقلا عن: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية،ص 49

[3] أوراشيوني،1990،49-50، نقلا عن: عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي- مقاربة لسانية وظيفية- بيروت،لبنان،ط1،2018،ص25

| | |
|---|---|
| اللغوية، أنها ذات طابع كلي | لغوية إلى أخرى |
| القدرة تمكن من إنتاج الجمل النحوية المجردة وتأويلها | القدرة تمكن من إنتاج وتأويل ملفوظات في سياقات محددة |
| الانجاز لا يعكس طبيعة القدرة المجردة إلا بصورة ناقصة جدا | كل وقائع الانجاز يجب ردها إلى القدرة التحتية التي تجليها |
| اللغة أساسا نسق للتعبير عن الفكر أو هي مرآة للعقل | اللغة ممارسة اجتماعية |

**ثانيا: القدرة التواصلية تجسيد للبعد التداولي :**

لم تتوصل اللسانيات الاجتماعية إلى القدرة التواصلية إلا بعد أن حدثت حركة ضمن البحث اللساني في إطاره العام، إذ انطلق فيه من بنية اللغة الداخلية بوصفها أصوات و صرفا لينتقل إلى التركيز على بنية التراكيب في بعدها الذهني ، ويتكفل بعدها فلاسفة اللغة العادية بالكشف عن معطيات ومفاهيم تبنتها اللسانيات لإبراز الجوانب المغيبة في دراسة اللغة وعلى رأسها العلاقة القائمة بين بنية اللغة ومستعمليها ضمن ما يعرف بالتداوليات "...حيث عولجت الظواهر التي من قبيل الإحالة و الأفعال اللغوية والاستلزام الحواري...وقد انتقلت المفاهيم المرتبطة بهذه الزمرة من الظواهر، عن طريق الاقتراض ،إلى حقل الدراسات اللغوية إذ أن مجموعة من النظريات اللغوية التوليدية منها وغير التوليدية وظفت هذه المفاهيم في وصفها للغات الطبيعية "[1].

وبهذا الشكل فإن اللسانيات في هذه المرحلة أخذت بالانفتاح على النتائج التي توصلت إليها التداولية بعدها دراسة استخدام اللغة في التواصل البشري على النحو الذي تحدده حالة المجتمع[2]،مما جعلها تتقاطع و اللسانيات الاجتماعية في

[1] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية-مدخل نظري- دار الكتاب الجديد المتحدة،بنغازي،ليبيا،ط1987،ص18

[2] Jacob L. Mey, Pragmatics-An introduction- Blackwell publishing,2nd edition,2001,p6.
" studies the use of language in human communication as determined by the condition of society"

عنصر التواصل بوصفه ميزة اجتماعية تؤدى بالدرجة الأولى عن طريق اللغة ، فالتداولية عموما " تعنى باستعمال اللغة و تهتم بقضية التلازم بين التعابير الرمزية و السياقات المرجعية و المقامية و الحدثية و البشرية"[1]، بينما يجمع المشتغلون في حقل اللسانيات الاجتماعية على فكرة واحدة وهي كيف يتم استخدام اللغة بين أفراد المجتمع و لماذا ؟ لتجيب الباحثة السوسيولسانية ( **meyerhoff**) قائلة : شيء واحد يعجب كل الممارسين في هذا المجال ، هو أنهم جميعا مهتمون بكيفية استخدام الناس للغة ولأي غرض[2]، فيمكن أن نلاحظ أن كلا من التداولية و اللسانيات الإجتماعية تهتمان بالحدث التواصلي ، أي بالجانب الاستعمالي للغة و الذي تعد القدرة التواصلية أساسها الذي تقف عليه، لتصبح هي محور الدراسات اللسانيات في حركتها الثالثة بعد دراسة اللغة و الملكة اللغوية،ليصل البحث اللساني مع مجموعة من اللغويين إلى الاهتمام و الاشتغال بالقدرة التواصلية ، إذ تم تحديدها وفق ما يذهب إليه (**هايمز**) في أنها تتكون من شقين : شق يتعلق باللغة وشق يتعلق بالاستعمال ، يمثل الأول القدرة النحوية لدى المتكلم ، بينما يعبر الثاني عن علاقة اللغة بالسياق المستعمل ضمنه، فهي"تشمل – إلى جانب المعرفة النحوية – معرفة تتعلق بكل مظاهر النسق التواصلي، سواء تجلت هذه المعرفة في الطريقة التي يؤول بها مستعمل اللغة سلوكه وسلوك الآخرين من حوله وبقومه، أم تجلت في الإحالة على الطاقات التي يمارس بواسطتها مستعملوا اللغة التواصل فيما بينهم "[3].

وبعد أن فصل هايمز في مفهوم القدرة التواصلية باعتبارها قدرة شاملة لكل قواعد التواصل بما يتضمنه من سلوكيات وغيرها ، توجه إلى رسم آلية اشتغالها من خلال تحديد الاعتبارات التي تخضع لها،والتي بفضلها تتم عملية توليد الجمل و تداولها بشكل سلس ، وهي[4] :

---

[1] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر لحباشة، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1،2007،ص18،نقلا عن الموسوعة الكونية

[2] Miriam meyerhoff,introducing sociolinguistics,routledge,1st ed,2006,p3
"one thing liking all of the practitioners in the fiel dis that they are all interested in how people use language and what they use it for"

[3] عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي، ص 32

[4] ينظر:نفسه ، ص ص 31 ،32

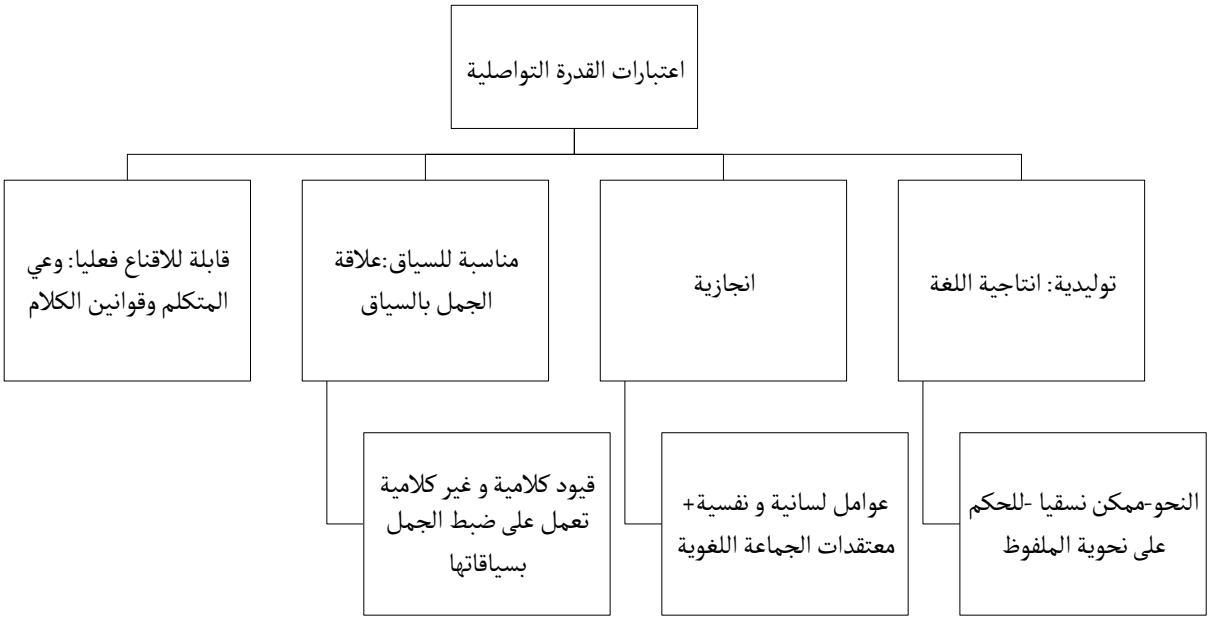


رسم تخطيطي يوضح مكونات القدرة التواصلية كما يصفها (هايمز)

**ثالثا– نمذجة القدرة التواصلية :**

يعرف النموذج بأنه فكرة ذهنية يتم افتراضها من خلال إنشاء تصورات نظرية للواقع الموصوف،مما يجعله إنشاء تقريبيا يكتفي بمماثلة ما يقع تقريبا بهدف تبسيط معرفة تتسم بأنها ذات طبيعة معقدة نظرا لتجردها و تركيبها، فهي " مبدأ أو تقنية تمكن الباحث من بناء نموذج لظاهرة أو لسلوك عبر إحصاء المتغيرات أو العوامل المفسرة لكل واحدة من هذه المتغيرات؛ فهي مسلك علمي يمكن من فهم الأنساق المركبة و المعقدة عبر خلق نموذج يكون بنية صورية تعيد إنتاج الواقع افتراضيا"[1]، وهو ما سعت اللسانيات إلى القيام به فقد لجأت إلى صياغة نماذج تحاول من خلالها رسم تصور لظاهرة النشاط اللغوي باعتباره نظاما مشفرا ومعقدا كامنا في الذهن البشري ، مما يجعله بعيدا عن الملاحظة المباشرة ، وذلك بأن تضع النظرية

[1] عبد الرحمن محمد طعمة،البناء العصبي للغة،دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفانية،دار كنوز المعرفة،الأردن،ط1،2017،ص 104

اللسانية تصورا لجهاز يعطي تشغيله نتائج مشابهة لتلك المعطيات اللغوية المشاهدة ، فصياغة النماذج إذن وسيلة لتشغيل النظرية، تسبر مدى مناسبتها للوقائع التي تعمل على تفسيرها . من هذا المنظار،كلما كان النموذج بسيطا ، كانت قدرته التفسيرية أكبر ، بما أنه يمكن تحديد الدور الذي يؤديه كل عنصر داخل النظرية[1] .

وبالتأمل في ما أفرزه البحث اللساني من نماذج ترتبط بنظرية أو بأخرى ، فإننا نجد تمايزا في بنيتها مكمنه الاختلاف في المنطلق النظري و المعطى اللغوي الذي تشتغل عليه ، إلا أنها ورغم ذلك تتفق في الهدف الذي تتوخى تحقيقه وهو أن تتمكن من "تمثيل الآليات الصورية و المنطقية لبناء الأنحاء grammar الصالحة لتمثيل خصائص جهاز اكتساب اللغة و التي تمت صياغتها وفقا للنسق الإفتراضي"[2]، لترسم بذلك خصائص للنموذج النحوي محققة مجموعة من الشروط التي أوردها البوشيخي في نقاط هي:

1. "يقوم على فكرة المحاكاة
2. يصاغ صياغة صورية
3. يرتبط بإطار نظري ،و يعكس جوهر ما يريد فيه من افتراضات
4. تتدرج النظرية اللسانية التي ينتمي إليها في إطار برنامج علمي واضح "[3].

قام الباحث اللساني ( **جورج مونان** ) بتصنيف النماذج اللسانية من حيث بنيتها وذلك بالاعتماد على أنظمة العلامات و توصل إلى أنها تنقسم إلى نوعين هما:

1-الأنظمة التواجهية .
2-الأنظمة الداخلية .

[1] Mounin,G,Le modèle en linguistique, encyclopidia universalis,paris,tome IX,2002,p303

[2] ينظر:محمد الملاخ، المقاربة الإبستسمولوجية في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، مجلة تبين للدراسات الفكرية و الثقافية، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، الدوحة،قطر،مج 3، ع 10،2014،ص 166

[3] عز الدين البوشيخي، مفهوم النموذج اللساني وشروط بنائه،أعمال اليوم الدراسي :اللسانيات و اللغة العربية بين النظرية و التطبيق، المغرب، مكناس، 1991،ص 96

ولكل واحدة منها أقسام تنضوي بدورها تحتها ، يمكن تفصيلها في الشكل الآتي.

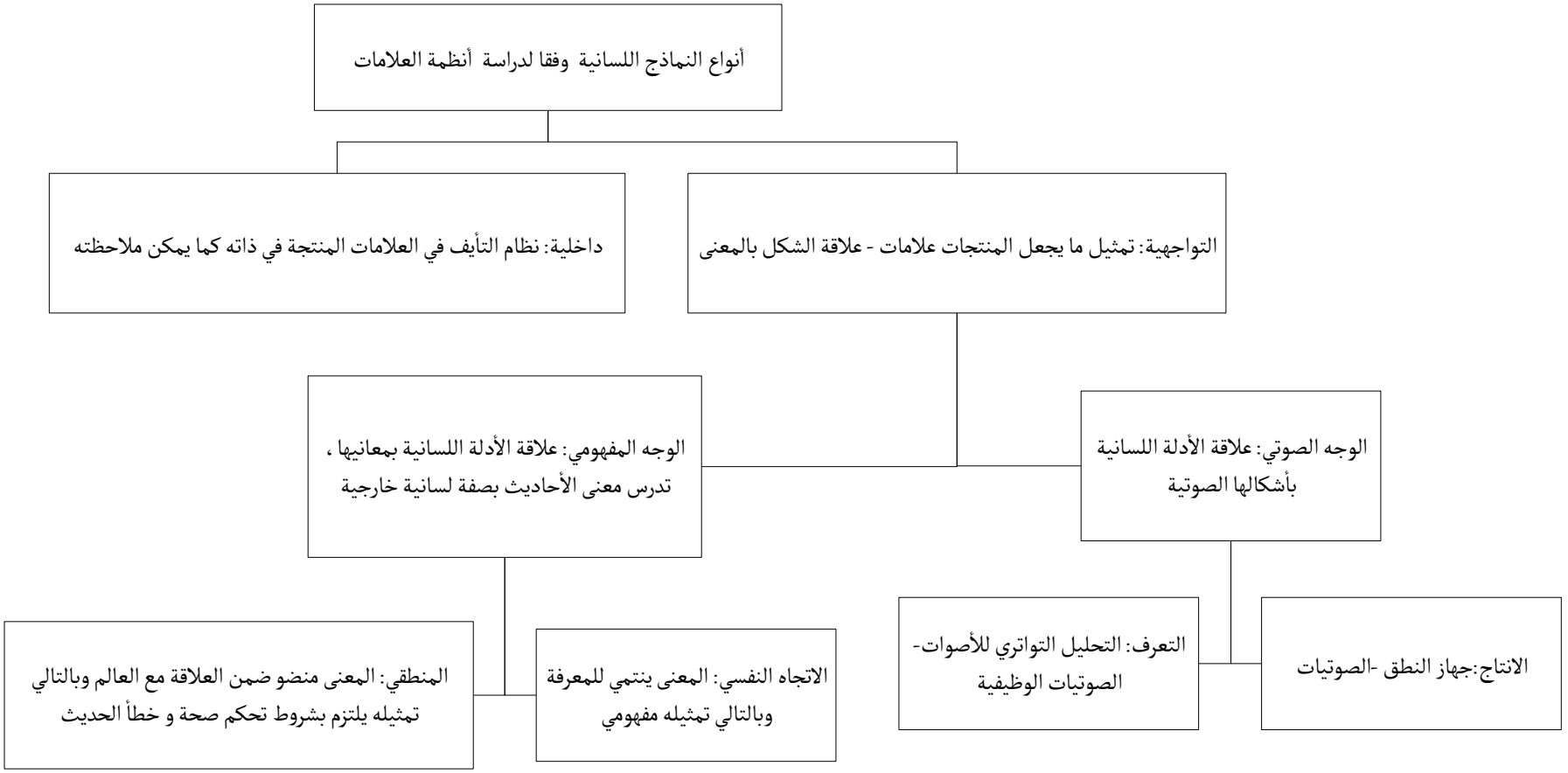


رسم تخطيطي يوضح أنواع النماذج اللسانية وفقا لأنظمة العلامات

وبناء النموذج في البحث اللساني تفرضه طبيعة المعرفة نظرا لما تملكه من أهمية كبرى ؛حيث " يسمح النموذج بقياس دقة معارف الباحثين لأنه يوضح علاقات تنطلق من فرضياتهم، تؤدي عملية التحقق من هذه الفرضيات تأويل النتائج ومقارنتها مع الظاهرة الشاهدة إلى دفع النشاط العلمي نحو الأمام، حيث تشكل صياغة النماذج أرقى صور النشاط العلمي بعد الملاحظة و الوصف و التصنيف والتعميم"[1]،واللسانيات لم تكن بعيدة عن تبني هذا في بحثها ،فقد اجتهد اللسانيون في بناء نماذج سعى كل واحد منهم من خلالها إلى تفسير النشاط اللغوي بما يحويه من معطيات منها القدرة التواصلية " فالأنحاء التي يبنيها اللساني هي أنحاء للقدرة ، يفترض فيها أنها تمثل للمعرفة الداخلية التي تمكن المتكلم من فهم اللغة و إنتاجها"[2]، ومن هذه الزاوية يمكن الوصول إلى أن القدرة التواصلية يمكن إخضاعها للنموذج التواجهي بهدف تمثيلها بحيث يتضافر كل من الوجه الصوتي و الوجه المفهومي كالتالي:

فهي من حيث تمثيل المعنى تخضع للاتجاه المنطقي الذي ينقل الحديث من بنيته اللسانية إلى بنيتها الدلالية بالخضوع لمجموعة من الشروط المستمدة من العالم عن صحة أو خطأ الحديث ، وهو ما يقع تحت شق استعمال اللغة، بينما تتبنى الصوتيات مهمة الإنتاج و التعرف على الكلام .

ولعل أبرز نموذج اهتم بوصف و تفسير عملية انتقال الحديث من بنيته اللسانية إلى بنيته الدلالية ضمن حيز تداولي، وتمكن من الجمع بين طرفي القدرة التواصلية ؛ النحوي و التداولي هو نموذج مستعملي اللغات الطبيعية، إذ أنه يقارب اللغة بوصفها نظاما وظيفته الأساسية هي التواصل ، فتكون غاية النموذج هي وصف و تفسير القدرة التواصلية باعتبارها مجموعة من الطاقات المتكاملة فيما بينها في انجاز الحدث التواصلي ممثلة في:

- "الطاقة اللغوية المسؤولة عن إنتاج العبارات اللغوية و تأويلها
- الطاقة المعرفية المسؤولة عن تخزين المعلومات و تنظيمها

[1] نقلا عن: رضا بابا أحمد، مفهوم النموذج في الدراسة اللسانية الصورية،مجلة Paillet et Dugas,1977 ,95 قراءات، منشورات كلية الآداب و اللغات، جامعة معسكر، الجزائر، ص ص 223،234

[2] عز الدين البوشيخي، مفهوم النموذج اللساني و شروط بنائه، ص94

- الطاقة المنطقية المسؤولة عن استنتاج معلومات جديدة من معلومات معطاة
- الطاقة الإدراكية المسؤولة عن إدراك المحيط و اكتساب المدركات واستعمالها
- الطاقة الاجتماعية المسؤولة عن مراعاة الأوضاع الاجتماعية لكل من المتكلم و المخاطب أثناء قيام التواصل اللغوي بينهما"[3].

**مجمل القول :**

حاول الفصل الوقوف عند أهم نقاط التحول التي ميزت الدرس اللساني ؛ منذ ظهوره كعلم مستقل له حدود وإجراءات و مباديء معرفية يهدف من ورائها إلى دراسة النشاط اللغوي دراسة علمية ، إذ سعى إلى تتبع تطور البحث اللساني وتحديد الاختلاف و التشابه القائم بين الباحثين اللغويين من خلال نظرياتهم ، وملاحظة انفتاح الدرس اللساني على حقول معرفية أخرى ساهمت في اقترابه من الظاهرة اللغوية ، مما سمح له بدراستها و معالجتها بشكل أعمق و أدق ، وبالتالي إنتاج نماذج متمايزة من حيث الرؤية الفلسفية المتبناة ، والمنهج المتبع في المقاربة ، و الكفايات التي يسعى كل نموذج إلى تحقيقها في شكل اتجاهات بحثية لسانية شكلت في النهاية خريطة الدرس اللساني الحديث ، والتي نقترح ضبطها في الشكل التالي :

[3] عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي، ص 46

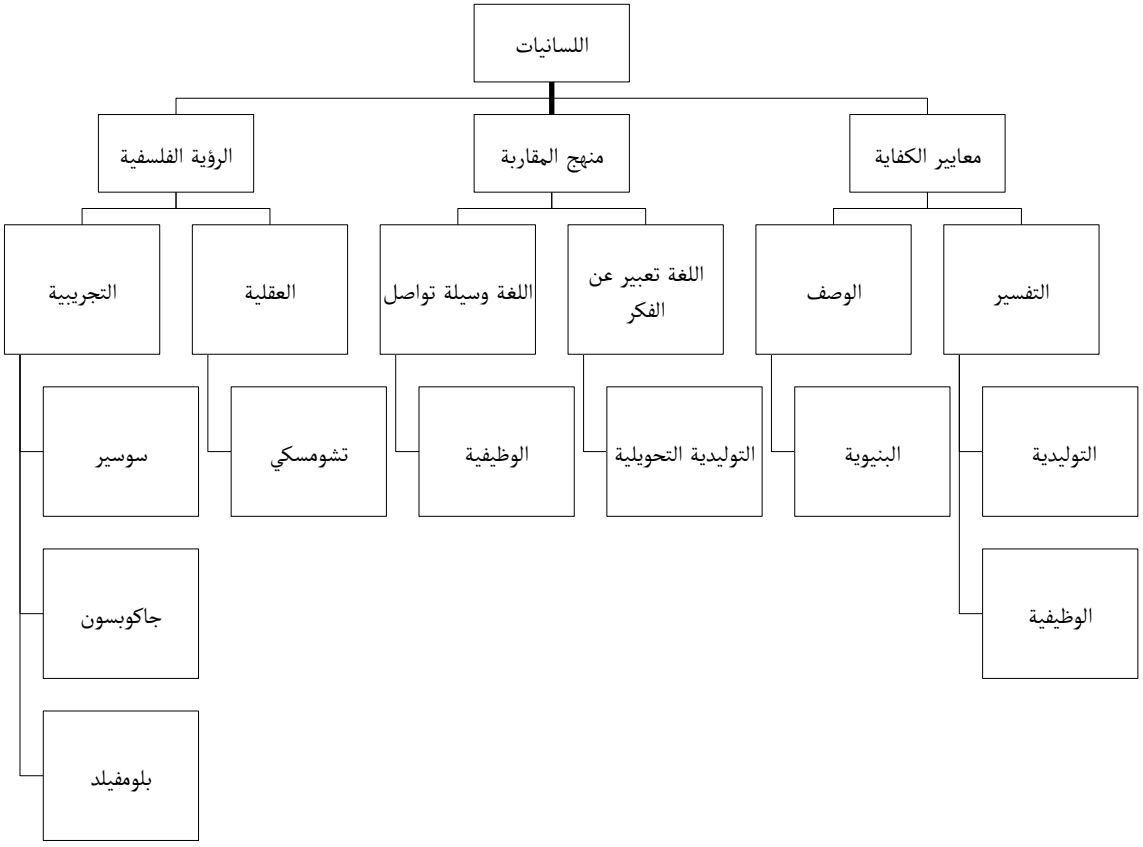


رسم توضيحي لأهم تيارات البحث اللساني وفقا للخلفيات الفلسفية و مناهج المقاربة معايير الكفاية

يهدف الفصل إلى تتبع مسارات التيار الوظيفي في حركة الدرس اللساني ، وذلك بالوقوف على أهم ما جادت به قريحة الباحثين اللغويين من أفكار و مفاهيم كالوظيفية و ما ينسب إليها نحو علم الأصوات الوظيفي و النحو الوظيفي ، أو ما يتصل بها كوظائف اللغة و الورود التواصلي ،إضافة إلى دفاعها عن وجود علاقة تربط التراكيب اللغوية بسياقاتها وتحليلها وفق هذه الوجهة .

أدت هذه المفاهيم و غيرها إلى تأسيس مجموعة من النظريات التي يمكن تقسيمها إلى :

أ- **نظريات ذات بعد وظيفي** ،إلا أنها ما تزال تحمل صبغة بنيوية أو توليدية تحويلية ؛ كمدرسة براغ الفونولوجية ، والتي قدمت نموذجا للتحليل الصوتي ضمن نظرية الفونيم (phoneme) قابل للتطبيق بشكل عالمي ، والدلالة التحويلية بمحاولتها رتق بعض فتوق النظرية التوليدية من خلال نموذج البراغمانتكس، وغيرهما من النظريات البنيوية ذات البعد الوظيفي.

ب-**نظريات وظيفية** قائمة بذاتها تمكنت من مقاربة الظاهرة اللغوية بشكل أوسع و أدق من خلال تطعيم نماذجها بالمكون التداولي الذي استقته من انفتاحها على فلسفة اللغة و التداولية كنظرية النحو الوظيفي، و التركيبات الوظيفية و غيرها .

تغوص المباحث التالية في هذه المسارات لتكشف النقاب عن حدود التوجه الوظيفي بالتعرض لأسسه و قواعده و إجراءاته في التحليل و البحث اللساني .

## المبحث الأول: التحول نحو الوظيفية في مقابل الصورية:

### أولا: الوظيفة و الوظيفية

#### أ- مفهوم الوظيفة لغة :

جاء في لسان العرب: "الوظيفة من كل شيء : ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب،وجمعها الوظائف الوظف، ووظف الشيء على نفسه ووظف توظيفا: ألزمها إياه، وقد وظفت له توظيفا على الصبي كل يوم حفظ آيات الله من كتاب الله عز وجل.

وقال الأصمعي:...وجاءت الإبل على وظيف واحد إذا تبع بعضها بعضا كأنها قطار، كل بعير رأسه عند ذنب صاحبه،وجاء يظفه؛ أي يتبعه..، ويقال: وظف فلان فلانا يظفه وظفا، إذا تبعه،مأخوذ من الوظيف"[1].

يعقب يحي بعيطيش عن المعنى اللغوي بقوله : " إن لفظة الوظيفة وردت بمعنيين ، أحدهما التقدير أو التعيين لأمر حيوي في حياة الكائن الحي كالماء أو الطعام للإنسان و العلف للحيوان، والأخرى الوظيفة وجمعها وظف وهي أقرب إلى معنى الدور، أي أدوار الحياة و تبدلاتها "[2].

#### ب- مفهوم الوظيفة في المعاجم اللسانية :

يقابل ( الوظيفة) في اللغات الأجنبية مصطلح (function) بالإنجليزية ، ومصطلح (fonction) بالفرنسية ، والتي جاءت في القواميس اللغوية كما يلي:

1-في قاموس (جين دوبوا و آخرين Jean dubois et autres ) والذي عنونه ب (قاموس اللسانيات و علوم اللغة) ذكر أن الوظيفة هي : الدور الذي يقوم

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ودار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1956، 9/ مادة ( وظف )

[2] يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري قسنطينة،2005-2006،ص18، مخطوط

به عنصر لغوي؛صوت،مقطع،كلمة، مركب، في البنية التعبيرية لتركيب البيان[1].

2-قاموس (اللسانيات و الصوتيات dictionnary of linguistics) لصاحبه (ديفيد كريستال David Crystal ) يعرف الوظيفة بأنها : العلاقة بين شكل لغوي و أجزاء أخرى من النمط أو النظام اللغوي الذي يتم استخدامه فيه.على سبيل المثال في القواعد يمكن للعبارة الاسم أن تكون وظيفيا في البنية : فاعلا، مفعولا، مكملا،...إلخ، وهذه الأدوار يتم تحديدها توزيعيا[2].

يلاحظ أن المعجمين كلاهما يتفق أن الوظيفة تعني الدور الذي يؤديه العنصر اللساني مهما كانت طبيعته ضمن البنية التركيبية في عملية الإبانة ، من خلال تحديد علاقة شكل المعطى اللساني ببقية المستويات اللغوية ضمن النظام ككل كأن يكون فاعلا ، أو مفعولا، أو مكملا،وهو ما يتم تحديده بواسطة التوزيع ، في نطاق الدلالة أو التركيب أو التداول .

3-نجد في المنظور النحوي المفهوم ذاته بحيث تعبر الوظيفة عن " المعنى المحصل من استخدام الألفاظ أو الصورة الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي التركيبي"[3]،فالوظيفة هنا هي تلك القيمة الدلالية التي تكتسبها صيغة المفردة بعد دمجها في تركيب معين يأتي في شكل سلسلة كلامية ومنه يمكن القول بأنها تعبير عن شبكة العلاقات الناتجة عن الدمج المستمر للألفاظ بغرض إنتاج معنى محدد، وهي تتوافق مع ما يذهب إلية الوظيفيون بقولهم : " علاقة يمكن أن تقوم بين عناصر الجملة الواحدة أو

[1] Jean Dubois et autres, dictionnaire de linguistique et des sciences de langage,p204" On appelle fonction le role joué par un élément linguistique ; phonéme, morphéme, mot, syntagme, dans la structure grammatical de l'énoncé"

[2] David Crystal ,dectionary of linguistics and phonitics, balckwell publishing,6th edition,2008,p201", the relationship between a linguistic form and other parts of the linguistic pattern or system in which it is used.in grammar,for example, the noun phrase can « function » in clause structure as a subject,object,complement,..etc, these roles being defined distributionally"

[3] فاضل مصطفى الساقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص 203

بين الجملة داخل نفس النص أو بين النصوص التي ينتظمها الخطاب الواحد "[1]، وهي تنقسم إلى نوعين يبرزهما الشكل التالي:

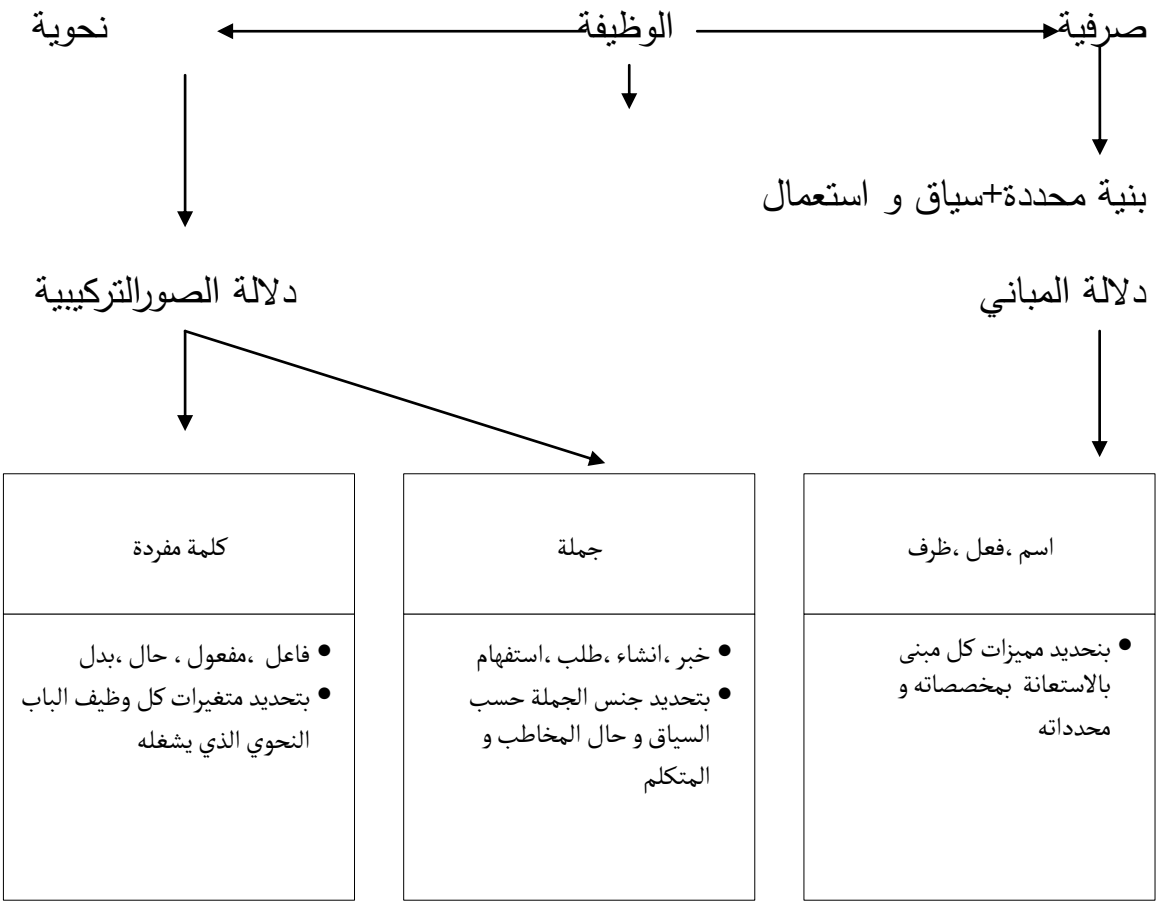


رسم توضيحي لمعنى الوظيفة في النحو

ووفقا للشكل السابق تكون الوظيفة في النحو كما يرى الساقي عبارة عن : " تلك المعاني الحاصلة بامتزاج الثوابت الصرفية مع المتغيرات النحوية"[2].

ويمكن أن يتجاوز مصطلح معنى الدور الذي يقوم به العنصر اللساني ، ليصل إلى التعبير عن دور اللغة ككل بوصفها نظاما للتواصل بين أفراد المجتمع من خلال نقل الأفكار و الاتجاهات وغيرها ضمن وضعيات اجتماعية مختلفة تتراوح بين ما هو تنوع رفيع وما هو تنوع وضيع وهو ما يفصح عنه قاموس اللسانيات

[1] محمد الحسين مليطان،نظرية النحو الوظيفي، الأسس والنماذج و المفاهيم، ص 151
[2] فاضل مصطفى الساقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة،،ص211

والصوتيات بالنص الآتي : دور اللغة الذي يلعب في سياق المجتمع أو الفرد ، يشار إليه بمصطلح (الوظيفة)/وظيفة اجتماعية ، على سبيل المثال تستخدم اللغة (وظائف) لتوصيل الأفكار و التعبير عن المواقف ما إلى ذلك ، و يمكن أيضا استخدامها لتحديد حالات لغوية اجتماعية محددة مثل الطابع غير الرسمي أو الحميمي[1].

وخلاصة مفهوم الوظيفة هو أنها تحمل معنين:

1. الدور الذي يمثله و يجسده العنصر اللساني ضمن النظام اللغوي ما يمكن أن يعبر عنه بعلاقة (ع) ويطلق عليها الوظيفة العلاقة.
2. يمكن أن تدل على دور النظام ذاته ضمن الجماعة اللغوية التي تتبناه كوسيلة للتواصل وهو ما يعرف بالوظيفة الدور ، ويمكن تحديد وضع وأداء كل منهما في المخطط التالي[2]:

[1]David Crystal ,dictionnary of linguistics and phonitics,p201
"the role language plays in the context of society or the individual is also

referred to by the term « function »- social function-.for example ,language is used « functions » to communicate ideas, to express attitudes, and so on. It may also be used to identify specific sociolinguistics situations,such as informality or intimacy"

[2] ينظر: أحمد المتوكل،التركيبات الوظيفيةقضايا و مقاربات، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب،ط1،2005،ص ص21،23

رسم تخطيطي يوضح مفهوم مصطلح (الوظيفة ) كما أورده المتوكل في كتاباته

**ثانيا- الوظيفية وحدود الحيز الوظيفي :**

الوظيفية هي ما ينسب إلى الوظيفة، ويقابلها في اللغات الأجنبية مصطلح (functional) بالإنجليزية و مصطلح (fonctionnel) بالفرنسية ، والتي وردت في المعاجم اللغوي للدلالة على مصطلحات هي :

**أ- وجهة النظر الوظيفية -le point de vue fonctionnel :**

تتمثل وجهة النظر الوظيفية ، في التحليل اللغوي ، في وصف بنية اللغة، المعرفة في المقام الأول كأداء للتواصل.في هذه الحالة، يتم تحليل جميع الوحدات اللغوية ، والعلاقات التي تحافظ عليها وفقا لدورها (وظيفتها) في إنشاء الاتصال[1]، فهي تعبر في التحليل اللساني عن رؤية للغة بوصفها أداة

[1] George Mounin, dictionnaire de la linguistique, p143-144
"le point de vue fonctionnel, dans une analyse linguistique, consiste a décrire la structure d'une langue, définit avant tout comme une instrument de communication.

للتواصل ، مما يدفع إلى تحليل الوحدات اللسانية وفقا لدورها الذي تؤديه في عملية التخاطب،وفي هذا إشارة إلى توظيف المعنى في انجاز التحليل اللساني الوظيفي ، وهو ما تبنته مدرسة براغ في تصنيفها للمونيمات "دراسة اللغة هي، قبل كل شيء،البحث عن الوظائف التي تؤديها في التواصل:العناصر،و الأصناف، و الآليات التي تتدخل فيها.وأن هذه الوظائف لتكون بالنسبة إليهم،قائمة في أصل التنظيم و البنية الداخلية للغات "[1]،والتي تكشف بإجراء التقطيع والاستبدال، ويذهب ( **الحاج صالح** )المذهب ذاته في تفسيره لمبدأ الوظيفة الذي تتبعه مدرسة براغ بقوله "أخص شيء تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها هو اعتمادها الأساسي على العمل أو ( الدور ) الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ و لهذا سميت النزعات عنها ومنها مدرسة مارتيني الفرنسية بالوظيفية"[2].

**ب- النحو الوظيفي – functional grammar:**

وهي نظرية لسانية ظهرت كبديل للاتجاه الصوري المقدم من طرف النظرية التحويلية،فهي تستند في بنائها إلى تداولية اللغة باعتبارها تفاعلا اجتماعيا ، بحيث تركز النظرية على القواعد التي تحكم التفاعل اللفظي أو التخاطبي بوصفه احد أشكال الأنشطة التعاونية دون نسيان قواعد التركيب و الدلالة و الفونولوجيا التي تتحكم في التعبير اللساني المستخدم كأداة لهذا النشاط[3].

وقد أحدثت تأثيرا فعالا في ساحة الدرس اللساني ؛إذ جعلت الباحثين اللغويين يعيدون حساباتهم وهو ما يصرح به (**رويز**) في موجزه بالحديث عن مدى هذا

---

Dans ce cas, toutes les unités linguistiques et les relations qu'elles entretiennent sont analysées et d'écrites compte tenue de leur rôle – fonction- dans l'établissement de la communication"

[1] اوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان،تر: منذر العياشي،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط2،2007،ص49

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات،مج 2، الجزائر ،ع 1،1972،ص54

[3] David Crystal, dictionnary of linguistics and phonitics, p202

"functional grammar : a linguistics theory which was as an alternative to the abstract,formalized view of language presented by transformtional grammar, and relying instead on a pragmatic view of language as a social interaction .The approach focuses on the rules which govern verbal interaction, seen as a form of co-operative activity, and on the rules –of syntaxe, semantics and phonology- which govern the linguistic expressions that are used as instruments of this activity"

التأثير قائلا: " دفعت أصحاب بعض النظريات اللسانية الأعرق مثل النظرية التوليدية و التحويلية إلى إعادة النظر في أسس نظريتهم و مبادئها، أو تركها و التحول عنها إلى التيارات الوظيفية"[1].

### جـ - اللسانيات الوظيفية - functional linguistics:

مصطلح واسع النطاق يستعمل للدلالة على مختلف الاتجاهات التي تسلط الضوء على علاقة بنية اللغة بوظيفتها، وفقا لهذه الرؤية تعتبر السمات البنائية للغات تطورا و استمرارا في التطور نتيجة للتنافس المعرفي و التواصلي و البيئي ، و الضغوطات الاجتماعية، مما يدفع بالبحث الوظيفي إلى التعامل مع اللغة لا ككائن رسمي بحت أو كنظام مغلق مستقل بذاته، بل يعتبر اللغات تكاملا محكما مع الاستعمال و مستعمليها [2]،يمكن القول من خلا ل هذا التعريف أن اللسانيات الوظيفية تقوم على نقاط أساسية ثلاث هي:

1- . تحلل اللغة بوصفها حدثا تواصليا ، ما يعني الاهتمام بالسياق الداخلي و الخارجي الذي تنتظم فيه اللغة .
2- السمات البنيوية تتطور وفقا للتواصل القائم بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة وهو ما يثبته تنوع مستويات الاستعمال اللغوي بين التنوع الرفيع والوضيع و اختلاف الأغراض بتمايز مقامات الكلام .
3- علاقة البنية بالوظيفة هي علاقة تبعية .

فكل توجه في البحث اللساني يتبنى هذه الأسس ينتمي بشكل مباشر للتيار الوظيفي ، والتي حددها **(أحمد المتوكل)** في قوله : " وإلى هذا المصطلح تنسب

[1] روبنز،موجز تاريخ علم اللغة،تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1997،361-362

[2] Patrick colm, the cambridge encyclopedia of the language sciences, cambridge university press, 2011, p327
"functional linguistics : broadly defined,uncluds a wide range of divers aproaches that hilight the interdepandence of language structure and language function . in this view structural features of languages have evolved-and continue to develop-as a result of competing cgnitive,communicative, ecological,and social pressures.functional research treats language neither as a purely formal object nor as a closed autonomous system ;rather it considers languages form to be tightly integrated with both the useds and users of language"

مدارس و اتجاهات لغوية بدأت تبرز مع ظهور مدرسة براغ و تحاول أن تفسر الظاهرة اللغوية من كل جوانبها ومن هذه الاتجاهات: الاتجاه الوظيفي الذي يعتبره اللغويون موقفا نقديا من التيار البنيوي الذي انبثق عنه وعد مندرجا فيه )[1]، وبالتالي يمكن القول بأن الوظيفية هي نمط تفكير ينظر إلى اللغة و علاقتها بالوجود من زاوية اشتغالها كنظام تواصلي ، يسعى لكشف مختلف الوظائف التي تؤديها عناصر اللغة في مختلف مستوياتها في ضوء أبعاد تداولية، وهذه الأسس هي بمثابة محددات للحيز الوظيفي الذي تنطوي تحت مسمى الوظيفية ، يقول أحمد المتوكل بصدد هذا : " تتآسر النظريات اللسانية التي تعنينا هنا في المنطلقات المنهجية الأولية . فهي جميعها تؤمن بمشروعية الوظيفة في الدرس اللغوي و آداتية اللغة و تبعية بنية اللغة لوظيفة التواصل كما تؤمن بتأثير المستعملين و سياق الاستعمال في نسق اللغة"[2]، وهو ما يتوافق و مصطلح (اللسانيات الوظيفية ) الآنف الذكر.

فالمنحى الوظيفي في البحث اللساني يتسم بالتركيز على العلاقات القائمة بين مختلف عناصر النظام اللغوي وفقا لقانون تبعية المبنى للمعنى ضمن سياق تخاطبي ما بهدف تحقيق الوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل ، فلا وظيفية إلا بوجود مبدأين كما يقول يحي بعيطيش ، و الذي حددهما في :

1. "اعتبار الوظيفة التبليغية (التواصلية ) هي الوظيفة الأساسية للغة، وأنها تعكس إلى حد بعيد الخصائص البنيوية للتراكيب اللغوية (صوتية،صرفية، تركيبية) في الجملة أو النص .
2. لا يعد النموذج النحوي نموذجا وظيفيا، إلا إذا أفرد فيه مستوى خاصا للوظائف التداولية، باعتبارها خصائص تسهم في تحديد البنية التركيبية الصرفية للجملة أو النص "[3].

[1] عبد القادر المهيري، المدارس اللسانية، اللسانيات الوظيفية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس،ط1990،2، ص39

[2] المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول و الامتداد، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2006، ص 49

[3] يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي،أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة،إشراف :عبد الله بوخلخال،جامعة منتوري،قسنطينة،2005،2006

بعد تفعيل عنصر الوظيفة بمبدأيها ، اي معالجة المعطيات اللغوية وتفسير الظواهر وفقا للقيمة التواصلية للغة،وانعكاسها بشكل مباشر في بنية النماذج التي تشتغل بها ، يمكن التمييز بين مجموعتين من الأنحاء :

1-**النحو الصوري:** يقف فيه التمثيل في مستوى الوظائف التركيبية (النحوية ) كالفاعلية و المفعولية ،... ولاتصل إلى تمثيل الوظائف المرتبطة ببقية المستويات العليا ممثلة في الدلالة و التداول ، واعتبار هذه الأخيرة مكونات تأويلية مشتقة عن المكون الصرفي التركيبي أساس النموذج ، فهي تبحث عن تفسير خصائص اللسان بمعزل عن معطيات السياق ، ويمثل الشكل التالي بنية النموذج المشترك لكل نظرية تتبنى نحوا صوريا :

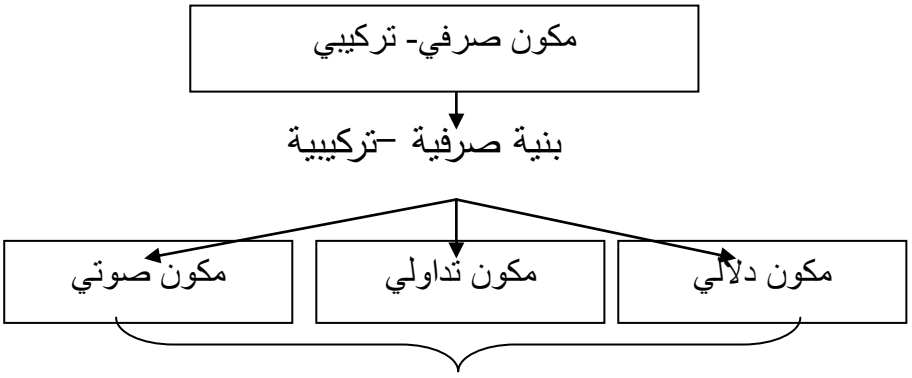


رسم تخطيطي لبنية النموذج المشترك للأنحاء الصورية[1]

[1] أحمد المتوكل،المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 40

**2-النحو الوظيفي:** " هو كل نحو يعتبر أن الوصف اللغوي الكافي هو الوصف الذي يسعى إلى تحقيق الكفاية التداولية ( Pragmatic adequacy) ...، وتتحقق الكفاية التداولية حين يستطيع الوصف اللغوي أن يرصد التفاعل القائم بين بنية اللغات الطبيعية ووظيفتها التواصلية ،أي حين يستطيع أن يربط بين الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية و الأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها "[1].

فالنحو الوظيفي يسعى إلى تمثيل علاقة البنيات اللغوية (الوظائف التركيبية ) بالأغراض التبليغية (الوظائف الدلالية و التداولية) ، واعتبار المكون التداولي هو حجر أساس النموذج من خلال تزويده لبقية المكونات ( دلالي، صرفي – تركيبي،صوتي ) بمعطيات السياق التي تمكنه من تحديد آليات اشتغال القدرة التواصلية ، ويمثل الشكل التالي بنية النموذج المشترك لكل نظرية وظيفية .

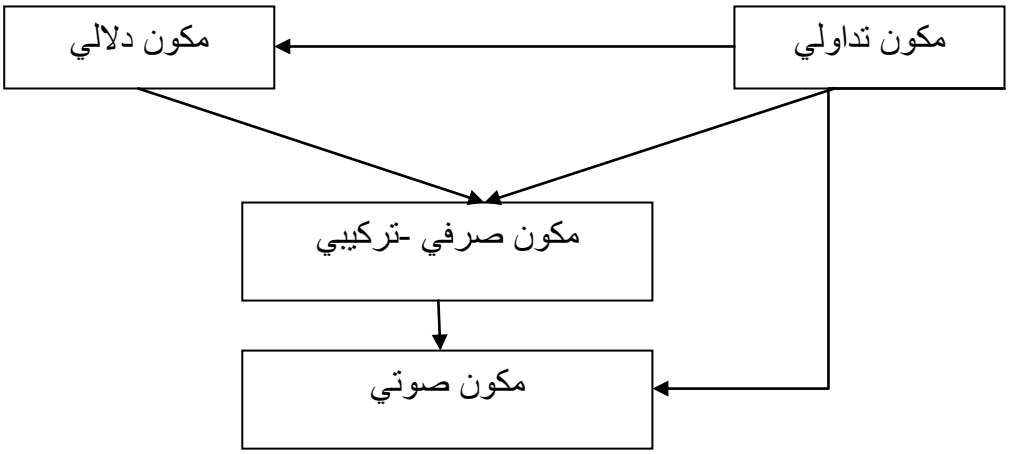


رسم تخطيطي يوضح بنية النموذج المشترك للنظريات الوظيفية[2]

رغم تمايز المجموعتين من حيث المبادئ و الأهداف وبالتالي ما نتج عنهما من نماذج ، إلا أنه يمكن القول بوجود علاقة احتواء بينهما، فالأنحاء الصورية جزء من الأنحاء الوظيفية لأن هذه الأخيرة تحمل في بنية نموذجها تمثيلا للعلاقات

[1] أحمد المتوكل،من البنية الحملية إلى البنية المكونية، الوظيفة المفعول،دار الثقافة، الدار البيضاء،1987،ص5
[2] أحمد المتوكل،المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 41

التركيبية ، بينما يغيب تمثيل العلاقات الدلالية و التداولية في النموذج الصوري،وبالتالي يمكن إعادة ترتيب النظريات و المدارس اللسانية بالعودة إلى مبدأ وظيفة اللغات إلى نظريات لسانية صورية وأخرى وظيفية ، وهذه الأخيرة تأخذ بعين الاعتبار" البعد التداولي في وصف اللغة ومنها ما كان يدعى بالدلالة التوليدية،والنظرية الوظيفية المقترحة في إطار مدرسة هارفارد الأمريكية ،و المدارس الأوروبية،التي منها المدرسة النسقية ومدرسة براغ، وأخيرا النحو الوظيفي ليسمون ديك "[1]، بحيث تتتفرع بدورها إلى :

1. **وظيفية ذات بعد بنيوي** :ظهر مع حلقة براغ اللغوية التي تأثرت بآراء سوسير إلا أنها استقلت بنظرتها و بإجراءاتها في التحليل اللساني من خلال اهتمامها بوظيفة بنية ونظام اللغة بوصفها "نظاما وظيفيا يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير و التواصل "[2].
2. **وظيفية ذات بعد تداولي** :يربط النظام اللغوي بمجموع معطيات السياق الذي تمت فيه العملية التواصلية.

يمكن القول بأن انقسام التيار الوظيفي إلى مجموعتين لهو دليل على التأقلم و التكيف الكامن في أنحائها نظرا لما عرفه الدرس اللساني من تحولات ممثلة في البنيوية و التوليدية التحويلية ؛ فقد تضمنت البنيوية مجموعة من الأعمال ذات التوجه الوظيفي قام بها أعلام كل من حلقة براغ **(prague)** التي أبرزت توجهها الوظيفي في نشاطات عديدة وعلى رأسها الصوتيات ، لتترك بذلك أثرا في الساحة اللسانية كان من بين التابعين له أندري مارتيني ، وإلى جانبها اشتغلت مدرسة لندن مع كل من فيرث ( **Firth**)و هاليداي **(halliday)** ببحث علاقة السياق باللغة ، وإعادة الاعتبار له في التحليل اللساني بوصفه عنصرا فعالا في بنية اللغة و إنشاء الخطاب ، لتكتمل بذلك نواة الوظيفية وتكسب ليونة استطاعت بفضلها أن تتحرك و تحتك بالتيار التوليدي التحويلي وتؤثر به داخليا ؛مما نشأ عنه نظريتا البراغمانتكس و

[1] أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1986،ص 26
[2] عبد القادر المهيري، المدارس اللسانية ،ص40

التركيبات الوظيفية ، وفي الوقت ذاته أن تتطور خارج إطارها و تستقل بنماذج كنظريتي التركيب الوظيفي والنحو الوظيفي .

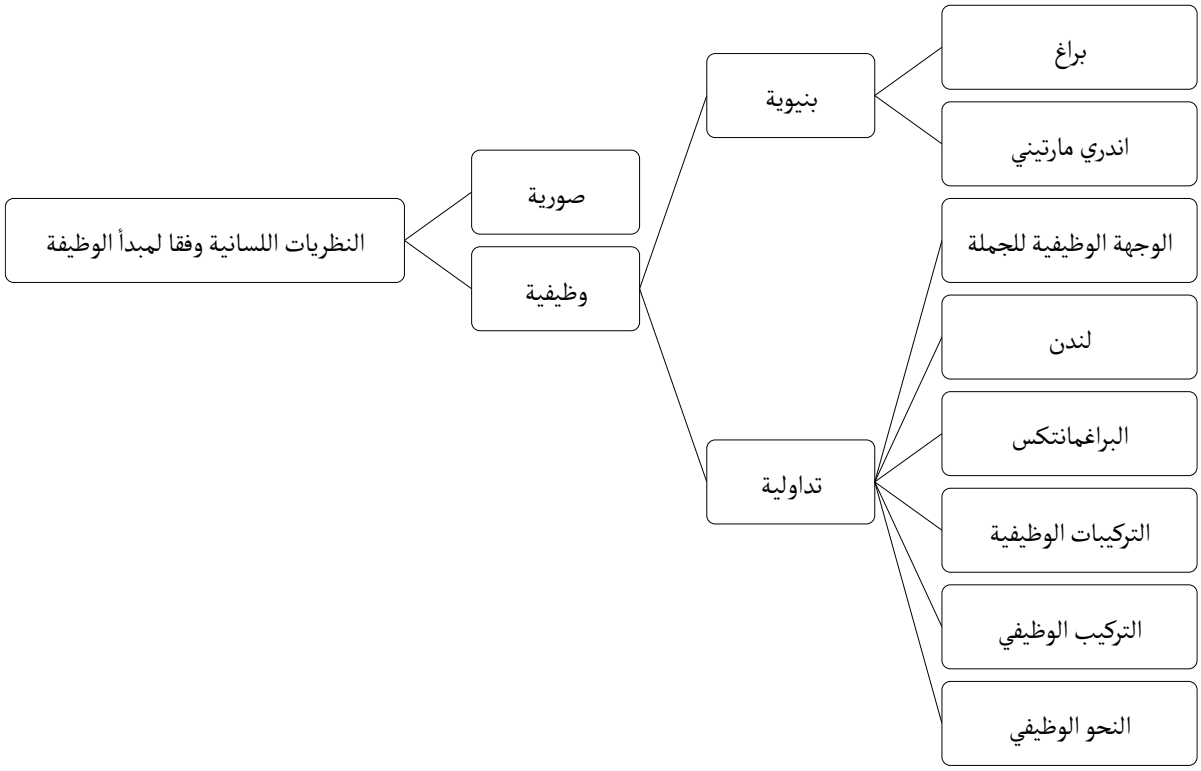


رسم توضيحي لأهم تيارات البحث الوظيفي

## المبحث الثاني: الوظيفيات البنيوية:

**أولا- حلقة براغ الوظيفية (prague):** تمثل بداية تشكل المنحى الوظيفي واستقلاله في الدرس اللساني من خلال تبنيها لفكرة وظيفة اللغة بوصفها أداة للتواصل " تتميز اللسانيات في براغ بنظرتها إلى اللغة من خلال الوظيفة،ولا أقصد في هذا أن أعضاء مدرسة براغ كانوا يرون أن اللغة ككل تؤدي وظيفة ما فحسب، فهذه بديهة لم تكن لتميزهم عن غيرهم ، لكني اقصد أنهم حللوا اللغة بهدف إبراز الوظائف التي كانت مكوناتها البنيوية المختلفة تؤديها في استعمال

اللغة بأجمعها،وهذا ما ميز براغ تمييزا حادا عن معاصريها "[1]، فقد تجاوزت فكرة دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها أي جعل اللغة موضوعا للبحث في ذاته ضمن إطار مغلق إلى جعلها أداة للتواصل مما دفع بها إلى الاهتمام بالجانب التطبيقي لها والذي يتجلى واضحا في الكلام الذي اتخذ كمدونة للتحليل باعتماد مقياس المعنى و إجراء التقطيع "نظر البراغيون في البنية اللغوية في ارتباطها الوثيق بالأبنية المحيطة بها،وبذلك فهم الاتجاه الوحيد داخل علم اللغة البنيوي الذي راعى الواقع غير اللغوي،...،فليست الأجزاء أجزاء من كل فحسب،بل إن لها حياتها وعلاقتها المستقلة بالعالم غير اللغوي"[2] ، وهو المنهج الذي سارت وفقه في جل نشاطاتها التي شملت الدراسة الصوتية الآنية ،والصوتيات الوظيفية التاريخية،والأسلوبية الوظيفية، ودراسة الوظيفة الجمالية للغة و دورها في المجتمع والفنون و الأدب "انفتحت حلقة براغ من خلال علاقة النظرة البنيوية بوظيفة اللغة على مجال واسع للمهام ، فنجد في أعمال أولئك اللغويين تحليلات للبنية،...،وكذلك تناول علاقات اللغة بالواقع غير اللغوي، وبحوث في المقارنة اللغوية أيضا، اي تناول العلاقات بين اللغات المفردة ، وقد مد باحثوا تلك الحلقة النظرة البنيوية إلى كل مستويات النظام اللغوي، إلى الفونولوجياو الصرف و النحو وعلم الدلالة،وعنوا بعلم اللهجات،ومشكلة لغة الكتابة، وأنجزوا ما له أهمية بالنسبة لنظرية الأدب"[3].

تبحث مدرسة براغ عن الوظيفة في النظام بكل مستوياته ، بالانطلاق من مبدأ "أن دراسة اللغة هي، قبل كل شيء،البحث عن الوظائف التي تؤديها في التواصل:العناصر ، والأصناف، والآليات التي تتدخل فيها'وان هذه الوظائف لتكون ، بالنسبة إليهم ، قائمة في أصل التنظيم و البنية الداخلية للغات"[4]، فاللغة وفق براغ هي نظام من الوظائف التي تستدعي ملاحظة تنوعها و صور تحققها من خلال دراسة اللغة ، ففيم تتجلى هذه الوظائف و كيف تتحقق؟

[1] جفري سامسون، مدارس اللسانيات ...التسابق و التطور ، ص 105
[2] بريجيته بارتشيت ، مناج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي،ص 125
[3] السابق ،ص 123
[4] اوزوالد ديكرو،جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان،ص 49

وإجابة السؤال تفرض بصيغة أخرى التأمل في الجانب الوظيفي للحلقة ، والذي برز في أعمال أهمها:

## أ- نموذج التواصل و الوظائف اللغوية لدى رومان جاكوبسون communication functions:

بنى (رومان جاكوبسون) نموذجه التواصلي بالاعتماد على القيمة التواصلية و التبليغية التي تؤديها اللغة ، والتي قسمها إلى فرعين كما تذكر فاطمة الطبال: "من أهم وظائف اللغة التي نادى بها جاكوبسون وأولاها اهتماما بالغا هي وظيفة التواصل التي تتيح للإنسان الاتصال بغيره من بيني جنسه، إلا أن لهذه الوظيفة طابعا ثنائيا يكمن في وجود شكلين من التواصل ، التواصل بالكلام communication oral و التواصل بالكتابة communication ecrite "[1]، فرغم تعدد أنماط التواصل من حيث الأنظمة ، لغوي وغير لغوي ، وحتى تنوع أشكاله في النظام اللغوي وتراوحه بين الشفوي ممثلا في الكلام و المرئي مجسدا في الكتابة ، إلا أن كل حدث تواصلي لا يخرج في أصل تكوينه مهما كان غرضه عن عناصر ستة هي : الرسالة، المرسل، المرسل إليه، الاتصال بينهما،المرسلة – الرسالة – والتي تم تمثيلها في المخطط التالي:

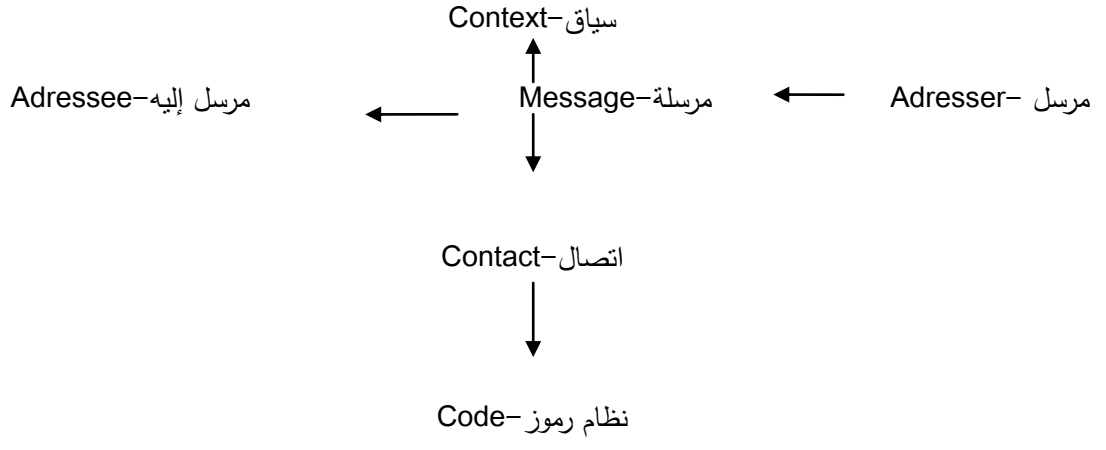


رسم تخطيطي يوضح العناصر المكونة للحدث التواصلي[2]

[1] فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان،ط1،1993،ص 49

[2] السابق ،ص 65

تتولد عن كل عنصر من العناصر:مرسل، مرسل إليه، سياق... وظيفة لغوية معينة تنتج في الأساس من الاحتكاك القائم بينها لانجاز الحدث التواصلي ، مع ما يعرفه من تنوع في الأغراض بسبب اختلاف بنية الرسالة المرتبطة بالوظيفة التبليغية، ووفقا للعناصر السابقة تتحد الوظائف التي ترتبط بها في عملية التبليغ كالتالي :

1. **الوظيفة التعبيرية (الانفعالية / العاطفية Emotive)**: ترتكز على المرسل، تهدف إلى التعبير المباشر عن موقف الموضوع فيما يتعلق بما يتحدث عنه، يميل إلى إعطاء الانطباع عن عاطفة معينة حقيقية أو متظاهرة، سعيا للتأثير.
2. **الوظيفة الندائية (الإفهامية/ Conative )** : تقوم على المرسل إليه بتوجيه رسالة إلى متلق وشد انتباهه من خلال ندائه و دعوته أو أمره للقيام بعمل ما.
3. **الوظيفة اللغوية/ Phatic** : ترتبط بقناة التواصل و التخاطب القائمة بين المرسل و المتلقي ، والتي تتضح في الملفوظات التي تتميز بالخلو من المعنى الحرفي و المشحونة بدلالة واحدة هي إبقاء التواصل ممتدا بينهما أو إنهائه .
4. **الوظيفة ما وراء اللغة (الميتالغوية Metalingual )**: هي الحديث عن اللغة باللغة اي اعتبار اللغة ذاتها محط وموضوع الدراسة وهو ما يتجلى بشكل كبير في أعمال الوصف اللساني .
5. **الوظيفة المرجعية (الإحالية Referential )**: تتمثل فيما تحيل إليه ملفوظات المرسل في الواقع،وعادة ما تكون مشتركة بينه و بين المتلقي ، (الوظيفة المرجعية وظيفة تواصلية و يحققها عنصر السياق و ذلك باستخدام الدليل كوسيلة للتمثيل أو الإخبار أو الشرح )[1].
6. **الوظيفة الشعرية (الإنشائيةPoetic )**:ترتبط بالرسالة ذاتها بما تحويه من معان و دلالات منجزة ضمن الخطاب " إنها تتجلى لا في كون الكلمات و نحوها ومعناها وشكلها الخارجي و الداخلي علامات لا مبالية للواقع، بل من

[1] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية،تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص16

حيث كونها كلمات لها وزنها الخاص و قيمتها الذاتية...إنها إحدى الوظائف الموجودة في كل أنواع الكلام. فبدون الوظيفة الشعرية تصبح اللغة ميتة و سكونية تماما، فالوظيفة الشعرية تدخل دينامية في حياة اللغة"[1].

ويمكن تلخيص وظائف اللغة وفقا للمخطط التالي:

[1] فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، دراسة ونصوص،ص 74

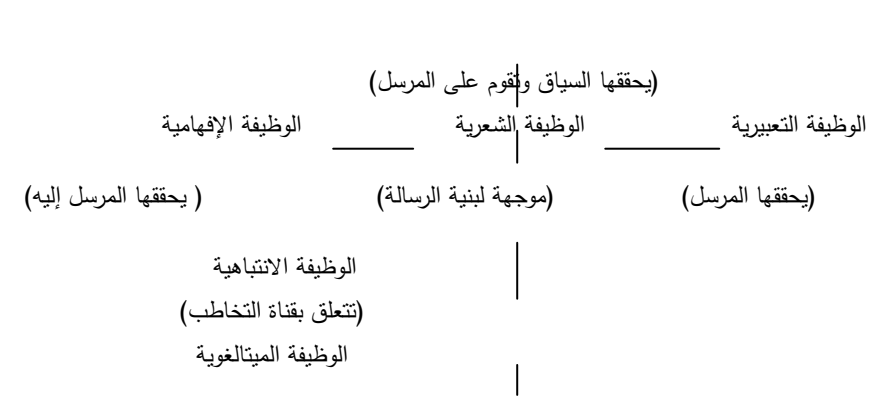


**ب – الدراسة الوظيفية للصوت (الفونتيك – Phonitics/الفونولوجيا–Phonology):**

اهتم تروبتسكوي بدراسة الصوت ، وميز في كتابه (أسس الفونولوجيا ) وفقا لعامل الدلالة و المعنى بين علمين هما: الفونتيك والفونولوجيا قائلا : نعين دراسة الصوت المتعلق بعمل الكلام بمصطلح الصوتيات (الفونتيك )ودراسة الصوت المتعلق بنظام اللغة بمصطلح علم الأصوات /الفونولوجيا [1]،فعلم الأصوات (الفونتيك ): يدرس الصوت من حيث قيمته المادية ، اي البعد الفيزيائي للصوت مع إقصاء كلي لأي قيمة دلالية يمكن أن يكسبها داخل النظام ، فهي تهتم بالصوت مجردا خارج نطاق النسق اللغوي،بينما يدرس علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا) الصوت من حيث قيمته التعبيرية ، فهو يركز على وظيفة الصوت ضمن شبكة علاقات النظام وما يحدثه من إنتاج للمعنى داخل النسق اللغوي ، يقول التواتي في هذا الشأن: "الصواتة ... تبحث في الاختلافات الصوتية المرتبطة ، في اللغة المدروسة،باختلافات في المعنى،وفي الكيفية التي تتصرف فيها العناصر المميزة (العلامات )مع بعضها البعض،وبناء على أية قواعد تستطيع أن تتآلف فيما بينها لبناء كلمات أو جمل"[2]،

[1] N.S Troubetzkoy, principles of phonology, translated byChristiane, A .M.Baltaxe, university of California, press, U .S 2nd ed, 1971, p04

[2] ماري آن بافو، جورج آليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 207

ولتحديد مثل هذه الأمور وقفت على ما يسمى (بنظرية الفونيم) والتي بدورها ميزت بين مجموعة من المفاهيم أبرزها:

**1-الفونيم( phoneme)**: تسعى الفونولوجيا (الصواتة ) إلى تقديم وصف للنظام الصوتي الذي تتألف منه اللغة المعينة وتحديد منطق الترابط بين أصواتها بتطبيقها للمبدأ الوظيفي القائل " إن الكيانات اللغوية تتحدد و تتشخص و تأخذ هويتها بالوظيفة التي تقوم بها في الإفادة "[1] ، وتتوصل بذلك إلى مفهوم الفونيم بوصفه أصغر وحدة مستشعرة غير قابلة للقسمة أكثر من خلال الوعي اللغوي [2]،فتسمى الأصوات التي تلعب دورا في تغير المعنى بالفونيمات "phonemes "، وهي عبارة عن علامات لغوية يمكن بواسطتها التواصل بسلاسة نظرا لقيمتها التمييزية التي حددها تروبتسكوي على لسان ميلكا قائلا:" للصوتيم دورفارقdistinctive و غايته أن يكون إشارة للفروق بين المعاني)[3]، وهو ما يمكن ملاحظته في التمييز بين الكلمات سال-نال-مال، فكل من السن و النون و الميم فونيمات لأنها أدت إلى تغير المعنى ، ذلك أن الفونيمات في أي نظام لغوي لا تتمايز إلا بعد أن تتقابل اي بعد إجراء ما يسميه تروبتسكوي (**troubetzkoy** ) بالتعارض الصواتي وهو "اختلاف صوتي كفيل بتمييز المعاني الفكرية في لغة ما "[4]، توصل من خلاله إلى أن الفونيمات ترتبط وفق ثلاث علاقات وهي:

1. " **التقابل الخاص:** أن يتماثل الفونيمان في جميع السمات باستثناء سمة واحدة يتوافر عليهما أحدهما دون الآخر.
2. **التضاد المتدرج:** وجود السمة ذاتها لدى الفونيمين لكن بدرجات متفاوتة.

[1] التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث،دار الوعي، الجزائر،ط2،ص 12

[2] N.S Trubetzkoy ,principles of phonology,pp38-39

" phonemes are the smallest units sensedas not further divisible by linguistic consciousness"

[3] ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد مصلوح،وفاء فايد كامل، ط2،المجلس الأعلى للثقافة،2000،ص 235

[4] ماري آن بافو، جورج آليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 209

3. **التقابل المكافيء:**تميز كل فونيم بسمة خاصة به دون بقية فونيمات النظام ككل"[1].

ويمكن التمثيل للتقابل الخاص بصوتي / ت/ و / ط/ ، بحيث يتماثلان من ناحية المخرج وبعض الصفات ، عدا سمة الجهر،فهي موجودة في صوت الطاء بينما تتميز التاء بالهمس ، أما المتدرج فهو على نحو الحركات الطويلة و القصيرة في العربية ، إذ تتواجد نفس السمات في كلتيهما واختلافهما في نسبة الوجود ، حتى عد اللغويون الفتحة و الكسرة و الضمة وهي الحركات القصيرة أبعاضا للحروف وهي الألف و الواو و الياء وهي الحركات الطويلة وحروف المد ، بينما يعبر التقابل المكافيء عن السمة المميزة لكل فونيم كالتكرار المتواجد في حرف الراء مثلا .

**2-أنواع الفونيمات:** قسم العلماء الفونيمات إلى نوعين هما[2] :

أ- **فونيمات رئيسية تركيبية أو قطعية** :وهي تلك الوحدات الصوتية التي تكون جزء من أصغر صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق .أو ذلك العنصر الذي يكون جزء أساسا من بنية الكلمة المفردة.

ب- **فونيمات ثانوية (فوق التركيبية أو غير القطعية ):** ويطلق عليها أيضا فونيمات تطريزية .وهي كل ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى أو قيمة في الكلام المتصل .فهي إذن تظهر حين تضم كلمة إلى أخرى أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة، كأن تستعمل جملة ما ، من أمثلة الفونيمات الثانوية :النبر، والتنغيم، والفواصل الصوتية.

3- **الألوفون-Allophone:** هو قدرة الفونيم على التحقق و أدائه بأكثر من صورة ، وظهوره في أكثر من شكل ذلك أنه " لا وجود لتماثل ضروري بين الأصوات و الفونيمات ، إذ يمكن أن يكون هناك عديد الأصوات التي هي تحقيقات للفونيم نفسه: وهنا نكون بصدد الحديث عن بديل ( variante)"[3]،

---

[1] ينظر: جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق و التطور، تر: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود،1997، ص ص110،111

[2] ينظر: كمال بشر،علم الأصوات، ص ص 496،497، حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية، ص ص 165،166، زين كامل الخويسكي،الأصوات اللغوية، ص ص 113،114

[3] ماري آن بافو، جورج آليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 209

كالتغير الذي يصيب صوت القاف / ق/ ؛إذ يلفظ بصور متعددة ، فهو يتحول إلى همزة / أ/ كما في اللهجة المصرية و لهجة تلمسان في الغرب الجزائري ، ويتحول إلى /ga/في الدارجة الجزائرية ، بينما يلفظ / ق/ في الفصحى وشمال الجزائر، وأمامنا المثال في كلمة (قال) التي يمكن أن نلاحظ تنوع نطق قافها بين /قال/ في الفصحى، /gaوال /في الدارجة الجزائرية وغيرها من اللهجات ،و / آل/ في العامية المصرية وغرب الجزائر بتلمسان.

وقد توصلت ( نظرية الفونيم ) و الدراسة الوظيفية للصوت إلى محصلة مكنتها من تطوير البحث اللغوي في مجال تعليم اللغات و هندسة الألفبائيات وغيرها مما أورده كمال بشر بقوله:

1. "الفونيم وحدة صوتية تميز كلمة من أخرى؛ أي تقوم بالتفريق بين الكلمات من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.
2. الفونيم وسيلة مهمة في تسهيل عملية تعليم اللغات الأجنبية فالأصوات الفعلية المنطوقة في أية لغة كثيرة كثرة فائقة، في حين أن فونيمات كل لغة تقل في عددها عن عدد هذه الأصوات المنطوقة بالفعل وبصورة ملحوظة.
3. لفكرة الفونيم دور مهم في ابتكار الألفبائيات أو نظم الكتابة بصورة ميسرة ودقيقة"[1].

**ج- نظرية السمات المميزة - features:**

حازت القواعد التي صاغها **(تروبتسكوي)** مكانة مميزة في فونولوجيا براغ ، فتبناها جاكوبسون بعده متابعا في ذلك جهود سابقه، فحاول تطويرها مزيدا عليها أفكارا جديدة محورها الأساسي تحليل الصوت إلى كيانات شديدة الصغر؛أي ما يصطلح عليه بالخواص أو السمات المميزة [2].

يمكن القول بأنها من بين أهم الإسهامات و الإضافات التي قام بها جاكوبسون في مجال علم الأصوات الوظيفي ، ذلك أنه زاد عنصري الثنائية و العالمية :

[1] كمال بشر، علم الأصوات،دار غريب للنشر و الطباعة،القاهرة،مصر،دط،2000،ص491

[2] ينظر: جفري سامسون ، مدارس اللسانيات التسابق و التطور،ص 122

1. **الثنائية** : وهي نتاج التقابل الفونيمي القائم على خاصية الوسم ، بمعنى (موسوم/غير موسوم )؛أي " يمثل كل فونيم بأنه حزمة من الخواص الإيجابية أو السلبية لسمات معينة"[1].
2. **العالمية:** ترتبط بفكرة النظام وتنص على أنه " يوجد نظام سار عالميا للسمات الصوتية تستنبط منه وحده كل لغات العالم إمكاناتها الفارقة ،...وهذه السمات هي اثنتا عشر سمة ينبغي أن يكون من الممكن من خلال مفاهيمها وصف فونيمات كل لغة"[2].

وهذه السمات التي ذكرها جاكوبسون هي [3]:

| | |
|---|---|
| التصويت | التسكسن |
| الأنفية | الفموية |
| الإشباع | التخفيف |
| الرزانة | الحدة |
| التوتر | الارتخاء |
| الاستمرارية | الاعتراض –الحصر |
| التضام | المنتشر |
| المجهور | المهموس |
| الخشن | الرقيق |
| المنضبط | غير المنضبط |

**ثانيا– التفكير الوظيفي عند أندري مارتيني:**

يعتبر أندري ما رتيني واحدا من أبرز أقطاب البنيوية الأوروبية ، بحيث أولى اهتماما كبيرا لمستوى التراكيب في اللغة، اي بنية الجملة وطرق تأليفها ،وساهم في تكوين التيار الوظيفي من خلال مؤلفاته:مباديء في اللسانيات العامة،اللسانيات الآنية،اللغة الوظيفية ، وآخرها الذي جاء بعنوان بنية الألسن و ديناميتها، متأثرا بمنهج

[1] كلاوس هيشت، القضايا الأساسية في علم اللغة،تر: سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار، القاهرة،ط1،2010،ص 95

[2] نفسه،ص 94

[3] ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 94-95

حلقة براغ الوظيفية كما ورد في كتاب النظريات اللسانية الكبرى :"يصنف الفكر الوظائفي عند أندري مارتيني ضمن البنيوية الوظائفية،...وضمن المنظور الوظيفي لحلقة براغ، وذلك من خلال أعمال تروبتسكوي بوجه خاص ، فقد بدأ مارتيني أبحاثه في اللغة الهندو أوروبية و الصواتة، ثم وسع مجال عمله ليشمل اللسانيات العامة "[1].

[1] ماري آن بافو، جورج آليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 221

**أ- الوظيفية عند مارتيـني:**

يرى أندري مارتيني أن الوظيفية هي بالضرورة الدور الذي تمارسه اللغة داخل المجتمعات وهو التواصل بين مختلف أفرادها والعمل على إيصال و تبليغ خبراته و تجربته فهو يؤكد على القيمة التواصلية للغة في مقابل عدم نفيه لبقية الوظائف ، فنجده يقول : "...في المحصلة إن مفردة ( وظيفي ) لا تملك في أعراف اللسانيين و ممارساتهم معنى إلا بالرجوع للدور الذي ينهض به اللسان ، بالنسبة إلى البشر، في نقل خبراتهم بعضهم لبعض،فللغة الإنسانية وظيفية أساسية هي تأمين التواصل بين مختلف مستخدميها في إطار المجتمع الذي ينتمون وتنتمي اللغة إليه، وهذه الوظيفة تؤديها الألسن على اختلاف بناها على الرغم من التباينات الحاصلة بينها "[1]، فهو يحدد الوظيفي في معنى الدور الذي يمكن أن تقوم به اللغات ، وهو وفق ما يذهب إليه لا يكون إلا تحقيق التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية .

ينتقل بعدها مارتيني ( **A .Martinet**) إلى تحديد مكونات التنظير عنده من خلال تقديم تعريف للسان بقوله: " إن لسانا ما هو أداة لنقل التجربة الإنسانية، وهذه الأخيرة تحلل بموجبه ، وبشكل مختلف في كل متحد اجتماعي، إلى تتابع مونيمات، اي إلى عناصر بليغة (significative) دنيا هي المونيمات ، تحمل معنى و شكلا صوتيا،وهذه الأخيرة قابلة بدورها للتحليل إلى وحدات تمييزية (distinctive) متتابعة هي الفونيمات"[2]،يسمح هذا التعريف بالولوج إلى خصائص اللسان وفقا لرؤية أندري (**A .Martinet**) الوظيفية ، والتي تتجلى في مفهوم التقطيع المزدوج والذي يؤدي بدوره إلى مفهوم سيرورة التواصل (الورود التواصلي).

[1] أندري مارتيني،وظيفة الألسن و ديناميتها،تر: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،ط1،2009،ص 28

[2] نفسه ، ص 33

**ب- الورود التواصلي و التقطيع المزدوج:**

1. **التقطيع المزدوج:**يعرفه بالانطلاق من كونها سمة للغة البشرية و إحدى أهم خصائصها، يقول " إن اللغة الإنسانية تتميز عن النتاجات الصوتية للحيوان بأنها ملفوظة،أو منطوقة ،فاللغة الإنسانية هي مزدوجة التلفظ اي ملفوظة على مستويين اثنين،يظهر لنا المستوى الأول في الأقوال التي تلفظ بواسطة كلمات، ...إن كلا من الوحدات الكلامية الحاصلة وفق تلفظ أول هي ملفوظة بدورها بواسطة وحدات من نوع آخر"[1]، ينتج التحليل الأول وحدات لغوية تتكون من دال و مدلول تعرف بالمعانم (monemes) ؛أي وحدات صرفية، و التي يتم التواصل بها من خلال عملية التأليف بينها، بينما يؤدي تحليلها في المستوى الثاني إلى ما يعرف بالفونيمات (phonémes) وهي وحدات غير قابلة للتجزء إلى وحدات اقل ذات دلالة ، ولبيان ذلك يضرب المثال التالي :

تجلس الجماهير في المدرجات: تحلل إلى مستويين:

ت/جلس/ال/جمهور/الجمع/ في/ال/مدرج/ات مستوى المونيمات

ت/ج/ل/س/ا/ل/ج/م/ا/ه/ي/ر/ف/ي/ا/ل/م/د/ر/ج/ا/ت مستوى الفونيمات

2. **الورود التواصلي (سيرورة التواصل ):** كل بنية أو وحدة تكون وظيفتها تقديم معلومة يمكن اعتبارها واردا ، بما أنها تساهم في سيرورة التواصل " إن اختيار وجهة النظر الوظيفية يستمد من الاعتقاد الراسخ بأن كل بحث علمي يتأسس على إثبات ملاءمة ما ، وأن الملاءمة التواصلية هي التي تسمح ، بشكل أفضل فهم طبيعة دينامية اللغة ، ستصبح كل السمات اللغوية إذن قبل سواها مبررة و مصنفة استنادا إلى الدور الذي تلعبه في إيصال الخبر"[2]، فالسيرورة تقف في مواصلة تحركها على المتلقي و قيمة المعلومة ،واتصالها بمعرفته ،

[1] السابق،ص 379

[2] أندري مارتيني، وظيفة الألسن و ديناميتها،ص 144

فهي تتناسب طرديا مع الجدة التي تطرحها ، ولعل أضرب الخبر في العربية تشكل مثالا جيدا .

**ج- علاقة البنية بالوظيفة عند مارتيني:**

يمكن تحديد علاقة البنية بالوظيفة عند مارتيني من خلال التصنيف الذي قدمه للوحدات اللغوية بالانطلاق من وظائفها ، إلى معانم (monemes) ذكرها في كتابه (Element de linguistique) على النحو التالي:

1. **وحدة صرفية مستقلة** :وهو وحدة دالة تتضمن في بنيتها دليل وظيفتها مثل :اليوم، غدا،...أو يمكن أن ينتقل المونيم من موقع إلى آخر وذلك لاكتفائه بذاته[1]كما في قولنا:غدا أسافر أوأسافر غدا، فكلمة ( غدا ) هنا مستقلة بنفسها و تغيير موقعها لا يؤثر على المعنى.
2. **وحدة صرفية وظيفية**:يساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى مشاركة له في الوظيفة العامة للتركيب،ولا يمكن لها أن تستقل بذاتها في السياق الذي ترد فيه ، كوظيفة حروف الجر،حروف العطف في اللغة العربية.
3. **التركيب المستقل:** يتركب من مونيمين فأكثر وتتحدد وظيفته بدلالته الكلية كالتركيب في قولنا : في البيت رجل، عبارة –في البيت– تعتبر تركيبا مستقلا.
4. **التركيب الاسنادي**:يعتبر النواة التي يبنى عليها الملفوظ ويتكون من عنصرين أساسيين لا يمكن حذف أحدهما هما: المسند و المسند إليه.
5. **الإلحاق:** كل ما يضاف إلى النواة الاسنادية من عناصر تركيبية، ويأتي في شكلين هما: إلحاق بالعطف و إلحاق بالتبعية، بحيث يتميز الأخير بالتطابق الوظيفي للعنصر التابع ووظيفة العنصر المتبوع، ويشمل الإلحاق، النعت و المضاف إليه، المفعول و المعطوف ،...الخ[2].

[1] Andri Martinet, Elément de linguistique111-132

[2] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات التأسيسية،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999،ص 117

6. **المزج:** وهو الربط بين دالين ليصبحا دالا واحدا ، مثال ذلك في اللغة الفرنسية مزج (a) و ( e) لتصبح ( au) فالدال ( au) ترابط فيه دالان وهو غير قابل للتحليل ، ويكون في تراكيب خاصة [1].

[1] الطيب دبة، مباديء في اللسانيات البنيوية، دار القصبة ، الجزائر، 2001، ص 113

## المبحث الثاني: الوظيفية التداولية :

### أولا- الوجهة الوظيفية للجملة :

تبلورت هذه النظرية على يد مجموعة من الباحثين وعلى رأسهم (ماثيزيوس**Vilém Mathesius**) ، بحيث تنطلق في تحليلها للجملة من المستويين الدلالي و النحوي حتى تصل إلى المستوى الوظيفي الذي يمثل ارتباط الجملة بسياقها التواصلي الذي أنشئت فيه ،إذ تجزيئها إلى مكونين هما:"المكون المحور الدال على ما يشكل محط الحديث و المكون التعليق الدال على ما يشكل الحديث ذاته اي ما يتحدث به عن المحور"[1] ، ومن خلال هذين المكونين تم تطوير مفهوم دينامية التواصل أو الحركة التبليغية كمحاولة لتقييم مساهمة مختلف عناصر بنية الجملة في تقدم التواصل و استمراريته بالرجوع إلى عامل السياق بحيث" تأخذ المكونات الحاملة للمعلومات الجديدة (لا يمكن استمداها من السياق) أعلى درجات الحركة التبليغية، في حين أن المكونات الحاملة للمعلومات ( المعطاة) تأخذ أدنى درجات الحركة التبليغية "[2]، بمعنى أن الجملة تقسم إلى طرفين مع إبداء أهمية لعملية ترتيبهما نظرا للتأثير الذي يحققه كل طرف في إبراز وظيفية الجملة، بحيث عبر عنهما ماثيزيوس **Mathesius** بمجموعة من المصطلحات التي شكلت ثنائيات للتعريف بطرفي الجملة وهي :"الموضوع topic و التعليقcomment ،المتقدم theme المتأخر rheme، المسلمة given والإضافة new "[3]،فالمتكلم ينطلق من افتراض معرفة السامع للشيء المتكلم عنه فيجعله متقدما، ويعمل على إتمام الجملة بمتأخر يشكل المعلومات الجديدة التي تتعلق أساسا بالمتقدم ، بينما تمثل المسلمة عنصر المعرفة التي يستنتجها السامع من المحيط (السياق )، ويمكن التمثيل لذلك بالجملتين[4]:

1) مؤسس الدولة الأموية هو معاوية بن أبي سفيان.
2) معاوية بن أبي سفيان هو مؤسس الدولة الأموية .

---

[1] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، ص118
[2] السابق ،ص118
[3] محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة،بن غازي،ط1،حزيران،2004،ص71
[4] السابق، ص71

تحقق علاقة الإسناد في كلا الجملتين المعنى ذاته و هو أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان هو من أسس الدولة الأموية، فتبدو الجملتان وكأنهما مترادفتان ، في حين أنه عند تأمل ترتيب طرفي الإسناد يمكن الوصول إلى أنه تم توظيفهما في سياقين مختلفين ، تم بناء كل واحد منهما وفقا لمعتقد المتكلم عن نسبة معرفة السامع حول موضوع الجملتين ، إذ يشكل تأسيس الدولة الأموية في الجملة الأولى و معاوية بن أبي سفيان في الجملة الثانية (مقدما )أي معرفة سابقة لدى السامع ، يتممها المتكلم ب (متأخر) و يجهله السامع وهو : من الذي أسس الدولة الأموية في الجملة الأولى ، ومن هو معاوية في الجملة الثانية.

تفصح الجملتان عن بنية محكومة بعامل الوظيفة ؛ أي الغرض من أدائهما ، فالجملة الأولى جاءت بغرض الإخبار عن من قام بالتأسيس، بينما وظفت الجملة الثانية للتعريف بشخص معاوية بن أبي سفيان .

يمكن ملاحظة أن ما سبق هو تجسيد لواحد من المباديء الوظيفية و المتمثل في تبعية البنية للوظيفة من خلال إعادة تحليل الجملة باللجوء لعناصر تتجاوز الشكل ، بحيث يتنوع بناء الجمل وفقا للأغراض و المقاصد التي تسعى بلوغها.

**ثانيا- الوظيفية عند فيرث (Firth):**

قدم فيرث نظريته اللغوية باعتماده على عنصر السياق ، مما سمح له بأخذ خطوة للأمام في التفكير اللغوي فيما يخص انفتاح اللسانيات في جانبها الدلالي ودراسة المعنى من خلال تأكيده على فكرة قيمة الوظيفة الاجتماعية للغة، فتراه يصرح بذلك قائلا : "الطموح في السياقية ظاهر للنظر في اللغة ليست على أنها نظام شكلي بل – على النقيض من ذلك- يجب أن تدرس على أنها جزء من عملية اجتماعية "[1].

فاللغة عند فيرث هي نتاج ما يمزجه الفرد من عوامل مرتبطة بالثقافة و بالمجتمع ،كالعادات و الأعراف للتعبير عن معنى يخرج في شكل ملفوظ معين ، وهو ما دفع به إلى دراسة المعطيات الاجتماعية التي تتسم بها مختلف اللغات البشرية "ينبغي أن تدرس اللغة بوصفها جزءا من المسار الاجتماعي، اي كشكل من أشكال الحياة الإنسانية،وليس كمجموعة من العلامات الاعتباطية "[2].

يعتبر الدور التواصلي الذي تؤديه اللغة داخل المجتمع بوصفها وسيلة للتعبير عن المعاني المختلفة و المتعددة ضمن المواقف و السياقات المتنوعة ، نقطة ارتكاز النظرية السياقية ، بحيث تتم دراسة اللغة بالعودة إلى عناصر اجتماعية صرفة بالرجوع إلى علاقات ارتباط اللغة بالمجتمع "قد لفت فيرث إلى أن كثيرا من اللغويين قد يتفقون على الطرائق التي تستخدم في وصف البنية الظاهرة للغة، لكنهم لا يتفقون أبدا على وصف الوحدات الثقافية و الاجتماعية، وهذا يعني أنه لا اللغويون ولا علماء الاجتماع حاولوا الربط بين وصف اللغة ووصف الوحدات الثقافية و الاجتماعية ، وتأسيس الفصائل التي يتحقق بها هذا الربط"[3].

سعى فيرث من خلال محاولاته للربط بين اللغة وتحققاتها ضمن السياق بعامليه الثقافي و الاجتماعي إلى تجاوز العجز الذي أبدته النظريات الصورية في تناولها للغة من منظور داخلي و الاكتفاء بوصفها نظاما مستقلا ، فهو أبدى اهتماما باللسانيات

[1] جيرهارد هلبش،تاريخ علم اللغة الحديث،تر:سعيد حسن البحيري،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،مصر،ط1،2003،ص159

[2] ينظر: كمال بشر، دور الكلمة في اللغة،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،ط12، ص92

[3] محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي،ملتقى الفكر،ط2،2001،ص 32

الخارجية ببحثه في مدى تأثر اللغة بسياق الحال ممثلا في السياق اللغوي الملفوظ ؛أي مجموع الكلمات المصاحبة والتي يمكن أن ترد قبل الجملة و بعدها مضافا إليه السياق غير اللغوي ، ثم دراسة العلاقة القائمة بينه وبين مجموع الجوانب الثقافية المشكلة لما يسمى بالسياق الثقافي ، ومرد الأمر في ذلك أن المعنى نتاج من العلاقات السياقية ، أي أنه لا يمكن معرفة معنى الألفاظ إلا من خلال كشف دورها الذي تؤديه وفقا لطريقة استعمالها ، وهو ما يذهب إليه في قوله: "المعنى هو الوظيفة في السياق حالا و مقالا، فالعبارة أو جزء من منها لا تكون عنده ذات معنى إلا أذا استعملت على نحو ملائم في سياق صحيح "[1].

يرفض فيرث العلاقة الذهنية التي تربط اللفظ بالمعنى ، أي ما يمكن أن يحيل إليه اللفظ من حقائق وأحداث، ليستبدل مفهوم المعنى بأنه تركيب قائم بين اللفظ و المعنى وعلاقتهما معا بغيرهما من المركبات التي يمكن أن تحل في السياق ذاته، أي مجموعة الاحتمالات التي يسمح لها بأداء الدور نفسه وهذا تأكيد للدور الذي يقوم به السياق في تحديد قيمة الكلمة ، واختلافها باختلاف السياق الذي ترد فيه، وهي وجهة نظر لغوية تتسم بالشمول إذ أنها "جعلته يرفض الاكتفاء بتحليل اللغة وفق المستويات اللغوية ، ودعا إلى دراسة اللغة في بعدها الاجتماعي في إطار ما يقتضيه التواصل من معطيات مادية واجتماعية "[2].

## ثالثا- الوظيفية عند هاليداي ( Halliday):

### أ- اللغة سلوك اجتماعي للتعبير عن المعاني :

[1] السابق ، ص 28

[2] ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالاته، دار الكتاب الجديدة المتحدة،ط1،2009،ص344

تبنى هاليداي وجهة النظر الوظيفية للغة باعتبارها وسيلة للتواصل يستخدمها أعضاء الجماعة اللغوية الواحدة للتعبير و التواصل فيما بينهم ، بحيث ترتبط اللغة باعتبارها نظاما بما يمكن أن تؤديه من وظائف تأتي في شكل أغراض يكشفها الترتيب و التنظيم الذي تتخذه العناصر اللغوية في بنية الجمل باتحادها مع العناصر المركبة للسياق ، فتكون اللغة بذلك سلوكا اجتماعيا للتعبير عن المعاني التي يمكن انجازها وفي هذا الصدد يقول( **هاليداي** ) " إذا كان بإمكاننا أن نغير مستوى الرسمية في كلامنا أو كتاباتنا أو أن ننتقل بحرية من نمط سياقي معين إلى نمط آخر ، فنستعمل اللغة تارة لتخطيط نشاط منظم، وتارة لإلقاء محاضرة عامة، وتارة لتدبير شؤون الأولاد، فلأن طبيعة اللغة على شاكلة بحيث إن جميع هذه الوظائف مبنية حسب طاقاتها الاستيعابية الكلية "[1]، ف(**هاليداي**) يعمد إلى ربط النظام اللغوي بطرق و كيفيات آدائه للمعاني و المقاصد و مختلف الأغراض "يلتقي هاليداي مع ما لينوفسكي وفيرث في أن اللغة ينبغي أن تدرس بوصفها ظاهرة اجتماعية، والكشف عن أنماط العلاقات بين النظام اللغوي و التركيب الاجتماعي و الثقافي لمستخدميها هو أهم ما ينبغي أن يعنى به الباحثون في اللغة "[2].

**ب- تطوير فكرة السياق :**

تجاوز (**هاليداي**) فكرة السياق عند فيرث و التي ارتبطت بالعناصر التي تؤثر بالبيئة وتحمل صلة مباشرة بالحدث التواصلي مصرحا بذلك في قوله :" إن سياق الحال لا يعني كل صغيرة و كبيرة في المحيط المادي، كتلك التي تظهر فيها إذا كنا نسجل بالصوت و الصورة حدثا كلاميا مع كل المشاهد و الأصوات المحيطة به، إنه يعني تلك الملامح التي لها صلة وثيقة بالكلام الحاصل"[3]، فقد قيد (**هاليداي**) السياق بمجموعة المؤثرات المحيطة بالحدث الكلامي ذاته مع التركيز على المحيط بوصفه بنية سيميائية تتجاوز حدود ماهو مادي، يقول "اللغة لا تفهم إلا إذا كانت في

[1] أحمد يحي، الاتجاه الوظيفي و دوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، الألسنية، وزارة الإعلام الكويتية، ع3، 1989، ص 71

[2] محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي،ص 35

[3] أحمد يحي، الاتجاه الوظيفي و دوره في تحليل المعنى ، ص 84

نصوص ، و النصوص لا تفهم إلا إذا كانت في سياقاتها الاجتماعية و الثقافية...على أن السياق ليس محيطا ماديا فحسب، بل هو بنية سيمية semiotic structure عناصرها الأعراف الاجتماعية و القيم الثقافية المأخوذة من النظام السيمي الذي يكون الثقافة"[1]، فالمعنى في النهاية هو نتاج الاحتكاك القائم بين الفرد و الحدث الكامنين ضمن ظروف معينة " إن السياق جزء من التخطيط الكلي ليس هناك انفصال بين ماذا نقول وكيف نقول ، اللغة إنما تكون لغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال، وكل ما فيها مرتبط بالسياق"[2]، وهو ما دفع به إلى الاهتمام به من خلال تشريح مكوناته و البحث في طرق تمثيله باعتباره عنصرا فعالا في عملية إنتاج المعنى.

**جـ- الترابط النصي و تمثيل السياق :**

اقترح (**هاليداي** ) طريقة لتحديد العناصر السياقية التي تؤدي دورا في الكشف عن معاني النصوص بعد دراسته و تحليله لها من خلال البحث في الترابط النصي ، وتوصل إلى ثلاثة عناصر يمكنها أن تشكل الإطار النظري الذي يتم من خلاله تمثيل السياق الاجتماعي الذي يحرر المتكلم معانيه من خلاله وهي:

1. "الحقل: وهو المجال الطبيعي (الاجتماعي )الذي يكون مسحا للنص فيشمل بذلك النشاطات المختلفة ، والأهداف الخاصة التي تستعمل اللغة من أجل تحقيقها.
2. التوجهات : يشمل العلاقات ما بين المشاركين في الحدث اللغوي .
3. النمط: الوسيلة اللغوية المستعملة في النص ( أو الحدث الغوي )و يشمل الأسلوب اللغوي و الوسائل البلاغية"[3].

إن ترابط العناصر المكونة للسياق هي ما يخلق اتساق النص ، من خلال ترابط وحدات الخطاب وبالتالي يعتبر معيارا للتميز بين ماهو نص و ماهو دون ذلك ، أي بين ماهو كل مترابط ، وبين اللانص .

[1] محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي، ص 59
[2] أحمد يحي، الاتجاه الوظيفي و دوره في تحليل اللغة،ص 84
[3] السابق ،ص 85، وينظر: محمود أحمد نحلة ، علم اللغة النظامي ، ص 63

د- **النحو النظامي ووظائف اللغة :**

يمثل النحو النظامي آخر تطورات النظرية السياقية ، وهو يرتكز في بنائه على مبدأ تعدد وظائف اللغة، بالانطلاق من فكرة أن قدرة المتكلم على استعماله للغة واقعة ضمن حدود الإمكانات التي يسمح بها النظام اللغوي ، وفي هذا تأكيد للجانب الوظيفي للغة ، وبالتالي فالبحث في قدرات المتكلم يعني الكشف عن الوظائف المختلفة للغة إذ "ليست وظائف اللغة إلا الطرائق التي يستعمل بها الناس لغتهم لانجاز عدد من الأهداف المختلفة و الأغراض المتباينة، فوظائف اللغة في أبسط معانيها مرادفة لاستعمالاتها"[1]، بناء عليه يقوم هاليداي بتصنيف للوظائف ضمن نظام نحوي يعكس بشكل مباشر مختلف الاستعمالات ، أي تنوع التراكيب و البنى اللغوية بسبب اختلاف الوسائل التعبيرية المستخدمة لتوليد المعاني والتي تتصل بالإمكانات العاكسة لخصوصيات كل نظام لغوي ، إذ توصل إلى أنها لا يمكن أن تخرج عن ثلاث وظائف هي :

1. "**الوظيفة التمثيلية** : تتيح للمتحدث التعبير عن حالته الداخلية وعن العالم الخارجي في الآن نفسه .
2. **الوظيفة البيشخصية:** تسمح بإقامة وحفظ و تخصيص العلاقات بين أعضاء المجتمعات .
3. **الوظيفة النصية** : تمكن من تنظيم الخطاب المناسب للظرفية"[2] .

فالوظائف إما نابعة من صميم النص – الخطاب ذاته أو أنها تشير إلى الواقع الاجتماعي وهي في كلا الحالتين عبارة عن دمج للمعلومات النحوية بالمعطيات الاجتماعية من أجل بناء نسق دلالي يمكن من خلاله الكشف عن معاني و مقاصد الفرد أثناء تواصله مع الآخرين "النحو النظامي نحو طبيعي بمعنى أن كل شيء فيه يمكن إيضاحه بالإحالة إلى طبيعة الاستعمال اللغوي،وهو على ذلك ليس نحوا شكليا بحال، بل هو نحو استعمالي ، الوظيفة فيه لا ترادف الشكل بل

[1] أحمد محمود نحلة، علم اللغة النظامي ، ص 134

[2] ماري آن بافو، جورج آليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 205،206

الاستعمال"[1]، فتغدو الأساليب التي يستعملها الأفراد في لغتهم للتعبير عن المعاني و المقاصد المختلفة تمثيلا لوظائف اللغة، وتكون بذلك الوظيفة في النحو النظامي موازية للاستعمال ، والشكل التالي يوضح طريقة التفاعل بين النظام اللغوي و البنية الاجتماعية[2].

.

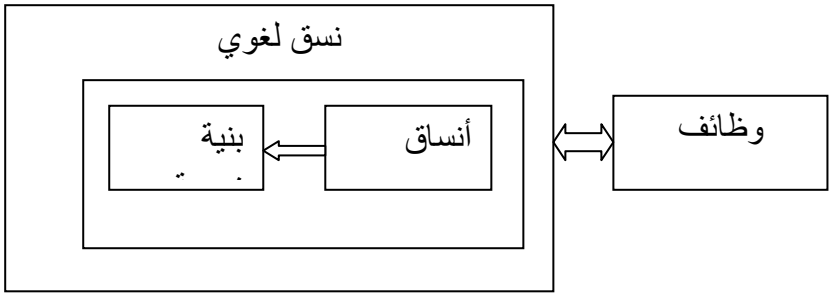


**رابعا– نموذج البراغمانتكس:**

يصنف نموذج البراغمانتكس ضمن الاتجاه التوليدي تحت لواء الدلالة التوليدية، فقد كانت انطلاقتها في الستينات بعد نقاش دار حول موضع و مكانة الدلالة ضمن النحو التوليدي التحويلي والذي نتج عنه توجهان :

1. اعتبار الدلالة مكونا تأويليا كالمكون الصوتي وهو ما ذهب إليه تشومسكي .
2. نفي التأويل عن الدلالة و اعتبارها مكونا توليديا وهي الأطروحة التي دافع عنها لايكوف ، إذ تم تقليص الفوارق بين الدلالة و البنية العميقة "إن البنية التحتية الوحيدة هي التمثيل الدلالي و القواعد التحويلية تحول التمثيل الدلالي إلى بنية سطحية"[3].

ينهض نموذج البراغمانتكس[4] على مبدأين هما :

1. عدم استقلال التركيب بالنسبة للدلالة .

[1] أحمد محمود نحلة ، النحو النظامي ، ص 118
[2] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية،مدخل نظري،ص 125
[3] عبد القادر الفاسي الفهري،اللسانيات و اللغة العربية،نماذج تركيبية و دلالية،ج1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،ط3،1993،ص 71
[4] ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، ص 101

2. الطبيعة الدلالية للبنية مصدر الاشتقاق.

انطلاقا من هذين المبدأين تمت صياغة بنية النحو في نموذج الدلالة التوليدية كالتالي :

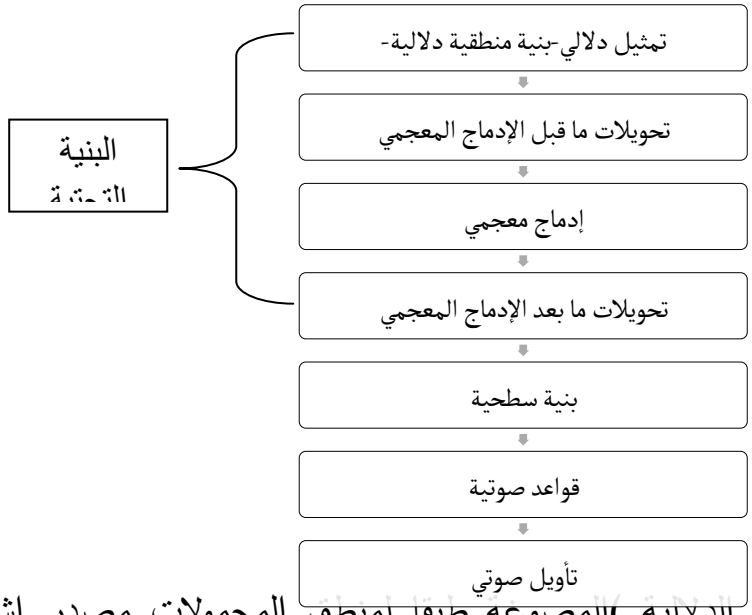


تشكل البنية المنطقية ( الدلالية )المصوغة طبقا لمنطق المحمولات مصدر اشتقاق الجملة، بحيث تتضمن محمولا (فعليا أو اسميا أو وصفيا )يربط بين عدد معين من الموضوعات.ووفقا لهذا النوع من التمثيل ، تكون البنية مصدر اشتقاق الجملة (قتل خالد هندا ) هي البنية التالية :

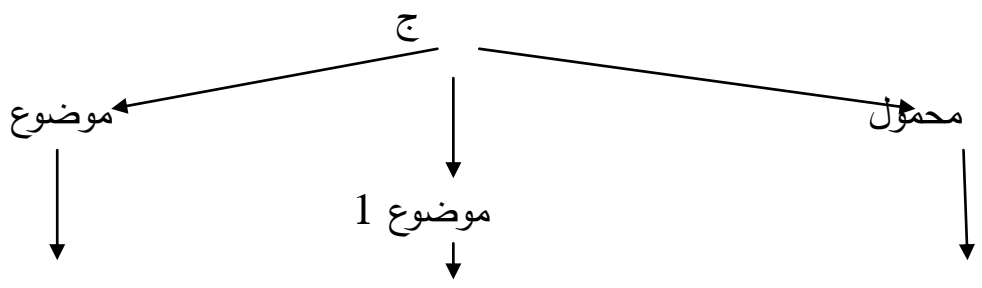

قتل خالد هندا

وبما أن المحمولات في هذا النموذج تعتبر وحدات معجمية مركبة يجب التمثيل لها في البنية المنطقية الدلالية في شكل وحدات دلالية أولى، يصبح أصل البنية السابقة هو البنية التالية :

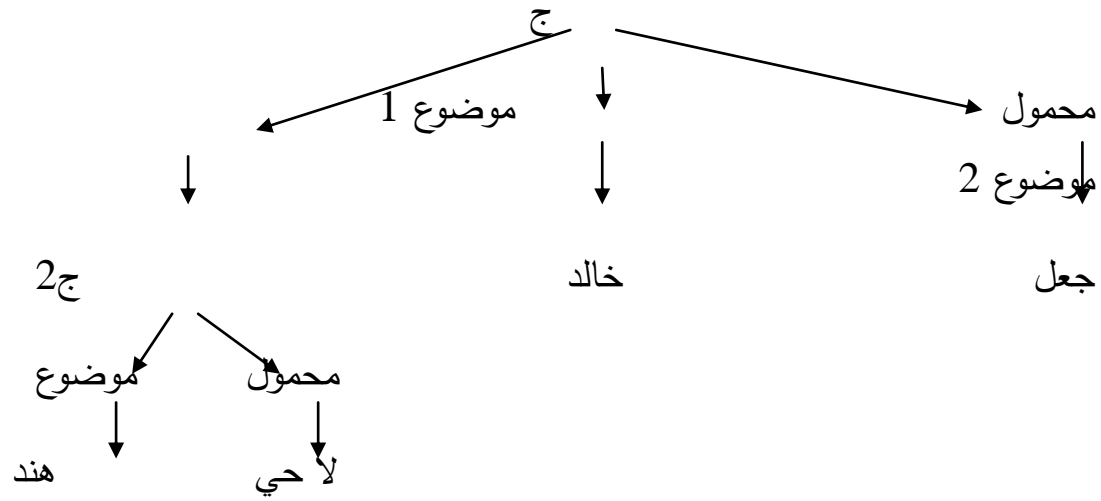


بعد تطبيق قاعدة –تصعيد المحمول– التي يتم من خلالها نقل محمول الجملة المدمجة (ج2 ) في البنية السابقة إلى مستوى محمول الجملة المدمجة (ج1)، ليؤلفا معا محمولا واحدا مركبا كما يوضح في البنية التالية :

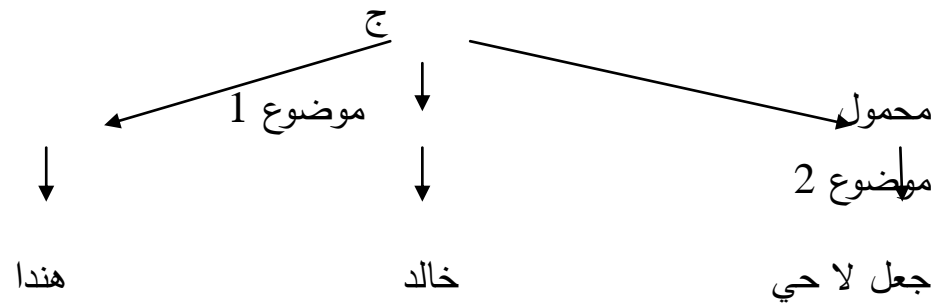

وبواسطة قاعدة الإدماج المعجمي يعوض المحمول المركب بالمفردة الملائمة، جعل لاحي=قتل، وتعتبر هذه القاعدة دخلا للقواعد التحويلية التي منها قاعدة تكوين الفاعل ، التي يستلزمها ترتيب المكونات إما :

- فعل +فاعل

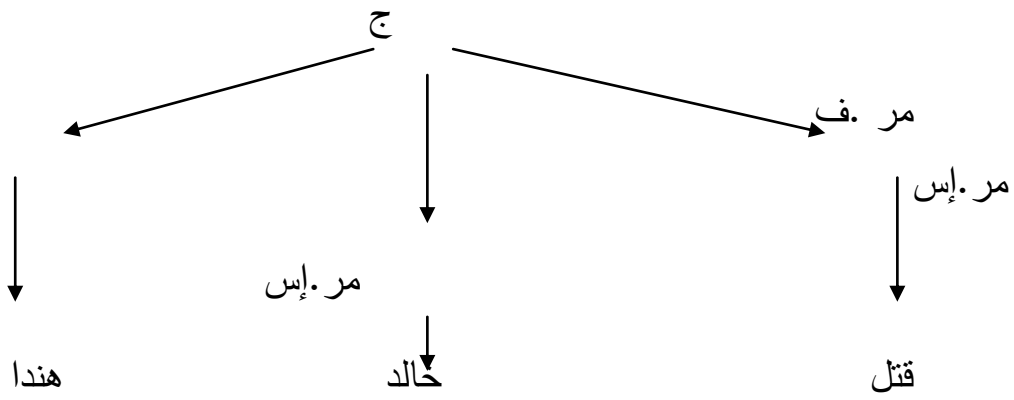


فاعل+فعل

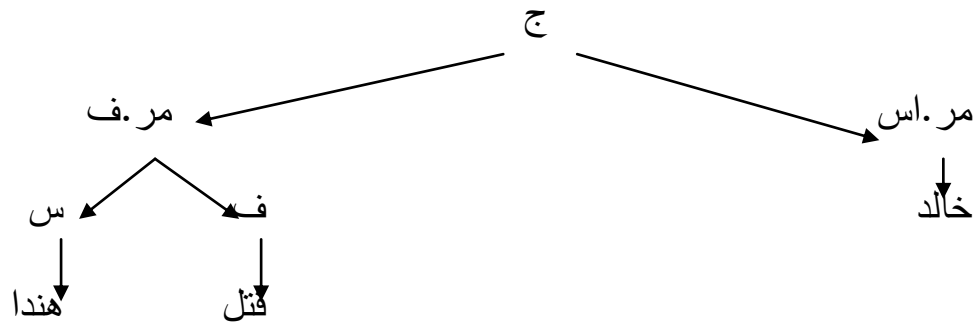


التجديد الأساسي في الدلالة التوليدية يقوم على أن اشتقاق الجملة لا يبدأ بتوليد بنية عميقة نحوية كما هو الحال عند تشومسكي بل بتوليد بنية دلالية مجردة تعطي التمثيل الدلالي ، ومن ثمة تخضع هذه البنية إلى تحويلات يتم إدخال مفردات المعجم إلى أن يتوصل أخيرا إلى البنية السطحية[1] .

[1] ينظر: عادل فاخوري، اللسانيات التوليدية التحويلية، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1،1988،ص 61

يتم تمثيل الخصائص الدلالية للجملة بدءا في البنية المنطقية مصدر الاشتقاق مما يفسر غياب المكون الدلالي بخلاف المتعارف عليه في أدبيات النحو التوليدي ذات الطابع التأويلي، فقد تولت هذه البنية مهمة التمثيل للخصائص التداولية وجعلها تنفتح على المفاهيم التداولية ، كمفهوم القوة الإنجازية ومفهوم البؤرة،وبعض المفاهيم المقترضة من فلسفة اللغة، مما دفع بالمشتغلين على نموذج الدلالة التوليدية من أمثال لايكوف وغيره يتصدون لتمثيلها باقتراحات و دراسات تسعى لتطوير النموذج بما يتماشى و المعطى التداولي[1] .

**خامسا- التركيبات الوظيفية[2]:**

تعرف اللسانيات الوظيفية بأنها مقاربة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفية التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقتها البنيوية ، وتحدد التركيبات الوظيفية بأنها أحد حقول اللسانيات الوظيفية ، بحيث تحلل البنيات التركيبية على أساس وظائفها التواصلية.

إن التركيبات الوظيفية ليست مرتبطة بنحو بعينه إذ أن أي نحو يجب أن يفرد مستوى أو مستويات للقيود الوظيفية الضابطة لسلامة الجمل كما أن كل نحو يفيد من استخدام المنظور الوظيفي في تحليل الظواهر التركيبية، إذ لا يوجد أي تناقض في الجمع بين تركيبات الصرف و التركيبات الوظيفية.

يقوم الاقتراح على فكرة إغناء نموذج من النماذج اللغوية المقترحة في النظرية التوليدية التحويلية بإدماج نسق من القواعد و القيود المرتبطة بوظيفة التواصل ، يتضمن بالأساس مجموعة من المفاهيم التي لها ورود ،في وضع القيود التي تخضع لها بعض القواعد التركيبية .

1. **المعلومة القديمة:** تتمثل في ورود عنصر ما من عناصر الجملة في السياق السابق ، فيصبح بذلك معلومة قديمة .

[1] ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، ص 104-105
[2] ينظر:المرجع السابق، ص ص 113- 115

2. **المعلومة الجديدة:** تتمثل في عدم ورود العنصر في السياق السابق مما يجعله حاملا للمعلومة الجديدة.
3. **المحور**: ويكون ممثلا في العنصر محط الحديث.
4. **البؤرة** :يمثلها العنصر الحامل للمعلومة الأحدث .

ترتبط بمفهوم كل من المعلومة القديمة و المعلومة الجديدة ظاهرة حذف المكونات غير الضرورية و التي يمكن إبرازها بالمثالين التاليين :

1. Did you stay in a hotel in paris
2. Yes ,i stay in a hotel Ø (because my friend was out of town)

1. هل أقمت في الفندق في باريس؟
2. نعم ، أقمت في الفندق (لأن صديقي كان خارج الوطن ).

1. Did you bay this parfume in paris
2. Yes,i bought it Ø

1. هل اشتريت هذا العطر من باريس؟
2. نعم اشتريت .

يمكن حذف الجملة ( في باريس) في الجملة الثانية من المثال الأول ، لأنه تم في مكون حامل لمعلومة قديمة ، على اعتبار أن المعلومة الجديدة تم الاستدلال عليها بباقي الجملة ، ويمنع حذفه في الجملة الأولى من المثال الثاني، لكونه مكون بؤرة الجملة ، ويحذف في الجملة التالية من المثال ذاته.

**سادسا- التركيب الوظيفي[1]:**

يطلق عليه أيضا (نحو الأدوار و الإحالة )، بحيث يتم إنتاج الجملة وفقه عبر ثلاث بنيات هي: البنية الدلالية ( أدوارية ) ، البنية التداولية (الإحالة) و بنية صرفية تركيبية ، ويتم رصد هذه البنيات وفق ثلاثة أنساق من القواعد: قواعد دلالية، قواعد تداولية، قواعد صرفية تركيبية.

يعد التفاعل بين أنساق القواعد الثلاث ، نسق القواعد الدلالية و نسق القواعد التداولية و نسق القواعد الصرفية التركيبية ، إنتاجا للبنية الصرفية التركيبية في نحو الأدوار و الإحالة ، مما يجعله مكونا متفاعلا لا مستقلا كما هو متفق عليه في الأنحاء التوليدية التحويلية .

**أ- البنية الدلالية:**

تطرح مشكل رصد المحمولات و العلاقات الدلالية القائمة بينها و بين موضوعاتها ، بحيث تقوم البنية الدالية على مفهومين :

1. مفهوم الأدوار الدلالية ( المحورية ).
2. مفهوم انقسام المحمول إلى مجموعة من المحمولات الأولى .

وتختزل الأدوار الدلالية لموضوعات المحمول في دورين اثنين هما : دور العامل ، و دور المتحمل .

1. العامل: الموضوع الدال على المشارك الذي ينجز الواقعة التي يدل عليها المحمول،أويتسبب في انجازها أو يراقبها .
2. المتحمل:الموضوع الدال على المشارك الذي لا ينجز ولا يراقب أية واقعة بل يتحمل (يتأثر ) بانجاز واقعة ما .

[1] ينظر: أحمد المتوكل،اللسانيات الوظيفية:مدخل نظري،ص ص 126-134

فالعامل يمكن أن يكون منفذا أو أداة أو مستقبلا أو مصدرا ، كما أن المتحمل يمكن أن يكون محورا أو متقبلا أو مكانا ، و يمكن تبيانهما في المثال التالي:

- كسر الطفل الإناء

يشغل الطفل دور العامل المنفذ ، أما الإناء فيشغل دور المتحمل المتقبل ، وفق البنية الدلالية، أما من حيث الوظيفة التركيبية فيشغلان موضع الفاعل و المفعول على التوالي .

اقترحت نظرية بغرض رصد الفروق في الأهمية بين مكونات الجملة ، بحيث يتم التمييز في بنية الجملة بين ثلاث قطاعات أساسية هي: النواة، الصلب ، الهامش.

يشكل نواة الجملة محمولها ، ويشكل صلب الجملة العناصر التي تنتمي إلى محلاتية المحمول ، أي العناصر التي تعد موضوعات للمحمول، أما هامش الجملة فيتضمن العناصر الدالة على ظروف الحدث الزمانية –المكانية – و العناصر الدالية على المشاركين الثانويين في الحدث ،كالمشارك المستفيد، ويمكن تمثيل البنية الجملة وفقا للتصور السابق كالتالي :

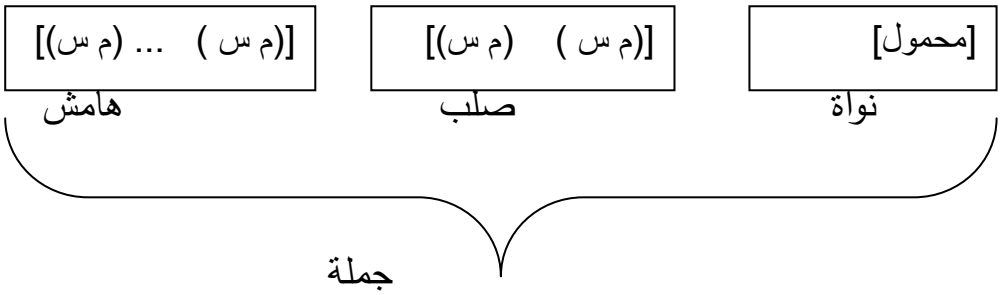


يمكن التمثيل للبنية بالجملة التالية: سلم خالد هندا رسالة أمس في الشارع

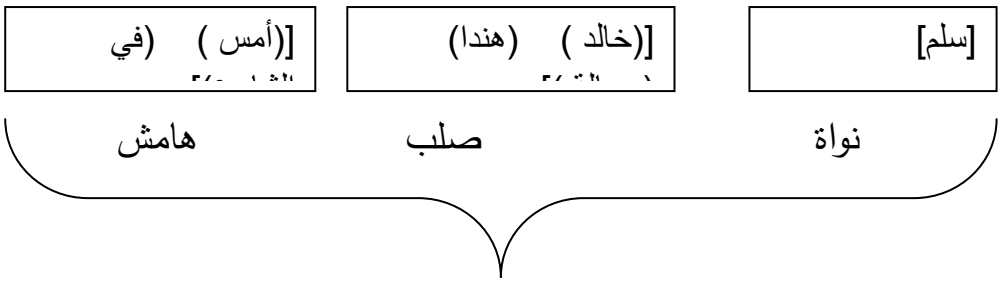

جملة

**ب- البنية التداولية :**

تمثل البنية التداولية وفقا لاقتراحات فالين و فولي البنية المنظمة على أساس الأدوار الخطابية التي تحملها مكونات الجملة، بحيث يخضع تنظيم بناء الجملة لنوع المعلومات وفقا لعنصر (قديم – جديد )والتي تحملها المكونات بالنظر إلى حمولة الجملة الإخبارية، إذ يبرز مكون ما دون البقية مما يجعله مركز الاهتمام الذي تبنى عليه باقي الجملة ، ويطلق عليه الباحثان مصطلح (القيمة التداولية ) أو مصطلح (العماد ).

ج- **البنية الصرفية – التركيبية:**

تنتج البنية الصرفية التركيبية عن تفاعل أنساق البنيتين الدلالية و التداولية ، بحيث سيظهر تأثير التفاعل في ترتيب المكونات و في الوسم الإعرابي.

عند تفعيل عنصري (الجديد/القديم) فإن المكونات ذات الحمولة الإخبارية الجديدة تأخذ المكون العماد في الجملة نظرا لأهميتها التداولية مما يجعلها تحتل الموقع الأكثر بروزا، أي الموقع المتقدم على موقع الفعل أو الموقع الموالي له مباشرة ، وبما أنه المكون المركزي في مجموعة من التراكيب فإنه يمكن تصعيده إلى (الفاعل) أو إلى ( المفعول) كما أنه المكون الذي يحذف في البنيات المنطقية.

وعلى هذا الأساس يكون الفاعل عبارة عن تحجر للوظيفة التداولية للعماد داخل الجملة ، أما الوسم الإعرابي فيشمل جميع الوسائل التي تستخدمها اللغات للتأشير لوظائف الموضوعات الاسمية الواردة في الجملة كالصرفات الإعرابية و الرتبة .

**سابعا- نظرية النحو الوظيفي:**

نشأت نظرية النحو الوظيفي على يد الباحث الهولندي (سيمون ديك **Simon dik** ) وذلك سنة 1978، بظهور كتابه المعنون بالنحو الوظيفي ( functional grammar)، إذ بين من خلاله المعالم الرئيسة و الخطوط العريضة لنظريته التي وجدت لها تطبيقا على يد أتباعه فيما بعد من خلال مجموعة من الدراسات التي لمست مختلف مستويات النظام اللغوي – معجم، تركيب، دلالة، تداول –، وتمر بأطوار كثيرة أدت إلى إفراز عدد من النماذج هي: النموذج النواة ،و النموذج المعيار، و نحو الطبقات القالبي، ونحو الخطاب الوظيفي، وفيما يلي عرض موجز لكل واحد منها يحدد موضع التطور أو سد النقص الذي وقع فيه سابقه.

أ- **النموذج النواة (ما قبل المعيار)** : شكلت الجملة فيه موضوع النمذجة بحيث تم الاشتغال على نحو الجملة البسيطة و ما جاورها من أدنى ممثلا في المركب و الكلمة المفردة .

الشكل التالي يعبر عن مكونات النموذج وطريقة اشتقاق العبارة فيه[1]

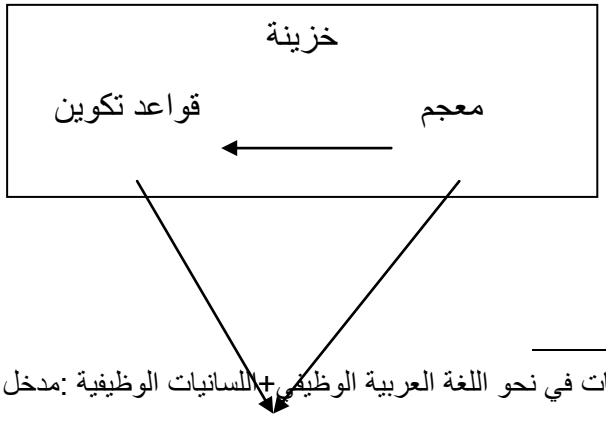


[1] ينظر: أحمد المتوكل ، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي+اللسانيات الوظيفية :مدخل نظري

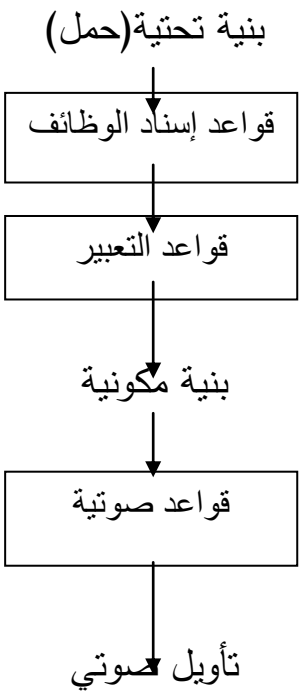


ب- **النموذج المعيار(نموذج مستعملي اللغات الطبيعية):** لمست الدراسات الجملة المركبة و المعقدة وما تلاها من أعلى؛ إذ من خلاله حدث الانتقال من نحو الجملة إلى نحو الخطاب ، وذلك برصد ملكات كل من المتكلم و المتلقي التي جاءت في شكل قوالب مستقل تتفاعل فيما بينها وفقا لمبدأ عمل ( دخلunput /خرجoutput )، والسعي إلى توصيف عملية التواصل و التبليغ القائمة بينهما ، والمختلفة باختلاف أنظمتها وتنوعها بين ماهو لغوي ماهو غير لغوي ، وتعميمه وفقا لمستويات التواصل انطلاقا من أدناها وهو مستوى الكلمة وصولا إلى أعلاها وهو الخطاب ،ضمن سياق اجتماعي محدد ، ووفقا لهذه الرؤية فقد جاءت بنية نموذج مستعمل اللغة الطبيعية كالآتي:

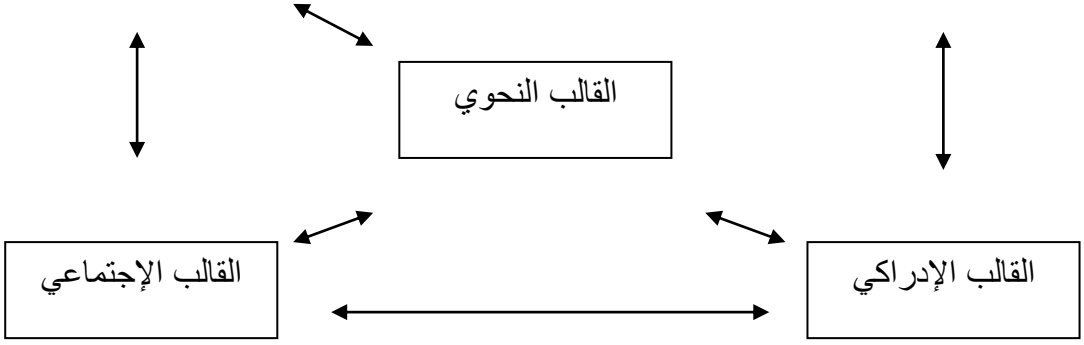


رسم تخطيطي يبين بنية نموذج مستعمل اللغة الطبيعية [1]

تبرز كل طاقة من الطاقات التي حددها ديك **(S.Dik)**في عملية التواصل في صورة قالب مستقل بذاته ، ذلك أن بنية النموذج قائمة على فرضية القالبية التي مفادها أن "دراسة أي نسق من الأنساق تقتضي التعامل معه على أساس أنه مكون من عدة أنساق فرعية يتميز كل منها بالخصائص الآتية :

1. **إفرادية البنية:** لكل نسق بنيته الخاصة .
2. **إفرادية المباديء:**تخضع كل بنية لمجموعة مباديء تقوم بتنظيم طريقة اشتغالها.
3. **إفرادية التطور**:تميز كل بنية بخصائصها و مبادئها يجعلها بالضرورة تتمتع بانفراد التطور و النمو مما يمنحها استقلاليتها في مقابل عدم تناقضها مع خاصيتي :الاستقلال و التفاعل"[2].

ويرجع تبني مفهوم القالبية في بناء النموذج إلى الانفتاح الذي تعرفه اللسانيات على مناهج البحث تماشيا مع ما تسعى إليه حاليا من محاولات لبناء أنساق حاسوبية تحاكي الأنساق البشرية وعلى رأسها النسق اللغوي ، بقدرته التواصلية التي يحاول نموذج مستعملي اللغات نمذجتها بجعل القالب النحوي مركز ثقل بناء النموذج من خلال تزويده لبقية القوالب بالنشاط الذي يمكنها من التفاعل فيما بينها كما نلاحظ من

[1] أحمد المتوكل،آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربي، المغرب ، دط، 1993، ص 10
[2] ينظر: عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي ، ص ص 51،52

خلال الرسم، وهذا حتى تتمكن من تفسير قدرة الإبلاغ لدى مستعمل اللغة الطبيعية المكونة أساس من مجموعة من الملكات أبرزها [1]:

1. الملكة اللغوية: يتمكن من خلالها مستعمل اللغة ، من إنتاج و تأويل عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة ومعقدة ،في عدد كبير من المواقف التبليغية المختلفة ، وهي تقابل القالب النحوي.
2. الملكة المنطقية: يتم من خلالها اشتقاق معارف مختلفة ، انطلاقا من مباديء المنطق الاستنباطي و المنطق الاحتمالي، و تقابل القالب المنطقي.
3. الملكة الاجتماعية: تعمل على مطابقة الأقوال مع الأعراف و العادات الكلامية في المجتمع ، بحيث يعرف كيف يحقق أهدافا تبليغية مع مختلف المخاطبين، وتقابل القالب الاجتماعي.
4. الملكة المعرفية: وتتمثل في الرصيد المعرفي المنظم الذي يكتسبه مستعمل اللغة من خلال اشتقاقه معارف من العبارات اللغوية، يخزنها و يستحضرها في الوقت المناسب،ليؤول بها العبرات اللغوية ، وهي تقابل القالب المعرفي .
5. الملكة الإدراكية : تجعل مستعمل اللغة مدركا لمحيطه حتى يشتق منه معارف ، يستثمرها في إنتاج العبرات اللغوية و تأويلها، وهي ترتبط بالقالب الإدراكي.

تميز نموذج النواة بتمثيل الوظائف التداولية الداخلية و الخارجية و الاكتفاء بها ، ليقدم بعده نموذج مستعملي اللغات الطبيعية تمثيلا للسمات الإنجازية و الوجهية، وإضافة وظائف خارجية أخرى إلى كل من المبتدأ والذيل تمثلت في ؛" فواتح، نواقل، حوافظ، خواتم "[2] وفقل لما تؤديه داخل الخطاب، كما تم تفريع كل من وظيفتي (البؤرة

[1] ينظر: أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص ص 8،9

[2] ينظر: محمد الحسين مليطان،نظرية النحو الوظيفي، ص ص 88،89،120،121

- فواتح (Initiators ):يستهل خطابا جديدا أو قطعة جديدة من خطاب ما،مثل العبارات الاستهلالية من قبيل :كان يا مكان.

و المحور )[1]إلى : بؤرة جديدة، بؤرة تعويض، بؤرة قصر، بؤرة انتقاء، أما المحور فصنف أيضا إلى : محور معطى، محور معاد، محور جديد.

**ت- نموذج نحو الطبقات القالبي :**

نشأ نتيجة لسعي النظرية إلى تحقيق الكفاءة النمطية ، وهي إحدى الكفايات التي يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيقها مع الكفايتين النفسية و التواصلية ، و الذي جاء في اقتراح المتوكل بما أطلق عليه " بنية الخطاب النموذجية"[2] ، والتي تتكون من مستويات ثلاث هي : البلاغي (المركزالإشاري+نمط الخطاب+الأسلوب)،العلاقي (الاسترعاء+الإنجاز+الوجه)،دلالي( التأطيرية+ التسويرية+الوصفية)، وهذه المستويات بما تحمله من طبقات هي ما يكون البنية التحتية للنموذج والمنتقلة بواسطة قواعد التعبير إلى بنية سطحية قابلة للتأويل بواسطة القواعد الصوتية على النحو التالي:

- لاحق(Satellite):محط التمثيل للسمات التداولية و الدلالية التي تتحقق بوسائل معجمية ، ترد في شكل لواحق ظرفية (ظروف،مركبات حرفية،جمل،...) مثل : شرب خالد لبنا صباحا أثناء فطوره.
- حوافظ (Maintainers ): ما يحفظ استمرار الخطاب.
- خواتم(Finalizes): وظيفة خارجية / مكون خارجي : وهي عبارات يؤشر بها إلى انتهاء الخطاب؛أو هي التعبير الدال على نية المتكلم في إنهاء الخطاب.

[1] ينظر ، نفسه ،البؤرة ( Focus): وظيفة تداولية تسند إلى المكون الأبرز في الجملة، وتكون إما :

- بؤرة انتقاء (Delecting focus ) : تسند إلى المكون الحامل للمعلومة المراد أنتقاؤها من معلومات متعددة واردة في خطاب سابق، مثل: أتشرب شايا أم لبنا؟لبنا، من فضلك .
- بؤرة تعويض (Replacing focus ): تسند إلى المكون الحامل للمعلومة المراد تعويضها بمعلومة سابقة غير صحيحة في مخزون المخاطب، مثل: لقد قابلت زينب هذا الصباح،لا، هندا قابلت هذا الصباح.
- بؤرة جديدة ( New focus): تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يملكها المتكلم و يجهلها المخاطب، مثل من قابلت هذا الصباح؟ قابلت هندا .
- بؤرة قصر/ حصر (Restering Focus ): تسند إلى المكون الحامل للمعلومة المراد حصرها في معلومة معينة لا تتجاوزها إلى غيرها، مثل: لقد قابلت زينب هذا الصباح، لا،إنما قابلت هذا الصباح هندا.
- محور( Topic) : وظيفة تسند إلى المكون المتحدث عنه داخل الحمل. و ينقسم إلى :
- محور جديد( New topic): محور مدرج لاول مرة في خطاب ما.
- محور معطى (Given topic ) : محور يعاد ذكره للمرة الثانية بعد المحور الجديد بغرض الحفاظ على وحدة الخطاب و تناسقه و تماسكه عبر سلسلة محورية.
- محور معاد ( Resumed topic):محور يعاد ذكره للمرة الثالثة بعد المحور الجديد و المحور المعطى بغرض الحفاظ على وحدة الخطاب.

[2] أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية و النمطية ، ص

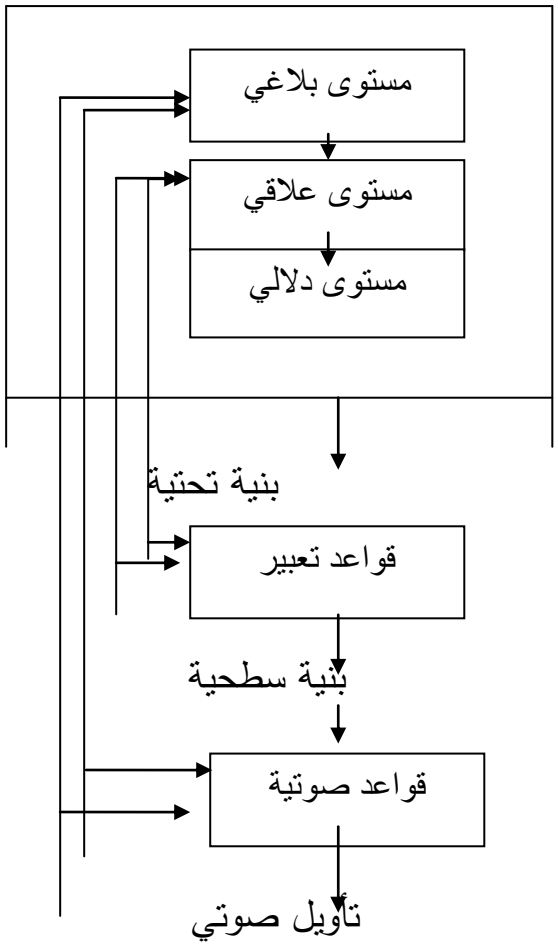


رسم تخطيطي يوضح بنية واشتغال نموذج نحو الطبقات القالبي

من بين النتائج المتصل إليها في نحو الطبقات القالبي، إعادة تصنيف للغات وفقا لمستويات بنيتها التحتية، بحيث تنقسم إلى نمطين:

1. **اللغات الموجهة تداوليا:** تغلب المستوين البلاغي و العلاقي ، فهي غاليا ما تفرد للخصائص التداولية مجالا ما قبل الرأس متميزا عن مجال الخصائص الدلالية التي تتموضع غاليا في مجال بعد الرأس في البنية السطحية، ووصفها المتوكل باللغات الشفافة.
2. **اللغات الموجهة دلاليا:** تغلب المستوى الدلالي عل المستويين ، وأسماها اللغات الكاتمة.

**ث- نموذج نحو الخطاب الوظيفي:**

جاء على يد كل من الباحثين ( **Mackenzie/Hengeveld** ) سنة 2008 ، بحيث سعيا إلى تحصيل الكفاية النفسية ، مما دفع بهما إلى ضبط قواعد النحو وفقا للواقع النفسي ، ونتج عنه تطور في مكونات الجهاز الواصف للنظرية ، بحيث أصبحت تتكون من:

1-مكون مفهومي: يرصد المعارف اللغوية و غير اللغوية ، كما يرصد قصد المتكلم من الخطاب المنتج،ويعد قوة دافعة لبقية المكونات.

2-مكون نحوي: يحدد خصائص الخطاب وفقا لمستويات ثلاث ؛ علاقي ( تداولي) تمثيلي(دلالي)، بنيوي.

3-مكون سياقي: محط رصد العناصر المقامية و المقالية التي تواكب إنتاج الخطاب ، ويقوم بدور الربط بين بقية المكونات.

4-المكون الإصاتي: يقوم بإنطاق خرج البنية الصرفية – التركيبية و ذلك وفق قواعد التعبير ، لتنتج في شكل عبارة لغوية محققة.

ويمثل الشكل التالي مخطط نموذج نحو الخطاب الوظيفي بمكوناته وطرق و آليات اشتغاله:

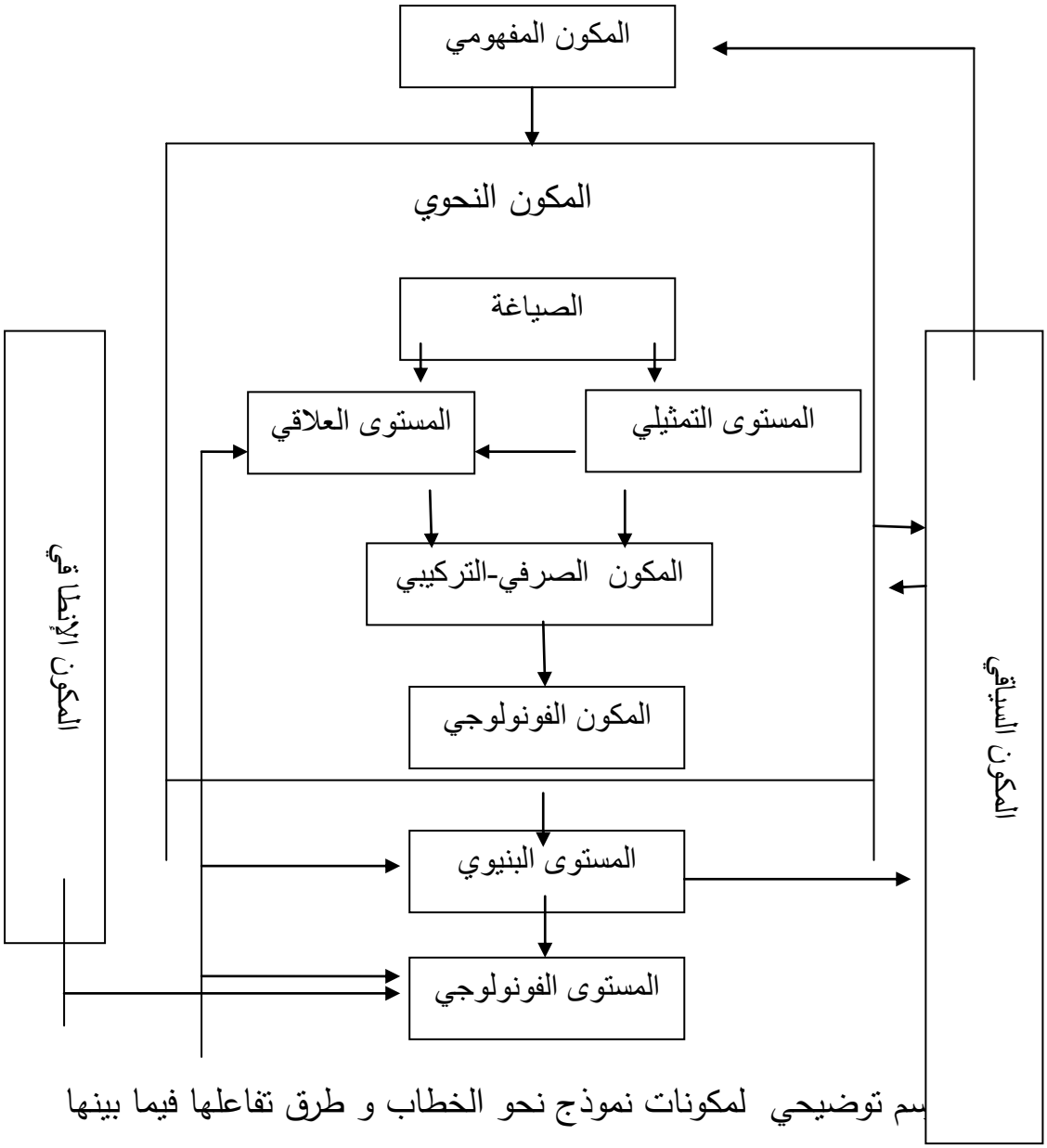


رسم توضيحي لمكونات نموذج نحو الخطاب و طرق تفاعلها فيما بينها

يروم الفصل رصد أهم قضايا الصوتيات الوظيفية التي تطرق إليها **(ابن جني)** في مجموعة من أبواب كتابه (الخصائص )،باعتبار أن( **ابن جني)** واحد من علماء الفكر اللغوي في التراث العربي عامة ؛لأنه أسهم في ازدهاره بوضع كثير من قواعد اللغة العربية في جل مستوياتها ؛الصوتية والصرفية و النحوية والدلالية ،إلا أنه كان أول من أفرد للأصوات مؤلفا قائما بذاته أسماه (سر صناعة الإعراب)، وأطلق على مجال بحثه مصطلح (علم الأصوات و الحروف) ، فنجده يقول :" ...ولكن هذا القبيل من هذا العلم،أعني علم الأصوات و الحروف له تعلق و مشاركة للموسيقى بما فيه من صنعة الأصوات والنغم"[1]، وتمكن بما يملكه من حس وذوق من تحليل أصوات اللغة العربية و تحديد المخارج و الصفات الخاصة بها ، مع الأخذ بجهود سابقيه من أمثال (**الخليل بن أحمد** ) و (**سيبويه** ) و (**الجاحظ** ) وغيرهم ممن اهتم بالبعد الصوتي و اتخذه منهجا للتحليل يبتغي به بناء معجم أو الولوج به لعلم التصريف أو البحث عن الفصاحة وأوجه التركيب في اللغة ، فنجده يوافقهم في مواضع و يخالفهم في أخرى فيما ذهبوا إليه من آراء تتنزل وفق الدراسات اللسانية الحديثة ضمن حدود (علم الأصوات )، إلا أن البحث الصوتي عند ابن جني تجاوز مستوى تحديد حيز الأصوات و سماتها إلى البحث عن علاقة الأصوات بمعانيها و دلالاتها التعبيرية في بنية اللغة ، وهو ما تعرض له في ثنايا أبواب كتابه (الخصائص ) ، نحو (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)،وباب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني )، وغيرهما مما يتم تتبعه من المسائل الصوتية التي أوردها كنظرية الفونيم ، و التبديلات الصوتية من المماثلة و المخالفة ، وإشارته للمظاهر السياقية من نبر و تنغيم وغيرها ، مما استطاع أن ينظر لها بما يتوافق و نتائج التحليل الوظيفي الألسني الحديث في مجال علم الأصوات .

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح : محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاته عامر،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،ط1،2000،22/1

## المبحث الأول : نظرية الفونيم و السمات الصوتية

### أولا- وعي علماء العربية المسلمين بالبحث الفونولوجي :

إن من يطلع على الجهود التي بذلها العرب القدامى في ميدان دراسة الأصوات ، يجد أنهم أدركوا قضية القيمة التعبيرية للصوت مما يدل على وجود إرهاصات أولى للبحث الفونولوجي في التراث العربي ، والذي ظهر بصورة تطبيقية بارزة في علوم اللغة العربية مما اجتهد فيه علماء المسلمين ؛ حيث ظهر البحث الصوتي فيها بشكل تلقائي دون تخصيص له ، بوصفه منهجا متبعا لبرهنة و تفسير قضايا لغوية ذات انتماء لمستويات أعلى ؛كالنحو و الصرف و المعجم و البلاغة و الأسلوب وغيرها مما اتصل بعلم الأصوات ، وفيما يلي بيان لبعض المجالات التي ارتكزت على البحث الصوتي و نتائجه:

أ- **صناعة المعاجم :** يعد معجم ( العين )ل ( **الخليل بن أحمد الفراهيدي** ت 170 هـ ) أول معجم خاص باللغة العربية ، يمكن للمتأمل فيه أن يبصر وعي وإدراك صاحبه لفكرة وظيفة الصوت وما يمكن أن يؤديه من تغيرات في تركيب بنية الكلمة العربية ، مما ينفي عنه الاكتفاء بدراسة الأصوات بمعزل عن السياق ، ويثبت اهتمامه بالقيمة اللغوية للصوت أثناء ترتيبه لمعجمه من خلال التقليبات التي أداها و تمكنه من تصنيف الكلام إلى مهمل و مستعمل ، فقد اتبع النظام الصوتي باحثا في السمات الفونولوجية لترتيب الأصوات في الكلمة ، وهو ما أتى على تفصيله في مقدمة المعجم التي تحمل في طياتها مادة دسمة في علم وظائف الأصوات ، ذلك أنه حدد مخارج الأصوات و صفاتها من جهر و همس و إطباق و غيرها ، ولعل تعليله لسبب تسمية معجمه حسب ما أورده (**السيوطي**) في حديثه عن الفراهيدي دليل على مدى وعيه ، يقول في ذلك : "لم أبدأ بالهمزة،لأنه يلحقها النقص و التغيير و الحذف،ولا بالألف، لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، ولا في اسم ،ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة،ولا بالهاء، لأنها مهموسة خفية لا صوت لها ، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين و الحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين ، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف"[1]، وتطرق بعدها إلى ما يمكن أن يصيب الصوت من تغير داخل بنية الكلمة فيصير إلى قلب أو إبدال أو حذف ،أو غيرها من قوانين تجاور الأصوات مما انتبه إليها (**الخليل**) ، وهي في مجملها مسائل صوتية تنم أن صاحبها ذو معرفة دقيقة ببنية وهندسة الكلمة العربية .
يمكن القول بأن الصناعة المعجمية و معظم اللغويين ممن جاء بعده واشتغل بالبحث اللغوي عند العرب قد اقترض و تأثر ولو بشكل طفيف بنتائج البحث الصوتي الذي أنجزه الخليل ، ليكون له فضل السبق في كثير من المسائل الغوية بصفة عامة و الصوتية على وجه الخصوص .

[1] السيوطي، المزهر في علوم اللغة و أنواعها، تح: محمد احمد جاد المولى وآخرون، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دط، دت ، 1 /90

**ب- النـــحـــــــو:** اعتنى النحاة بدراسة الأصوات كونها مفتاح ولوج مجموعة من الظواهر التي تجري في كلام العرب ، فهاهو (**سيبويه** ت 180 هـ) إمام النحويين و صاحب ( الكتاب ) الذي ألفه بغرض البحث عن تراكيب اللغة و ما يحكمها من قواعد تم استنباطها بالاستقراء، هو الآخر يقف عند الأصوات ليحدد مخارجها و يعين صفاتها و يعلل لذلك بقوله :"وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام ،وما يجوز فيه،وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه ، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك "[1].وفي حديثه هذا تنبيه للقاريء بأن الإدغام وهو ظاهرة صوتية بالدرجة الأولى يمكن أن يوقع المتكلم في اللحن إن لم يحسن معرفة مواضعه في سلسلة الكلام ، وتعود قيمة الجهود الصوتية في الكتاب إلى أنها اعتمدت المنهج الوصفي حسب ما تقره اللسانيات و الذي يعتمد في أساسه على الملاحظة والاستنباط من الواقع ، مما دفع بالمحدثين إلى الاعتراف بجهود القدماء في ميدان البحث الصوتي ، يقول عبد الصبور شاهين :" يعد كتاب سيبويه من أقدم المصادر التي وصفت الأصوات العربية وصفا تفصيليا، يعتمد على تقرير الواقع المعاصر لمؤلفه خلال القرن الثاني الهجري،وقد عاصر سيبويه قراء القرءان الكريم ، وأخذ عنهم القراءة عرضا وسماعا، وتلقى عن الخليل بن أحمد،أعظم علماء الأصوات آنذاك، إن لم يكن أعظم العبقريات قاطبة في عصره،كما أن سيبويه قد شافه الفصحاء ، وخبر طريقة هؤلاء و أولئك في أداء اللغة، ووقف منهم موقف الناقد الذي يميز بين ما هو من الفصيح ، وما هو دون الفصيح "[2]، وفي هذا الكلام ما يشير و يدل على تقدم الدراسة الصوتية عند سيبويه نظرا لاعتمادها على الواقعية مما يضفي عليها طابعا علميا و دقة في النتائج تضاهي إلى حد كبير ما توصل له الباحثون في العصر الحديث .

**ت- البـــــلاغيون:** يمكن القول بأن( **الجاحظ** ت 255هـ) واحد ممن تنبه إلى الظواهر الصوتية وعلاقتها بالفصاحة ، فقد اعتمد مباديء صوتية في تحليل بعض أمراض النطق و الكلام بدقة في كتابه (البيان و التبيين )، ومن بين المسائل التي تطرق لها ، اللثغة ، إذ فصل القول في الحروف التي يمكن تصيبها وتدخل عليها وحددها بأربعة أحرف هي : " القاف، و السين ، واللام، و الراء"[3]، ثم تعمق في شرح ما يتعرض له كل صوت من تغير في مستوى الأداء أثناء النطق به نتيجة زحزحته عن مخرجه مما يجعله يخرج بصيغة و شكل حرف آخر ، يقول :"وأما اللثغة التي تقع في الراء،فمنهم من أراد أن يقول عمرو، قال:عمي، فيجعل الراء ياء.ومنهم من أراد أن يقول عمرو،قال: عمغ،فيجعل الراء غينا.ومنهم من أراد أن يقول عمرو،قال:عمذ، فيجعل الراء

[1] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط 3،2006،436/4

[2] عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي، المطبعة العالمية، القاهرة، ط1، 1975، ص ص 208،209

[3] الجاحظ، البيان و التبيين،تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،ط7،1998،34/1

ذالا،..."[1]. فقلب الحروف و الأصوات و عدم احترام مخارجها و الإخلال بصفاتها يؤدي حتما إلى إخراج صاحبها من رتبة سلامة الكلام فما بالك بفصاحته .

**ث- القــراءة و التجـــويد:** وهو أكثر علم برز فيه علم الأصوات بشقيه الوظيفي و العام ،إذ لا يكاد يخلو مؤلف لعلمائه من حديث مخارج الأصوات و صفاتها وطرق أدائها و نطقها ، رغبة منهم في الحفاظ على سلامة قراءة القرآن لأنها كانت تنتقل بالتواتر الشفوي، فنجد (**ابن خالويه** ت 370 هـ) في كتابه ( الحجة في القراءات السبع ) يورد كلاما عن الإدغام و الإظهار يشرح فيه طريقة قراءة الآية ( فيه هدى للمتقين )، يقول " فيه هدى: يقرأ بالإدغام و الإظهار.فالحجة لمن أدغم: مماثلة الحرفين، لأن الإدغام على وجهين، مماثلة الحرفين، ومقاربتهما.فالمماثلة:كونهما من جنس واحد.و المقاربة:أن يتقاربا في المخرج كقرب القاف من الكاف، و الميم من الباء،واللام من النون،وإنما وجب الإدغام في ذلك لأن النطق بالمتماثلين و المتقاربين ثقيل، فخففوه بالإدغام، إذ لم يكن حذف أحد الحرفين.و الحجة لمن أظهر:أنه أتى بالكلام على أصل ما وجب له، ووفاه حق لفظه، لأن الإظهار الأصل، و الإدغام فرع عليه"[2].

يلاحظ أن علماء القراءات و التجويد كانت لهم معرفة ودراية كبيرة بأحوال الأصوات والحروف حال التأثير و التأثر ، فقد تم بناء أحكام التجويد بالعودة إلى ما تتمتع به العربية من خصائص نابعة من تأثير الأحكام التركيبية في مستوى الأصوات (التجاور) ، وهذه التفاتة إلى وعيهم وعنايتهم بالبحث الفونولوجي وتميزه بالدقة مما أضفى عليه طابع الوضوح و روح العلمية ، يقول (**ابن الجزري** ت 833هـ):"فإذا أحكم القاريء النطق بكل حرف على حدته موف حقه فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد "[3]. وفي كلامه إشارة إلى ما يمكن أن ينتج عنه احتكاك الأصوات من تبدلات بعد تجاورها و دخولها في السياق ، لأن معرفة أحكام التركيب الصوتي، أي الوعي بقوانين ائتلاف الأصوات وطرق مجاورتها بعضها لبعض ، لهو أحد شروط حسن التجويد وهو ما ذهب إليه (**المرادي**) في كتابه المفيد في شرح عمدة المجيد بقوله :" اعلم أن تجويد القراءة يتوقف على ثلاثة أمور:أحدها: معرفة مخارج الحروف،و الثاني: معرفة صفاتها،والثالث : معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من أحكام "[4].

إن هذه الإشارات المبثوثة في طيات مؤلفات علماء العربية الأوائل لهي دليل على وجود عناية بالظواهر الصوتية بشكل واضح يتجلى في التكامل بين شقي علم الأصوات ( التشكيلي والعام)؛واستخدامهما كمنهج تفسيري ، و بالتالي يمكن القول بأن حداثة الاسم لم تبخس قيمة المسمى بقدر ما رسخت وجوده في التراث وأثبتت نضجه و استمراريته في الحاضر كفرع معرفي تحت مصطلحات عدة منها : علم

---

[1] نفسه،ص 36

[2] ابن خالويه،الحجة في القراءات السبع،تح:عبد العال سالم مكرم،دار الشروق، بيروت،لبنان،ط3،1979،ص 63

[3] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر،تح:محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، دط،دت،ج1،ص 214

[4] ابن المرادي،المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم و التجويد،ص 39

الأصوات الوظيفي أو علم الأصوات التشكيلي أو علم وظائف الأصوات أو علم الأصوات التنظيمي أو الصوتيات الوظيفية، و هي كلها مقابلات لما يصطلح عليه في اللغة الأجنبية ب (phonology) ، والتي تتمتع بأسس علمية ،وتعالج قضايا عديدة منها ،نظرية الفونيم وهي مدار الحديث فيما يلي.

**ثانيا-نظرية الفونيم والسمات المميزة عند ابن جني :**

يجمع العلماء على أن مفهوم( الفونيم-Phoneme) يعود إلى العالم البولندي (جان بادوين كورتيني **Jan Niecislaw Baudouin de Courtenay** )، فقد ظهرت إشارته الأولى عن هذا المفهوم في أول مقال له نشره سنة 1869م، ظهر من خلاله إدراكه لفكرة الوظيفية اللغوية التمييزية التي تمارسها أصوات اللغة في التنوعات النطقية التي تشكل الكلمات، لتليها إشارة أخرى عند نشره لكتابه الأول سنة 1873م، و الذي قدم تحت دفتيه مضمون نظرية الفونيم [1]، إلا أنه ظهر كمصطلح كما تذكر بعض المؤلفات على يد( ديفريش**Desgenettes Dufriche**) فهو أول من استخدم مصطلح (الفونيم - Phoneme)في اجتماع الجمعية اللغوية الفرنسية سنة 1873م ، وثاني من استعمله لويس (هافييت )، ومنه انتقل إلى( سوسير-Saussure )[2]، ليستعمل فيما بعد ضمن المدارس اللسانية الأوروبية و الأمريكية ذات الاتجاه البنيوي و التي تأثرت بأفكار سوسير ، وينتقل منها إلى الدراسات اللغوية العربية الحديثة .

رغم التباين القائم بين مختلف المدارس و الاتجاهات في تفسير (الفونيم) إلا أنه هناك إجماعا في كونه يتمتع بقيمة خلافية تمييزية دلالية يمنحها للكلمة وفقا للمبدأ الوظيفي القائل "وظائف الأصوات تتمثل قبل كل شيء في سماحها بتمييز الوحدات، التي هي توفر المعنى"[3]، وهو ما اعترف به (ر.جاكوبسون**Jakobson**) في محاضراته قائلا: " إن أصوات الكلام لا يمكن أن تفهم أو تحدد أو تصنف أو تفسر إلا في ضوء المهمات التي تنجزها في اللغة"[4] وهي مهمة التمييز و التفريق ، ووفقا لهذا الكلام يمكن القول بأن فكرة (الفونيم ) وجدت مع ظهور الكتابة و اكتشاف الإنسان للخط والرموز اللغوية ، إذ تمثل حروف الأبجديات المختلفة في اللغات البشرية أقساما يشتمل كل منها على عدد من الأصوات يجمعها نسب معين و تدخل في نطاق السمع و البصر، وبناء على هذا يكون المفهوم الذي تطرحه الدراسات الحديثة للحرف مساويا للمصطلح الغربي الجديد الفونيم[5]، انطلاقا من فكرة الأبجديات وتساوي

[1] ينظر: رومان جاكوبسون، محاضرات في الصوت و المعنى،تر:حسن ناظم،علي حاكم صالح،بيروت، المركز الثقافي العربي،1994،ص 64 و أحمد مختار عمر،دراسة الصوت اللغوي،عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1991،ص 169

[2] ينظر: أحمد مختار عمر،دراسة الصوت اللغوي ، ص 169

[3] أوزوالد ديكرو،جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص49

[4] جاكوبسون، محاضرات في الصوت و المعنى، ص 143

[5] ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1992، ص 120،130

مفهوم الحرف مع مصطلح (الفونيم ) ، نجد أن العرب مثل بقية الأمم أدركت هذا المفهوم من خلال إبداعها للألفبائية العربية ؛إذ يعبر عن كل حرف برمز .

وعند الخوض في مسألة الحروف و الأصوات في فكر ابن جني ، يتضح أن الفكرة ذاتها حاضرة في ذهنه من خلال ربطه بين الحرف وما يمكن أن يدل عليه ،أي عقد علاقة بين الأصوات و الدلالة (الدلالة الصوتية ) ضمن باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني ) فتراه يقول : "من ذلك قولهم : خضم وقضم،فالخضم لأكل الرطب؛كالبطيخ و القثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب،والقضم للصلب اليابس؛نحو:قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك ،...فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، و القاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث "[1]، وفي كلامه هذا إشارة إلى أن تغير الصوت واستبداله بصوت آخر في نفس السياق يؤدي إلى تغير المعنى ، ثم يضيف مثالا آخر لتأكيد الفكرة قائلا : " النضح للماء و نحوه.و النضخ أقوى من النضح ، قال الله سبحانه: (فيهما عينان نضاختان)-الرحمن 66-، فجعلوا الحاء – لرقتها- للماء الضعيف، و الخاء-لغلظتها- لما هو أقوى منه "[2]، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن ابن جني قد أدرك استقلالية الحرف، واعتبره فونيما أو وحدة صوتية مرتبطا بمعنى في ثباته و تغيره في موقعه، بحيث يصلح أن يكون مقابلا استبداليا لآخر فإذا تغير في موقعه من الكلمة و ثبتت بقية الحروف يعقب ذلك اختلاف في المعنى[3]، وفي هذا تأييد للوظيفة التمييزية التي يقوم بها داخل النظام اللغوي ككل .

إن (**ابن جني**) في هذا الموضع وغيره من المواضع الأخرى ، تجاوز فكرة (الفونيم ) ككتلة صوتية خام ، وذهب إلى تفتيتها وتحليلها إلى أصغر مكوناتها ممثلة في سماتها النطقية السمعية ، وهو بهذا لم يخرج عما جاء به سابقوه من وصف للأصوات بدقة في مستواها الفيزيائي وتوصلهم إلى مجموعة من السمات أبرزها[4] :

| | |
|---|---|
| الجهر | الهمس |
| الإطباق | الانفتاح |
| الشدة | الرخاوة |
| الاستعلاء | الاستفال |
| الذلاقة | الإصمات |

وبناء على هذه السمات قام (**سيبويه**) بتمييز الأصوات المتحدة المخرج ، من ذلك ما ذهب إليه في مقابلة أصوات الإطباق بقوله " لولا الإطباق لصارت الطاء دالا، و الصاد سينا، و الظاء ذالا، و لخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"[5]، وهذا مما تبناه الخليل قبله واشتغل به في تمييز الأصوات ، فهو لم يكتف

[1] ابن جني، الخصائص، 2/169،170
[2] نفسه،2/ 170
[3] ينظر: عبد المجيد مجاهد، علم اللسان العربي،ص 32
[4] ينظر:سيبويه، الكتاب،4/434-435
[5] السابق،4/ 436

بموضع المخارج في جهاز النطق ، بل أضاف إليها الصفات السمعية ، فنجده يميز مثلا بين ( السين ، و الدال ، و التاء ) بقوله: " إن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها ، وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت ،وصارت حال السين بين مخرج الصاد و الزاي"[1].

نلاحظ أن مسألة سمات الأصوات و خصائصها موجودة لدى علماء العربية القدامى ، لكن ما انتبه إليه ابن جني هو وجود علاقة وظيفية بين هذه السمات و الخصائص و ما يمكن أن تدل عليه و ترتبط به في مستوى المعاني من حيث ترتيبها و تجاورها في بنية الكلمة العربية بما يتوافق و الأحداث الواقعة ، وهو ما ذكره في حديثه عن الدلالة الصوتية بقوله : " من ذلك جر الشيء يجره ، قدموا الجيم لأنها حرف شديد، وأول الجر بمشقة على الجار و المجرور جميعا،ثم عقبوا ذلك بالراء وهو حرف مكرر، وكررها مع ذلك في نفسها. و ذلك لأن الشيء إذا جر على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها واضطرب صاعدا عنها ونازلا إليها، و تكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة و القلق.فكانت الراء- لما فيها من التكرير؛ولأنها أيضا قد كررت في نفسها في (جر) و (جررت) أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها "[2].

عند تحليل كلمة (جر ) إلى فونيمات نجد المتتالية التالية بعد فك الإدغام طبعا وباعتبار الحركات فونيمات في اللغة العربية فإنها تتكون من:

جر = الجيم + فتحة+الراء+السكون+الراء+ الفتحة

وعند تفتيتها و تحليلها وفقا للسمات نجد المصفوفة التالية :

جر = الجيم + فتحة+الراء+السكون+الراء+ الفتحة

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الجيم: | الجهر | + 2 | الراء: | الجهر |
| | الشدة | | | التكرار |
| | الاستفال | | | |
| | الاستفال | | | |
| | الانفتاح | | | |
| | الانفتاح | | | |

فنلاحظ مدى التوافق القائم بين صفات الحروف و ترتيبها و دلالتها على الحدث الموصوف ، وهذا دليل على أن أصوات العربية لم تأت هكذا جزافا أو عبثا ، وإنما انتظمت وفق علاقة بينها و بين معناها المطروح ، وهو ما يعد سبقا في الدراسات اللغوية ، وبابا برع فيه ابن جني و توصل من خلاله إلى نتائج علمية قيمة ، يمكن أن توازي ما توصل إليه علم الأصوات الحديث من حيث البحث و النظر في بنية اللغة البشرية وما تؤديه من معان ومقاصد وأغراض توحي بها الأصوات كما يقول (جاكوبسون):" إن هذه الرمزية الصوتية Sound symbolism، كما دعاها أحد باحثيها الأصليين ، ادوارد سابير، هذه القيمة الداخلية للسمات المتميزة ، على الرغم من كمونها ، تظهر إلى الحياة حالما تجد توافقا في معنى كلمة ما، وفي

[1] الفراهيدي، العين، 1/ 53-54

[2] ابن جني ، الخصائص، 175/2

موقفنا الانفعالي و الجمالي اتجاه هذه الكلمة، "[1]، وهو ما عبر عنه ابن جني بالدلالة اللفظية وذهب من خلالها إلى أن "مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث ، باب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها و يحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدره و أضعاف ما نستشعره "[2]، ثم ضرب مجموعة من الأمثلة التي تتناسب فيها السمات (features) التمييزية للفونيم مع دلالتها المعنوية.

[1] جاكوبسون، محاضرات في الصوت و المعنى، ص 147
[2] ابن جني، الخصائص، 169/2

## المبحث الثاني: الفونيمات فوق التركيبية (المظاهر السياقية /الفونيمات البروسيدية )

### أولا- النـــبر Stress:

#### أ- مفهوم النبر:

جاء في لسان العرب لابن منظور " النبر بالكلام الهمز.يقال:وكل شيء رفع شيئا فقد نبره، والنبر مصدر نبر الحرف ينبره نبرا همزه.وفي الحديث قال رجل للنبي (صلى الله عليه و سلم ):يا نبيء الله فقال: لا تنبر باسمي.أي لا تهمز .
وفي رواية قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم ):إنا معشر قريش لا ننبـــر .و النبر همز الحرف.قال ابن الأنباري: النبر عند العرب ارتفاع الصوت .يقال: نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو" فالنبر في الصوت ارتفاعه وهو ما جاء في المعجم الوسيط "...يقال نبر في قراءته أو غنائه؛ رفع صوته...و النبر في النطق:إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق"[1]، وهو ما يتوافق والمفهوم اللغوي ، ف(**كمال بشر** ) يذهب إلى أن النبر "نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح و أجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره"[2]؛ بمعنى أنه كما يقول مصطفى حركات " وسيلة صوتية تبرز بواسطتها عنصرا من السلسلة الصوتية، قد يكون مقطعا أو لفظا أو جملة.و النبر يكون بواسطة الشدة في النطق أو ارتفاع النغمة أو المد"·
وعلى ما يبدو فإن التعريفات تتفق كلها في نقطة جوهرية واحدة وهي ما يشكل ميزة النبر ألا وهي ارتفاع الصوت و ظهوره نتيجة بذل جهد و طاقة أكبر بغرض إبرازه عن بقية أصوات المتوالية الكلامية وهو ما يؤكده كمال بشر بقوله " النبر يتطلب عادة بذل طاقة في النطق أكبر نسبيا ،كما يتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد"[3].

#### ب- القيمة التعبيرية للنبر :

بداية لابد من التأكيد على أن النبر ليس فونيما في جميع اللغات ؛ بمعنى أنه لا يحمل قيمة التميز بين مختلف المعاني و الدلالات ، وبالتالي يمكن تقسيم اللغات وفقه كما يذهب أحمد مختار عمر إلى لغات نبرية و أخرى غير نبرية وفي هذا الصدد يقول : " من أمثلة اللغات غير النبرية: اللغة الفنلندية و اللغة التشيكية و اللغة البولندية و اللغة الفرنسية، و اللغة الهنغارية؛ تتميز هذه اللغات بأنها تثبت النبر في مكان معين، مثلا على المقطع الأول دائما ، كما في اللغتين الفنلندية و التشيكية،أو على المقطع الأخير دائما كما في اللغة الفرنسية .
أما اللغات النبرية فاللغة الإنجليزية مثال جيد لها وتتميز هذه اللغات باستخدامها النبر كفونيم ، فيكون موضع النبر فيها حرا، ويستخدم للتفريق بين المعاني أو الصيغ عن طريق تغيير مكانه "[4]، يمكن القول بأن الفونيمات تتغير من نظام لغوي لآخر فما يمكن عده فونيما في لغة ما بعد عملية التقابل بغرض التمايز الدلالي لا يحمل القيمة ذاتها في نظام لغة أخرى مما يستدعيها إلى اعتماد فونيمات بديلة

---

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص 897، مادة (نبر )
[2] كمال بشر،علم الأصوات، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة،مصر،دط،دت،ص 512
[3] نفسه،ص 513
[4] ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي،ص 222

تضفي عليها بالضرورة سمات خاصة بها دون غيرها، وبغض النظر عن كون النبر فونيما أو هو دون ذلك إلا أنه يمكن أن يأخذ قيما عديدة يستفاد منها في الوصف اللغوي أبرزها: "

1. **التمييز:** يمكن تحديد هوية الكلمات و تصنيفها إلى أسماء أم أفعال عن طريق تحديد مواضع النبر فيها، كالإنجليزية التي تفرق بينهما أحيانا بالعودة إلى اختلاف مكان النبر، إذ يقع النبر في الأسماء على المقطع الأول، بينما يتأخر في الأفعال إلى المقطع الثاني.
2. **التعيين:** ويقصد به تعيين بداية الكلمة و نهايتها على مستوى السلسلة الكلامية، وهذا عادة ما يكون متصلا باللغات غير النبرية كاللغة التشيكية التي تنبر المقطع الأول دائما من الكلمة.
3. **الإدغام :** ومفاده أن النبر يسهم في إبراز القيمة التعبيرية لبعض أجزاء الجمل التي يلحق بها ؛ فهو مرتبط بمستوى التراكيب "[1]، ومما يمكن ملاحظته في نظام اللغة العربية أنها لغة لا تتمتع بنبر الكلمات ؛بمعنى أن النبر على مستوى الكلمات فيها لا يؤدي إلى تغير معانيها ، بينما لو تم الانتقال إلى مستوى أعلى وهو التراكيب و الجمل ، لألفينا الوضع مختلفا ذلك أن " نبر الجملة وتنوع النبر ودرجاته فيها يفيد التأكيد أو المفارقة،حيث ينتقل النبر القوي من كلمة إلى أخرى قصدا إلى بيان هذا التأكيد أو الكشف عن هذه المفارقة "[2]، فالمتكلم يهندس موضع نبره ويوقعه على كلمة دون سواها في المتوالية وفقا للمقصدية التي رسمها في ذهنه و التي يود نقلها إلى السامع ، ولبيان هذا ، لتكن أمامنا الجملة الآتية : ( أتناول والدك الدواء صباحا؟) ،فلنكتشف احتمالات النبر فيها ، فإن وقع على كلمة (تناول)أدي إلى شك في حدث التناول،وإذا انتقل إلى كلمة (والدك ) كان الشك في فاعل الحدث، أما إذا التزم كلمة (صباحا) فقد وقع الشك في زمن الحدث ، يمكن القول بأن هناك علاقة بين اختلاف مواضع النبر في الجملة وما يمكن أن تؤديه من معاني و بالتالي تعدد الأغراض و المقاصد.

**ت- النبر عند ابن جني :**

مما لا يفوت التنبيه إليه أن مصطلح النبر ورد عند قدماء العربية وهو ما يمكن التوصل إليه من خلال الإطلاع على البحوث الصوتية ، إلا أنه لم يتعد المفهوم اللغوي ؛أي الهمز ، فقد أشاروا إليه على أنه تحقيق لنطق الهمزة ، وليس ضغطا على أحد مقاطع الكلام ،غير أن هناك من أدرك مفهومه ولم يقم بتحليله أوالتقعيد له على نحو الصرف و التركيب وغيرهما ، ومن بين هؤلاء (**ابن جني**) الذي نجد له إشارات خفية في كتابه (الخصائص) ضمن باب (مطل في الحركات ) فتراه يقول " وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها ،فتنشيء

[1] ينظر: زبـير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية و العامة،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دط،دت،ص ص 93،94

[2] كمال بشر،علم الأصوات،ص 515

بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو "[1]، وهو النبر عن طريق مد الحركات وإشباعها ،إذ يضيف قائلا " و الألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما حكاه الفراء عنهم : أكلت لحم شاة، شاة فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفا "[2]،، ويذكر بعدها إشباع الكسرة و يمثل لها بقوله " من إشباع الكسرة ما جاء عنهم في الصياريف و المطافيل و الجلاعيد "و المقصود بها الصيارف و المطافل و الجلاعد ، ثم يواصل حديثه عن مطل الضمة "ومن مطل الضمة القرنفول"[3]، و المراد القرنفل ، وفي السياق ذاته يورد في باب (مطل الحروف ) فكرة متممة لمعنى النبر بالمد بقوله " كذلك الحركات عند التذكر يمطلن حتى يفين حروفا، فإذا صرنها جرين مجرى الحروف المبتدأة توام، فيمطلن – أيضا – حينئذ، كما تمطل الحروف .وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في قمت : قمتا:أي قمت يوم الجمعة، ونحو ذلك، ومع الكسرة أنتي:أي أنت عاقلة ، ونحو ذلك ، ومع الضمة قمتو: في قمت إلى زيد، ونحو ذلك "[4]، فالمطل وفقا لابن جني هو زيادة في الإشباع بالتضعيف ، ذلك أن الحركات أبعاض للحروف و الحروف أضعاف الحركات والغاية من ذلك ما ورده عبد القادر عبد الجليل من أن (الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع؛ لتحقيق غرض قصدي "[5].

يمكن مما سبق استخلاص أن ابن جني له إدراك فيما يخص نبر الكلمات عن طريق المد أو كما أسماه هو (المطل) وهو أحد وسائل النبر التي توصلت إليها الدراسات اللسانية الحديثة بالإضافة إلى رفع النغمة و التشديد عليها .

[1] ابن جني، الخصائص، 131/3

[2] نفسه،3/ 133

[3] نفسه ،3/ 134

[4]ابن جني، الخصائص، 140/3

[5] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 241

**ثانيا- التنـغـيم ( Intonation)**

**أ- مفهوم التنغيم:**

يعرفه (**تمام حسان**) بقوله :" هو ارتفاع الصوت و انخفاضه أثناء الكلام "[1]، فهو تلوين موسيقي يظهر أثناء ربط الوحدات الصوتية لتشكيل متوالية الكلام، وهو ما عبر عنه ماريو باي بقوله " تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعية في حدث كلامي معين "[2]، وأسماه **إبراهيم أنيس** (موسيقى الكلام)[3]،غاية المتكلم هو إبلاغ قصد بعينه دون آخر ، إذ يمكن من خلاله التوصل إلى " معرفة كثير من خصائص الكلام كالتفريق بين الجملتين المثبتة و الاستفهامية، ولاسيما إذا لم توجد صيغ نحوية خاصة تقوم بهذا التفريق.وأكثر ما يوجد في اللهجات العامية "[4]، فهو عادة كلامية للتمييز بين مختلف صيغ الكلام وأغراضه و بالتالي بين الدلالات و المعاني ، وله على مستوى الكتابة ما يوازيه وهي علامات الترقيم وفي هذا يقول تمام حسان " التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة"[5]،ذلك للجملة"[5]،ذلك أن علامات الترقيم تحمل قيما ثابتة إلا أنها تتسع في الأداء على مستوى المنطوق نظرا للتعدد اللهجي و العادات النطقية الخاصة بكل منها .

**ب- درجات التنغيم:**

للتنغيم درجتان تم تحديدهما بالإنطلاق مما تنتهي به السلسلة الكلامية من نغم ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك تمايزا بين النغم (Tone) و التنغيم (Intonation) إذ يقع " التنغيم على مستوى العبارة أو الجملة، أما النغمة فتكون على مستوى الكلمة المفردة مثل: نعم،بلى، لا،..."[6]،وبالعودة إلى النغم في نهاية المنطوق وهو معطى التصنيف ، يجد كمال بشر نغمتين هما:

1. **النغمة الهابطة:** سميت كذلك لاتصافها بالهبوط في نهايتها، ويمكن التمثيل لها بالجمل التقريرية على نحو: محمود في البيت، وتنطق كلمة ( البيت ) بنغمة هابطة.
2. **النغمة الصاعدة:** وسميت كذلك لاتصافها بالصعود في نهايتها، ويمكن التمثيل لها بالجمل الاستفهامية التي تستوجب الرد بلا أو نعم، على نحو محمود في البيت ؟وتنطق كلمة (البيت ) بنغمة صاعدة[7].

**ت- دور التنغيم في النظام اللغوي :**

---

[1] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة،دار الثقافة،الدار البيضاء،المغرب،دط،1986،ص198

[2] ماريو باي، أسس علم اللغة،تر: أحمد مختار عمر،عالم الكتب،القاهرة ،مصر،ط8،1998،ص 93

[3] إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية،مكتبة الأنجلومصرية، مصر،ط5،1975،ص 175

[4] محمد التنوجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1،2001،207/1

[5] تمام حسان،اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط،1994، ص222

[6] نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزاريطة،الإسكندرية، مصر، مصر، دط،2000،ص 136-137

[7] ينظر: كمال بشر، علم الأصوات،ص 534-537

يحمل التنغيم وظائف متعددة في النظام اللغوي ، فكما لاحظنا سابقا نستطيع بواسطته التمييز و التفريق بين أنواع الجمل ؛بمعنى أنه يمكن تصنيفها إلى استفهامية أو تقريرية أو غير ذلك من الأنماط وتسمى ب**الوظيفة النحوية**:" وهي الوظيفة الأساسية له ، فهي العامل الفاعل في التمييز بين أنماط التركيب و التفريق بين أجناسه النحوية" [1]، ثم إنه يرتبط بمتكلم ما وهذا يعني اكتسابه **للوظيفة التعبيرية** ، ويجري ضمن سياق تواصلي مما يضيف إليه **الوظيفة الدلالية** السياقية إذ " تأتي العبارة أو الجملة بأنماط تنغيمية مختلفة وفقا للموقف ،مع مصاحبة ظواهر صوتية أخرى كالنبر القوي،أو ظواهر خارجية كرفع اليد أو الحاجب،وتتعلق هذه الظواهر بالظروف و المناسبات التي ألقي فيها الكلام كالتهكم و الغضب والتعجب و الدهشة و غيرها"[2]، وخلاصة القول أن التنغيم يقوم بدور فعال في تحديد الدلالات و المعاني.

ث- **فكرة التنغيم عند ابن جني** :

أورد ابن جني ملمحا لطيفا عن التنغيم أثناء حديثه عن حذف الصفة في باب (شجاعة العربية) بقوله : " حذفت الصفة و دلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم:سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، وكان هذا غنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك انك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح و التطريح و التفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك "[3].

فكل من التطويح و معناه الذهاب بالشيء هنا و هناك، و التطريح وهي تطويل الشيء مع رفعه وإعلائه هي مصطلحات للدلالة على التنغيم، ذلك انه تلاها بالتفخيم و التعظيم وهي أنماط لأدائه نظرا لما قدمه في قوله: "تحس في كلام القائل" ثم يؤكد على ذلك باستمراره في الشرح بقوله: "و أنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، و ذلك أن تكون في مدح إنسان و الثناء عليه فتقول: كان و الله رجلا!فتزيد من قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة، و تتمكن في تمطيط اللام و إطالة الصوت بها و عليها أي رجا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك،وكذلك تقول:سألناه فوجدناه إنسانا!وتمكن الصوت ب(إنسب قولك: فخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك:إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك، وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه و كان إنسانا!وتزوي وجهك و تقطبه، فيغني ذلك عن قولك:إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك"[4].

ف (ابن جني) لم يصرح بالتنغيم، إلا أن في كلامه ما يدل عليه و ذك بما أشار إليه من قوة اللفظ و تمطيط اللام و إطالة الصوت و تمكنه و تفخيمه، مع ما رسمه من دلالة سياقية بقوه (تزوي بوجهك) لوصف حالة المتكلم وما يرمي إليه.

---

[1] نفسه ،ص 541

[2] نفسه

[3] ابن جني، الخصائص، 394/2،395

[4] نفسه، ص 395

ونجد له كلاما آخر في باب (نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها )يقول فيه:"ومن ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرا و ذلك قولك:مررت برجل أي رجل،فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل و ست مستفهما، وكذلك مررت برجل أيما رجل ،لأن ما زائدة وإنما كان كذلك لأن أصل الاستفهام الخبر، و التعجب ضرب من الخبر،فكأن التعجب لما طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى أصله:من الخبرية"[1]

والمغزى هو أن ابن جني أدرك بذهنه المتوقد ما للتنغيم من فعالية في الحدث التواصلي ومدى تأثيره في إيصال المقاصد و التعبير عن الأغراض الكامنة في نفوس المتكلمين.

**ثالثا-الوقف (The pause)**

**أ- مفهومه:**

جاء في لسان العرب" الوقف مصدر قولك وقفت الدابة. ووقفت الكلمة وقفا.أي حبستها"[2]،فالوقف هو الحبس و المنع ، وفي الكلام هو قطع الصوت آخر الكلمة زمنا ما أو عما بعدها ذلك أنه يأتي " على موقع هو في طابعه مفصل من مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السلسلة النطقية؛ فينقسم السياق بهذا إلى دفعات كلامية، تعتبر كل دفعة منها إذا كان معناها كاملا واقعة تكلمية منعزلة.أما إذا لم يكن معناها كاملا كالوقف على الشرط قبل ذكر الجواب مثلا فإن الواقعة التكلمية حينئذ تشمل على أكثر من دفعة كلامية واحدة"[3]، وعادة ما يتحقق بالإسكان ، غير أنه لايلتزم به فقد يتوصل إلى الوقف بالروم وهو إضعاف صوت الحركة دون أن تختفي تماما عن الأذن، وأيضا بالإشمام وهو عدم نطق الضمة بل يكتفى بالإشارة إليها بالشفتين ،إضافة إلى " الإبدال، الزيادة ، الحذف، النقل و التضعيف"[4].

1. **الإبدال:** إبدال الألف من تنوين المنصوب وتنوين إذا،ومن نون التوكيد الخفيفة،وكذلك إبدال الهاء من تاء التأنيث التي تلحق الأسماء.
2. **النقل:**تحويل حركة الحرف الأخير في الكلام إلى الساكن قبله لبيان حركة الإعراب أو التخلص من التقاء الساكنين إلا إذا منع ما قبل الآخر من التحريك.
3. **الحذف:** حذف التنوين من آخر المنون سواء أكان مرفوعا أو مجرورا، ومن آخر المقصور مطلقا، وحذف إشباع الضمير في ( به) و (له)، وحذف ياء المنقوص مع التنوين في الاسم المنقوص المنكر.

4. **الزيادة:** وهي زيادة هاء السكت بعد الفعل المعتل المحذوف الآخر نحو:أعطه وأرجه، وبعد ما الاستفهامية لحاجة الصيغة لها.

**ب- أنواع الوقـــف:**

[1] ابن جني،الخصائص،293/3

[2] ابن منظور، لسان العرب، 363/15، مادة ( وقف )

[3] تمام حسان، اللغة العربية مبناها و معناها، ص 270

[4] نفسه،ص 271،272

القراءات نظرا لما دور في معاني فقعدوا له له الأحكام التي يمكن وفقها ، أنه ينقسم أنواع، الرسم

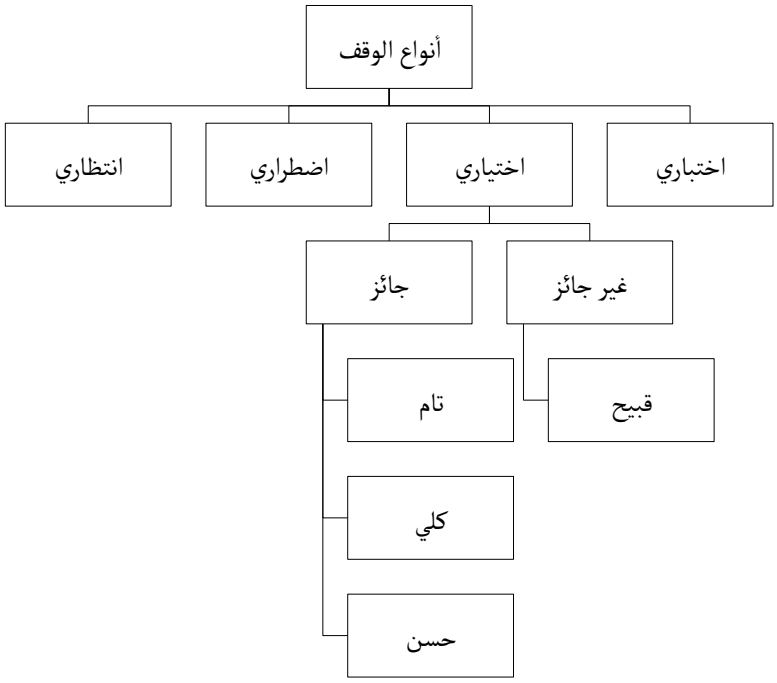


اهتم علماء بالوقف ، يؤديه من تحقيق القرءان، واستنبطوا والقوانين أن يجري وذهبوا إلى إلى عدة يمثلها الموالي:

1. **الوقف التام:** ويكون كثيرا في رؤوس الآي، نحو الوقف على الآية الأولى في سورة الفاتحة
(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )
2. **الوقف الكافي :** سمي كافيا للإكتفاء به واستغنائه عما بعده لعدم تعلقه به لفظا،ويكثر في الفواصل وغيرها، نحو قوله تعالى في سورة البقرة الآية رقم 3:( ... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ).
3. **الوقف الحسن:** ماجاز فيه الوصل و الوقفوكان الوصل أولى، وسمي حسنا لإفادته فائدة يحسن الوقف عليها ، وبذلك يكون في كل موضع يفهم فيه معنى.نحوالوقف على (بسم الله )،(الحمد لله )،( رب العالمين )، أو قوله تعالى في سورة البقرة الآية 26(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ...).

4. **الوقف القبيح:** يقع في المواضع التي لا تتم معنى أو تؤدي إلى فساده .من ذلك الوقف على (بسم ) و(الحمد )، (رب)،إذ أنه لا يفهم معنى منه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك فرقا بين الوقف و السكت، فالسكت أقل زمانا من الوقف من غير تنفس[1]، والسكتة ليست واجبة فيمكن إعمالها و يمكن إهمالها [2].

**ت- الوقف عند ابن جني:**

أورد ابن جني كلاما عن الوقف في باب (الساكن و المتحرك ) بقوله " فإن قلت نجد من الحروف ما يتبعه في الوقف صوت،وهو مع ذلك ساكن،وهو الفاء و الثاء و السين و الصاد ونحو ذلك تقول في الوقف:إف،إث،إس،إص، قيل: هذا القدر من الصوت إنما هو متمم للحرف وموف له في الوقف، فإذا وصلت ذهب أو كاد ، وإنما لحقه في الوقف لأن الوقف يضعف الحرف"[3]، وفي هذا تلميح للروم لأنه تحويل للحركة إلى حرف لين قصير جدا لا تكاد تلتقطه الأذن إلا عن قرب وهو ما يثبته في قوله "روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركا، ألا تراك تفصل به بين المذكر و المؤنث في قولك في الوقف:أنت و أنت، فلولا أن هناك صوتا لما وجدت فصلا "[4].

وفي الباب ذاته نجد له نصا عن الإشمام مفاده " فأما الإشمام فإنه للعين دون الأذن " وأراد به أنه يدرك بحاسة البصر لا السمع.

يمكن القول بأن ( ابن جني ) استطاع إدراك مجموعة من القضايا الصوتية التي ترتبط بما اصطلح عليه في الدراسات اللسانية الحديثة ب (الفونيمات التركيبية ) ، و مدى تأثيرها في عملية التواصل و التبليغ ، ذلك أنه كان يشير ويلمح إليها في معرض كلامه عن قضايا أخرى ، دون الوقوف عندها و التقعيد لها بشكل مباشر و خاص كالنبر و التنغيم ، بحيث وصفها و مثل لها دون أن يصطلح عليها ، بينما اكتفى في مواضع أخرى بذكر المسألة و إيجاز القول فيها مع الاصطلاح عليها كالوقف و طرقه وفي كليهما إثبات على أن تراث العربية فيه ما يمكن أن يضاهي و يوازي وأحيانا يتفوق على الدراسات اللسانية الحديثة .

## المبحث الثالث: التغيرات الصوتية:

يؤدي تجاور بعض الحروف لبعضها في الكلام إلى ثقل يمجه المتكلم بسبب صعوبة النطق، وما يبذله من جهد أثناء الكلام، فتراه يستغني عن ذلك باللجوء إلى إحداث تغيرات صوتية طلبا للتخفيف واقتصادا في الجهد وتحقيقا للفصاحة ، وهو ما اهتم به علم الأصوات الوظيفي وبحثه في مسائل أهمها : المماثلة و المخالفة ، القلب المكاني، الإعلال و الإبدال والإدغام ، وهي موضوع هذا المبحث ، إذ يتم الوقوف عند كل ظاهرة بوصفها ثم تحديد معالمها ومحاولة تتبعها وإيجاد مكافئها في فكر ابن جني من خلال كتاب (الخصائص ).

---

[1] ابتهال الزيدي،علم الأصوات في كتب معاني القرآن،دار أسامة،عمان،الأردن ، دط،2005.ص141

[2] كمال بشر،علم الأصوات،ص 557

[3] ابن جني، الخصائص، 347/2

[4] السابق ، الصفحة نفسها

## أولا- المماثلة و المخالفة الصوتية:

### أ- المماثلة (Assimilation )

#### أ-1- مفهومها:

جاء في لسان العرب لابن منظور " مثل كلمة تسوية.هذا مثله أو مثله كما يقال شبهه أو شبهه بمعنى .

و المماثلة لا تكون إلا في المتفقين تقول: نحوه كنحوه و فقهه كفقهه ولونه كلونه و طعمه كطعمه"[1]،هذا في اللغة .

أما في الاصطلاح فهي " تلك التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى.أو هي تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلا جزئيا أو كليا"[2]، تفسر على أنها " تأثر صوت بآخر نتيجة مجاورته له، تأثرا يؤدي إلى تقارب في الصفة أو المخرج ؛تسهيلا لعملية النطق واقتصادا للجهد العضلي لتحقيق الانسجام الصوتي"[3].

يمكن القول بأن المماثلة الصوتية هي صورة لتكييف نطق الأصوات المتجاورة بما يحقق لها توازنا في الأداء، من خلال توافق المخارج و انسجام الصفات في بنية الكلمة و متوالية الكلام.

#### أ- 2- نواتج الاحتكاك الصوتي وفق قانون المماثلة [4]:

يتحرك قانون المماثلة الصوتية وفق ثلاثة محاور هي: رتبة المؤثر، ودرجة الاحتكاك، ومسافة التأثير، والتي يمكن تفصيلها في ما يلي:

1. **من حيث رتبة المؤثر:**
   - مماثلة مقبلة /أمامية/ تقدمية:تأثير الصوت الأول في الصوت الثاني ، فهو تأثير مقبل .
   - مماثلة مدبرة /رجعية: تأثير الصوت الثاني في الصوت الأول ،فهو تأثير مدبر.
2. **من حيث درجة الاحتكاك:**
   - مماثلة كلية: حدوث تأثير كلي وتام بين الصوتين.
   - مماثلة جزئية: يكون التأثير فيها بشكل جزئي بسبب حدوث مماثلة في بعض وليس كل خصائص الصوت.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، 18/13، مادة (مثل)

[2] أحمد مختار عمر،دراسة الصوت اللغوي،ص 378

[3] كريم زكي حسام الدين،أصول تراثية،ص 172

[4] ينظر : زين كامل الخويسكي، مختارات صوتية،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ،مصر،دط،2007،ص 178،183

**3. من حيث مسافة التأثير:**

- مماثلة مباشرة –متصلة: وهي أن يحدث التأثير بين صوتين متجاورين.
- مماثلة منفصلة- غير مباشرة: وهي يحدث التأثير بين صوتين منفصلين.

وانطلاقا مما سبق، يمكن التوصل إلى أبرز أشكال المماثلة في الكلام، ذلك أنها انعكاس كلي لنقاط التقاطع الواقعة على محاور الحركة ، وهي[1] :

1. **المماثلة التقدمية المباشرة الكلية :** ومن أمثلتها تأثير الجهر في تاء الافتعال نحو:
   إزتهر- ازدهر / ازتهى- ازدهى/ادتعى- ادعى
2. **المماثلة التقدمية المباشرة الجزئية:** ومنها تفخيم الفتحة وهي في الأصل غير ذلك، وتحولها لصوت مفخم بسبب مجاورتها لصوت به خاصية التفخيم، مثل:صار-طار.
3. **المماثلة التقدمية غير المباشرة الكلية:**ومنها تفخيم الدال في (صد) مع تشديده حتى يظهر في النطق و كأنه ضاد بتأثير الصاد المفخم بالإطباق.مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة.
4. **المماثلة التقدمية غير المباشرة الجزئية:** ومن أمثلتها، تفخيم الخاء في (صخر) بسبب الصاد المفخم بالإطباق مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة.
5. **المماثلة الرجعية الجزئية :** ومنها على سبيل المثال: تفخيم فتحة الفاء في (فقر) لكونها متبوعة بالقاف المفخم.
6. **المماثلة الرجعية المباشرة الكلية :** مما يمكن التمثيل له انقلاب السين إلى صاد في (بسطة) لمماثلة الطاء المفخمة بالإطباق.
7. **المماثلة الرجعية غير المباشرة الكلية :** ومن أمثلتها، نطق السين غير المطبق صادا في كلمة (بساط) لتأثره بالطاء مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة الطويلة .
8. **المماثلة الرجعية غير المباشرة الجزئية :**ومن بينها تفخيم الخاء في (خطر ) لكونها متبوعة بالطاء المفخم بالإطباق مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة.

**أ-3- فكرة المماثلة عند ابن جني من خلال كتاب( الخصائص):**

سبق ابن جني في الحديث عن التأثر الواقع بين الأصوات علماء ، بحكم أنها سنة في كلام العرب فانتبهوا لها أثناء التقعيد للغة العربية ، منهم سيبويه الذي نجد له نصا في (الكتاب ) يقول فيه :"الألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك: " عابد،وعالم،ومساجد،ومفاتيح،...إنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها

[1] ينظر: سمير شريف استيتيه، اللسانيات، المجال و الوظيفة و المنهج،عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع،إربد،الأردن،ط2،2008،ص ص 93،97

منها وجمع هذا لا يميله أهل الحجاز "[1]، فالإمالة هي تقريب نطق الفتحة من نطق الكسرة فتنشأ عن ذلك صورة نطقية بينهما ، إذ تظهر من خلال نطق الألف الطويلة قريبا من نطق الكسرة في كل من الباء و اللام و الجيم مما أتى على ذكره، ويعترف أن الحجاز لم تسر هذه الظاهرة في ألسنتهم.

أما ابن جني فقد أتى على ذكر ظاهرة المماثلة في باب (الإدغام الأصغر) وشرحها بقوله :"تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك "[2]، وجاء بضروب منها:

**الإمـــــالة:** ويقول بأنها ( إنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو عالم،وكتاب وسعى وقضى واستقضى، ألا تراك قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه،بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء، وكذلك سعى وقضى ، نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها، وعليه بقية الباب"[3]، وهو ما يذهب المحدثون ومنهم( **إبراهيم أنيس** ) بالاصطلاح عليه ب (انسجام أصوات اللين )ويرى أنه " من ظواهر التطور في حركات الكلمة، فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية"[4]، بينما يذهب آخرون إلى تسميته ب (التوافق الحركي ) نحو كريم زكي حسام الدين والذي يعرفه بقوله :" هو تأثير الحركة الأساسية في الكلمة أو المقطع على الحركة التالية أو السابقة بالمماثلة "[5].

وبغض النظر عن تعدد المصطلح بين التوافق الحركي و انسجام أصوات اللين فإن المفهوم ثابت ، ومدرك من طرف ابن جني وهو الإمالة بوصفها ضربا مما أسماه ب (الإدغام الأصغر ) والذي أشار إليه بقوله " من ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق ؛نحو شعير و بعير و رغيف ، وسمعت الشجري غير مرة يقول: زئير الأسد، يريد الزئير"[6].

ثم يضيف " من ذلك أيضا قولهم فعل يفعل مما عينه أو لامه حرف حلقي؛ نحو سأل يسأل، قرأ يقرأ، وسعر يسعر، وقرع يقرع وسحل يسحل، وسبح يسبح.وذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعا منه مخرج الأنف التي منها الفتحة"[7]، ولم يكتف بالإمالة بل حدد ضروبا أخرى والتي ينضوي معظمها تحت ظاهرة المماثلة الرجعية منها:

---

[1] سيبويه،الكتاب،117/4

[2] ابن جني الخصائص 151/2

[3] السابق، 151/2

[4] إبراهيم أنيس،في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية،دط،دت، ص 86

[5]كريم زكي حسام الدين،أصول تراثية،ص 179

[6] ابن جني، الخصائص، 153/2

[7] نفسه، 2/ 153،154

1. " إذا وقعت فاء افتعل صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء فتقلب لها ثاؤه طاء ، وذلك نحو: اصطبر واضطرب واطرد واضطلم.فهذا تقريب من غير إدغام ،فأما ( اطرد ) فمن ذا الباب أيضا،ولكن إدغامه ورد ههنا التقاطا "[1].
2. " إذا وقعت فاء افتعل زايا أو دالا أو ذالا فتقلب تاؤه لها دالا كقولهم :ازدان و ادكر"[2].
3. " ومن ذلك أن تقع السين قبل حرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صادا ...كقولهم في سقت:صقت، وفي السوق:الصوق، وفي سبقت : صبقت،..."[3].

خلاصة الحديث هي أن ابن جني فطن إلى ظاهرة الاحتكاك بين الأصوات وأدرجها ضمن الإدغام وأدرك أن بينهما شبها فقط وهو التقارب الصوتي فجعله أصغرا و هو ما ميز ه عن الإدغام المتعارف عليه أو ما اصطلح عليه ب (الإدغام المألوف) الذي هو تداخل للأصوات وليس مجرد تقارب عكس الإدغام الأصغر .

### ب- المخالفة (Dissimilation ):

### ب-1 - مفهومها:

جاء في لسان العرب"الخالف هو الكثير الخلاف. والخلاف هو المضادة.وقد خالفه مخالفة وخلافا.وفي المثل: إنما أنت خلاف الضبع الراكب أي تخالف خلاف الضبع؛ لأن الضبع إذا رأت الراكب هربت منه"[4].

أما اصطلاحا فهي حسب (**زكي حسام الدين**) " تعني اختلافا بين صوتين متماثلين في الكلمات المشتملة على التضعيف ،وذلك بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى أحد أصوات المد الألف أو الواو أو الياء،أوأحد الأصوات المتوسطة أو المائعة، وهي اللام و الراء و النون و الميم"[5].

فالمخالفة هي الأخرى احتكاك يقع في متوالية الكلام بحيث يتم تعديل صوت نتيجة تأثره بجاره ، وذلك بزيادة درجة الخلاف بينهما تحت قانون اقتصاد الجهد العضلي لأن نطق أصوات المد والأصوات المائعة يستهلك جهدا أقل منه مقارنة بالتضعيف .

### ب-2- أنواع المخالفة:

تنقسم المخالفة حسب ما يذهب إليه المحدثون إلى:

1. **المخالفة المقبلة:** وهي تأثير صوت في صوت لاحق له فيجعله مختلفا عنه مثل:إبدال الفتحة كسرة عند مجاورتها ألفا، تفاديا لأداء سلسلة من الحركات

[1] نفسه، 2/ 151
[2] نفسه، 152/2
[3] ابن جني ،الخصائص،2/ 153
[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلف)
[5] زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة، ص

المتوالية ذات الطابع المتحد.وهذا يفسر لماذا نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة بدل الفتحة، ولماذا كسرت نون المثنى على عكس نون المذكر السالم التي فتحت.

2. **المخالفة المدبرة:** تأثير صوت في صوت سابق له فيجعله مختلفا عنه نحو: جمد- جلمد، فقد أثرت الميم الثانية في الميم الأولى وحولتها لاما.
3. **المخالفة المتصلة:** تحدث بين صوتين لا فاصل بينهما مثل: قراط – قيراط ، فقد اجتمع حرفان متماثلان لذلك قلب الأول منهما ياء.
4. **المخالفة المنفصلة:**تحدث بين الصوتين اللذين بينهما فاصل مثل: اخضوضر التي أصلها اخضرضر ، بحيث أبدلت الراء الأولى واوا حتى تخالف الراء الثانية مع وجود ضاد فاصلة بينهما .

**ب-3- فكرة المخالفة الصوتية عند ابن جني:**

انتبه ابن جني لظاهرة المخالفة وأوردها في باب ( قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة و التلطف لا بالإقدام والتعجرف) بنص فحواه "...ومن ذلك قول العرب تسريت من لفظ (س ر ر ) ومثله قصيت أظفاري هو من لفظ (ق ص ص )، وقد آل بالصنعة إلى لفظ ( ق ص ي ). وكذلك قوله :

تقضي البازي إذا البازي كسر

هو في الأصل من تركيب ( ق ض ض )، ثم أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ (ق ض ي)...وكذلك قولهم تلعيت من اللعاعة و أصلها ( ل ع ع ) ثم صارت بالصنعة إلى ( ل ع ي ) وأشباه هذا كثير" [1].وابن جني لم يبحث عن سبب هذا القلب ربما اكتفاء منه بما ذهب إليه سابقوه في تفسيرهم لها و الذي يظهر جليا في مصطلحاتهم التي وضعوها للتعبير عن هذه الظاهرة منها :كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد، توالي الأمثال مكروه، كراهية التضعيف، استثقال اجتماع المثلين [2].

**ثانيا- القلب المكاني:**

**أ- مفهومه :**

يقول ابن منظور في لسان العرب "القلب تحويل الشيء عن وجهه.وقلب الشيء حوله ظهر البطن"[3]، القلب تبادل مكاني يحدث بين الأصوات في السلسلة الكلامية، وهو ظاهرة صرفية لا تخرج عن دائرة التقديم والتأخير في الحدث الصوتي[4]، وذلك لأسباب عديدة منها[5]:

---

[1] ابن جني، الخصائص، 96/2

[2] ينظر: فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي،ص 77

[3] ابن منظور، لسان العرب، 243/11. مادة ( قلب )

[4] ليلى سهل،الظواهر الصوتية الوظائفية في اللغة العربية،مجلة الأثر،ع8،ماي 2009،ص 114

[5] رمضان منيسي عبد الله،الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث،دار النشر للجامعات، القاهرة،مصر،ط1،2006،ص48

1. ميل المتكلم إلى السهولة و التيسير وذلك بتقديم حروف الذلاقة العربية على غيرها.
2. الهروب من المماثلة.
3. نواتج المشكلات المتعلقة بالكلمات المعتلة و المهموزة.

**ب- أنواعـــــه:**

قدم المحدثون تصنيفا للقلب بالرجوع إلى الصامت المتقدم في الكلمة وتوصلوا إلى أنه ينحصر في أربعة أنواع هي[1]:

1. **تقديم العين على الفاء:**بحيث تصبح الكلمة على وزن (عفل) ومن أمثلته : أيس التي أصلها يئس على وزن ( فعل) ، فقد قدمت الهمزة على الياء فصارت أيس.
2. **تقديم اللام على الفاء:** تصبح الكلمة على وزن (لفع) و هذا النوع نادر، ومثاله كلمة أشياء جمع شيء و الأصل شيئاء، وأفياء جمع فيء و الأصل فيئاء.
3. **تقديم اللام على العين:** تصبح الكلمة على وزن ( فلع) نحو:ناء التي أصلها نأي على وزن (فعل) إلا أن الياء تقدمت على الهمزة ثم قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فأصبحت ناء على وزن (فلع).
4. **تقديم العين و اللام على الفاء:** يتغير ميزان الكلمة من (فعل) إلى (علف)، ويمكن التمثيل لها بكلمة الحادي ، إذ أن أصلها الواحد على وزن (فاعل)، لكن تأخرت الفاء الكلمة وهي (الواو) إلى موضع اللام وهي (الدال) فصارت (أحدو) على وزن (اعلف)، ثم قدمت الحاء على الألف فصارت ( حادو)، ثم قلبت الكسرة التي تلي الحاء فتحة لمناسبة الألف فأصبحت (حادو) على وزن (عالف)، ثم قلبت الواو ياء لتطرفها فأصبحت (حادي ) ، وقلبت بعدها الضمة التي تلي الدال كسرة لمناسبة الياء فأصبحت (حادي ).

**ت- القلب المكاني في كتاب الخصائص:**

تطرق ابن جني في كتابه (الخصائص) لظاهرة القلب في باب ( الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم و التأخير) فتراه يقول :"اعلم أن كل لفظين وجد فيهما تقديم و تأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه فهو القساي الذي لا يجوز غيره، وإن لم يمكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه ، ثم أريت أيهما الأصل و أيهما الفرع"[2] ،ومبدأه في التمييز بين اللفظين إن كان أصلين أو أن أحدهما مقلوب عن الأحر هو اللجوء إلى تصريفات كل منهما، فإن وقعا على التصريف ذاته كانا أصلين ،أما إن قصر أحدهما عن تصرف الآخر ، فإن أوسعهما تصرفا هو الأصل و الآخر مقلوب عنه، واستدل على ذلك بقوله " مما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم: جذب و جبذ، ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه. وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا؛نحو جذب يجذب جذبا فهو جاذب، و المفعول مجذوب، و جبذ يجبذ جبذا فهو جابذ، و المفعول مجبوذ.فأن جعلت مع هذا

[1] ينظر:فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي،ص 243-248
[2] ابن جني، الخصائص، 75/2

أحدهما أصلا لصاحبه فسد ذلك؛ لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعد بهذه الحال من الآخر"[1].

أما عن اللفظين يقلب أحدهما عن صاحبه فقد ضرب أمثلة عديدة مما جاء في لغة العرب وما سرى على ألسنتهم منها: " وذلك كقولهم :أنى الشيء يأني و آن يئين ، فآن مقلوب عن أنى. و الدليل على ذلك وجودك مصدر أنى يأني وهو الإنى ،ولا تجد لآن مصدرا...فلما عدم من (آن) المصدر الذي هو أصل للفعل، علم أنه مقلوب عن نى يأنى إني"[2].

ومما هو مقلوب قولهم "( امضحل ) وهو مقلوب عن (اضمحل) ، ألا ترى أن المصدر إنما هو على (اضمحل) وهو الإضمحلال، ولا يقولون : امضحلال" [3]، وغيرها من الأمثلة التي جاء بها من قبيل:

اكفهر- اكرهف

/شخم- خشم/

جاه-وجه

/طادي-واطد.

يمكن القول كخلاصة بأن ابن جني تعرض لظاهرة القلب المكاني لكنه لم يخصصها بل اصطلح عليها ب ( القلب ) مطلقا، وانتهج في شرح أمثلته و تفسير الظاهرة المبدأ الصرفي دون الصوتي عكس ما ذهب إليه المحدثون في تحليلهم لمثل هذه الظاهرة.

## ثالثا- الإعلال و الإدغام :

### أ- الإعلال:

**أ-1- مفهومه:**

جاء في لسان العرب " اعتل العليل علة صعبة، و العلة المرض.عل يعل و اعتل أي مرض فهو عليل.

و العلة الحدث يشغل صاحبه عن حاجته كأن تلك العلة صارت شغلا ثانيا منعه من شغله الأول.وحروف العلة و الاعتلال: الألف و الياء و الواو، سميت بذلك للينها و موتها"[4]

وفي الاصطلاح: " الإعلال هو " قلب حرف العلة أو تسكينه أو حذفه ".

---

[1] نفسه، ص 75

[2] نفسه،ص 76

[3] ابن جني، الخصائص، 2 /79

[4] ابن منظور ، لسان العرب

والظاهر أن الإعلال هو أحد طرق العربية في دفع الثقل و طلب الخفة ، ذلك أن حروف العلة خفيفة النطق إلا أن تكثفها في صيغة واحدة يؤدي إلى ثقل يتم التخلص منه بواسطة الإعلال.

**أ-2- طرق الإعلال:**

يتم تطبيق قانون الإعلال وفق طرق ثلاث وهي:

1. **الإعلال بالقلب:** هو قلب أحد أحرف العلة أو الهمزة حرفا آخر من هذه الأحرف مثل دعاء أصلها (دعاو) فقلبت الواو همزة ، ورضي أصلها (رضو) فقلبت الواو ياء ، ومائل أصلها (مايل) فقلبت الياء همزة، وصام أصلها (صوم ) فقلبت الواو ألفا.
2. **الإعلال بالتسكين:** ويسمى أيضا الإعلال بالنقل، و يكون بتسكين حرف العلة بعد نقل حركته إلى الساكن الصحيح قبله مثل: يقوم أصلها (يقوم ).
3. **الإعلال بالحذف:** ويكون بحذف حرف العلة للتخفيف أو للتخلص من التقاء الساكنين مثل : يعد مضارع وعد أصلها (يوعد) فحذفت الفاء تخفيفا.

**أ- 3- الإعلال عند ابن جني من خلال الخصائص:**

يعتبر الإعلال من مظاهر اللغة التي لفتت انتباه ابن جني ، مما دفعه لدراستها و تقديم تفسير صوتي لها ،إذهي تغيير يصيب بالدرجة الأولى صيغة الكلمة وبنيتها ، إيمانا منه بأهمية الدور الذي تلعبه الأصوات في تجاورها و تآلفها فيما بينها ، وفيما يأتي بعض مما تطرق إليه في كتاب الخصائص :

**الإعلال بالقلب:**

**(قلب الياء واوا ):** يقول في ذلك :" قلب الياء في موسر، وموقن لسكونها و انضمام ما قبلها،ولا توقف في ثقل الياء الساكنة بعد الضمة؛لأن حالها في ذلك حال الواو الساكنة بعد الكسرة وهذا -ما تراه – أمر يدعو الحس إليه، ويحدو طلب الاستخفاف عليه"[1]،و يعلل ابن جني لهذا القلب بالرجوع إلى الحس والذوق ، لأن الانسجام بين الأصوات يدعو إلى تماشي الفتحة مع الألف و الضمة مع الواو و الكسرة مع الياء،دفعا للثقل وطلبا للاستخفاف .

**(قلب الواو ياء):** يقول ابن جني :" ومن ذلك أنهم قالوا:أبيض لياح. فقلبوا الواو التي في تصريف لاح يلوح للكسرة قبلها ، على ضعف ذلك؛ لأنه ليس جمعا كثياب ولا مصدرا كقيام.وإنما استروح إلى قلب الواو ياء لما يعقب من الخف؛ كقولهم في صوار البقر:صيار،وفي الصوان للتخت صيان...»، يلاحظ أن الإعلال هنا خرج عن الصيغة المتعارف عليها في القياس نحو قلب الواو ألفا في جمع ثوب ؛إذ تصبح ثياب ، والعلة في ذلك هي طلب الخفة ذلك أن " العدول عن الواو إلى الياء هربا منها إليها و طلبا لخفتها"[2].

[1] ابن جني، الخصائص، 119/1

[2] السابق ،2/ 58

**ب- الإدغام:**

**ب-1 – مفهومه:**

في اللغة " الإدغام و الإدخال.وهو إدخال اللجام في أفواه الدواب.وهو إدخال حرف في حرف آخر، يقال: أدغمت الحرف أدغمته على فعلته"[1].

في الاصطلاح: " هو ضرب من التأثير الذي يقع بين الأصوات المتجاورة، ولا يكون إلا في نوعين من الأصوات هما:

1. الصوتان المثلان : كإدغام الكاف في سككر- سكر .
2. الصوتان المتقاربان كإدغام اللام في الراء في مثل : قل رب تطق (قربي )"[2].

ويذهب البكوش في تعريفه له بقوله: "الإدغام هو نزعة صوتين إلى التماثل أي الاتصاف بصفات مشتركة تسهل اندماج أحدهما في الآخر، ويقع ذلك خاصة في الحروف المتقاربة المخارج" [3].

فالإدغام في مجمله هو اتحاد صوتين بأدائهما من مخرج واحد في الوقت ذاته ، لاكتساب سهولة في النطق تنتج عن اقتصاد الجهد العضلي لو تم الأداء بدون إدغام ؛أي بنطق الحرف مرتين وهذا مما يستثقله اللسان.

**ت-2 - الإدغام من خلال الخصائص لابن جني:**

أفرد ابن جني في خصائصه بابا كاملا تحت مسمى( الإدغام ) وفصل فيه القول في ما اصطلح عليه ب ( الإدغام المألوف-الإدغام الأكبر) ، وقام بمقاربته صوتيا من خلال تعريفه و تحديد أضربه ؛ أي أنواعه فتراه يقول " قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت ، وهو في الكلام على ضربين: أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام،فيدغم الأول في الآخر. والأول من الحرفين في ذلك على ضربين: ساكن، ومتحرك ؛فالمدغم الساكن الأصل، كطاء قطع وكاف سكر الأوليين،و المتحرك نحو؛دال شد ، ولام معتل"[4].

1. **الضرب الأول** وهو التقاء المثلان ؛أي مجاورة الصوت لصوت يماثله فيكون أولهما ساكنا والثاني متحركا فيدغمان ،أي يدخلان ضمن صوت واحد مثل: قطع- قططع/سكر- سككر،

أو كلاهما متحركا مثل :شد-شدد/معتل-معتلل.

[1] ابن منظور، لسان العرب، 358/4.مادة (دغم )

[2] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي ، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،مصر،ط2، دت،ص 195

[3] الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث،المطبعة العربية،تونس،ط3،1992

[4] ابن جني، الخصائص، 150/2

2. **أما الضرب الثاني** فهو إدغام المتقاربين ويعرفه بقوله " أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه.وذلك مثل ( ود )في اللغة التميمية، وامحى واماز واصبر واثاقل عنه"[1].

هذا النوع يتم فيه إدغام صوتين متقاربين في بعض السمات و لا يتماثلان مطلقا، نحو:

امّاز-انماز

امّحى-امتحى

اصبر-اصتبر

اثّاقل-اثتاقل.

ويذهب ابن جني إلى أن الإدغام أحد الطرق التي تسعى بها اللغة للتخفيف ومجاوزة الثقل فيقول " ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة ممازجتها للثانية بها كقولك قططع و سككر ، وهذا إنما تحكمه المشافهة به.فإن أنت أزلت تلك الوقيفة و الفترة على الأول خلطته بالثاني ،فكان قربه منه و (إدغامه) فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه"[2].

من خلال ما سبق يمكن القول بأن الإدغام من التغيرات الصوتية التي لفتت انتباه (ابن جني) واصطلح عليها ب ( الإدغام الأكبر ) تمييزا لها عن (الإدغام الأصغر ) وهو المماثلة الصوتية، ووصل في دراسته لها أنها تحدث نتيجة التقاء المثلين أو المتقاربين مما يدفع يهما إلى الإتحاد و التداخل لتحقيق انسجام وخفة في نسيج الكلمة.

[1] نفسه،ص نفسها

[2] ابن جني ، الخصائص، 2/150،151

## المبحث الأول: وظيفة اللغة هي التواصل

### أولا-مفهوم التواصل:

تتميز ملكة التواصل التي يتمتع بها الإنسان بامتدادها عكس بقية النظم البيولوجية الأخرى؛بسبب قدرة الإنسان على الترميز و إضفاء دلالات و إيحاءات على هذه الرموز و تنوعها بين مستوى الحقيقة و المجاز ، وفقا لما يتناسب و المحيط الذي هو في النهاية جزء منه ، يقول (شيفلر) بهذا الصدد "إننا نعيش في عالم رموز و أشياء أخرى أيضا وتتوسط الرموز باستمرار صلتنا بها ، فينمو تفكيرنا باطراد، وهو ينضج في قدرته على استخدام الرموز المناسبة في التأمل و التصرف و الاستنتاج و العمل "[1]،ولهذا نجد أن الإنسان ابتكر له عددا وافرا من الطرق التواصلية منها : الأبجديات المختلفة التي اخترعها منذ ظهور الكتابة و تطورها ليوازيها بأصوات اللغة ، ثم إن ظهور بعض الأمراض كفقدان السمع والرؤية دفع به إلى اختراع لغة الصم و البكم بالنسبة لفاقدي حاسة السمع ، ولغة (برايل) بالنسبة للمكفوفين ، ومع احتكاكه بمحيطه الذي يفرض عليه التنظيم توصل إلى قانون السير وإشارات السفن و الطائرات ، و أيضا توجيه رسائل وبرقيات تلغرافية باعتماد (شفرة مورس) ، ليبلغ ذروته مع التطور التكنولوجي التقني واعتماد لغات البرمجة التي يستقيها من الخوارزميات حتى يتمكن من تطوير نظم تواصلية دقيقة .

مغزى الكلام مما سبق هو أن البشرية تتفاعل في اتجاهين :

- ✓ داخلي: و تمثله المثاقفة القائمة بين الأفراد داخل المجتمع الواحد أو بين المجتمعات الإنسانية بصفة عامة .
- ✓ خارجي : و يترجمه التفاعل الموجود بين الإنسان و محيطه بما يحويه من موجودات وعلى رأسها الآلات الذكية لأنه من خلال التواصل "تتبلور وسائل وقنوات ؛ فينشيء التواصل تقطيعات و تنظيمات و حدودا في المحيط ، ويهيئ الظروف لبروز وسائل جديدة من أجل تواصل أوسع و أوثق "[2].

وفي كليهما لابد للإنسان من استخدام عملية التواصل حتى يتمكن من تبليغ أفكاره والتفاهم مع الآخرين ، إذ أن "التواصل هو شكل وجودي أساسي للإنسان،من خلاله يرتبط هذا الأخير بالأشياء و ينشيء معاني و ينسج قيما و معايير للحكم على تلك الأشياء، و يضع صورا عن الآخرين و عن نفسه"[3].يمكن من خلال التواصل واستخدام اللغة أن يجسد الفرد رؤيته للعالم و يوصلها للآخرين.

---

[1] إسرائيل شيفلر،العوالم الرمزية الفن والعلم و اللغة و الطقوس ،تر:عبد المقصود عبد الكريم،المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر،ط1،2016،ص 21

[2] بناصر البعزاتي،مفهوم التواصل،مقال منشور ضمن كتاب :المفاهيم و أشكال التواصل،تنسيق: محمد مفتاح و أحمد بوحسن،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات و مناظرات رقم :92،ط1،2001،ص 11

[3] السابق، ص 12

**أ- حد التواصل ( communication) :**

يتقاطع مصطلح (التواصل ) في مستواه المعجمي مع مجموعة من المصطلحات التي تشاركه الحقل الدلالي ذاته، كالإبلاغ و الإخبار، و.وغيرها، أو الجذر نفسه نحو: التواصل و الإيصال، و الاتصال، والوصل..إلخ، وقد ميز (طه عبد الرحمن) بين مجموعة الجذر المشترك بأن جعل التواصل مقولة كبرى تشمل الوصل الذي هو نقل الخبر،و الإيصال إلى هو نقل الخبر مع اعتبار المخبر،و الاتصال الذي هو نقل الخبر مع اعتبار الخبر و المخبر إليه معا و نضيف –من جهتنا- التوصيل الذي هو نقل الخبر مع اعتبار الخبر، و المخبر إليه، و المخبر عبره أيضا وهو ما يوضحه الشكل التالي[1]:

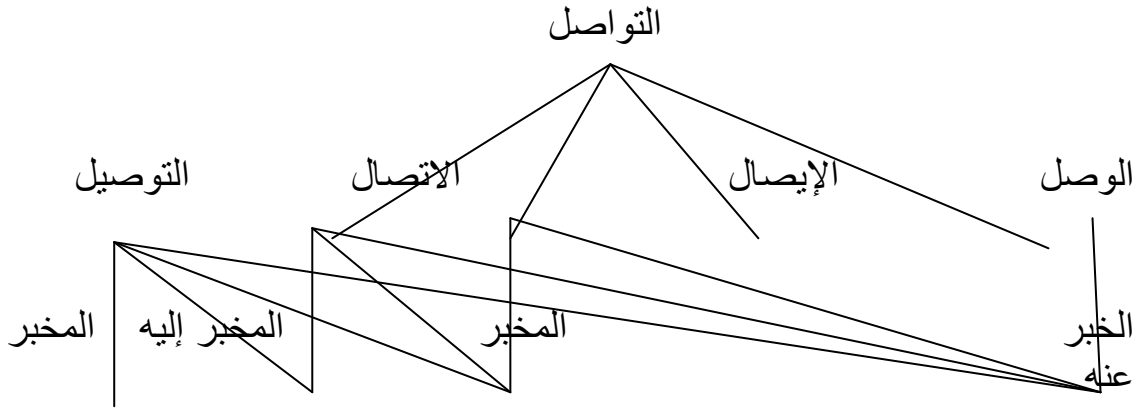


و بالعودة إلى اللغة العربية نجدها تشير إلى هذا المفهوم بمصطلحين هما:

- ✓ " التواصل: على وزن تفاعل، من الفعل تواصل على صيغة تفاعل، والمشهورة بتأديتها لمعان أربعة من بينها:التشريك بين اثنين فأكثر، فيكون كل منهما فاعلا في اللفظ مفعولا في المعنى، ومن أمثلته التي ستحقق خلالها: التواصل، التعاون، التشاور.ومن معانيه الأخرى: التظاهر بالفعل دون حقيقته، كتناوم و تغافل.
- ✓ الاتصال: على وزن افتعال، من الفعل اتصل،على صيغة افتعل ، و المشهورة بمعان ستة منها : التشارك ،كاختصم زيد و عمرو:اختلفا "[2].

تحمل الدلالة اللغوية معنى المشاركة بين طرفين أو أكثر وهو ما أثبته ابن منظور بقوله " الوصل ضد الهجران ، وكذلك هو خلاف الفصل، و التواصل ضد التصارم "[3] وهذا الأمر هو ما ترمي إليه عملية (التواصل) بوصفها نقلا لخبر أو معلومة أو

[1] ينظر: عمر أوكان، اللسانيات و التواصل، مقال من موقع :
https://www.aljabriabed.net/n36_08ucan.htm

[2] ينظر:أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف،تعليق:محمد بن عبد المعطي،دار الكيان،الرياض، دط،دت،ص 79،81

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصل)

ترجمة لسلوك ما بين مرسل و متلق عبر قناة تجمعهما كباث ومستقبل ، تجري بينهما أدلة متبادلة تتفق في بنيتها المشتركة والموضوعة من طرف الجماعة البشرية المنتمى إليها ،ليغدو التواصل حسابيا (إقامة اتصال مشارك بين كون فضائي زماني مرسل أ، وكون فضائي زماني مستقبل ب)[1]، مما يجعل مفهومه موسعا بحيث يشمل جميع أنواع النقل المتبادل للمعلومات و الأخبار و غيرها من المعطيات التي تشكل موضوعات للعالم باستخدام العلامات (signs) و الرموز (symbols) فيما بين الكائنات الحية و بين البشر و آلات معالجة البيانات (data processing machines ) ، والتي يمكن تمثيلها في الجدول التالي :

| مرسل / مستقبل | الإنسان | المقاولة | الآلة | الحيوان |
|---|---|---|---|---|
| الإنسان | محادثة<br>تواصل اجتماعي<br>تواصل فني | علاقات إنسانية،إدارة، شباك المكتب استقصاء الرأي | جمع المعطيات أجهزة الدخول للآلة | إشارات ترويض الحيوانات |
| المقاولة | تواصل تجاري<br>إشهار<br>توزيع الأوامر | أخبار تجارية رسائل أعمال رسائل إدارية بورصة | وقت التشارك التواصل البيني للمعطيات الاقتصادية | |
| الآلة | الأجهزة النهائية للخروج من الآلة<br>أجهزة الإنذار | آلة تقديم الأحكام في القضايا التجارية | لغة البرمجة ترجمة بين الآلة و المؤلف | أنظمة نداء الحيوانات |
| الحيوان | إشارات ندائية<br>إشارات إنذارية | | تسجيل المعطيات الحسية أو الدماغية في الحواسيب مراقبة البيئة و المحيط | سيميوطيقا حيوانية ، حيوانات من نفس النوع أو من أنواع مختلفة |

جدول يبين أصناف التواصل باعتبار المرسل و المتلقي [2]

[1] أ.مولز – ك.زيليتمان –ك .أوريكيوني، في التواصل و التداولية المعاصرة فصول مختارة،تر: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، المغرب،دط،2014،ص 7

[2] السابق، ص 17

"يقوم فاعل الاتصال (المرسل) بتكوين تمثيل داخلي ( internal reprisentation) عن العالم الخارجي، لينجز بعدها سلوكا رمزيا ما (symbolic behaviour ) يعبر عن محتوى التمثيل الذي يستقبله المتلقي ليقوم هو الآخر بتفكيك معناه للوصول إلى دلالته باعتماد مدى تمكنه من الأعراف الاعتباطية (arbitrary conventions) التي تحكم تفسير السلوك الرمزي" [1]، وهذا يوحي بضرورة وجود ثقافة مشتركة بين طرفي الاتصال.

**ب- أنماط التواصل[2]:**

يمكن التمييز بين نوعين من التواصل باعتبار القناة الواصلة بين كل من المرسل و المتلقي، وهما:

التواصل القريب: (أ) يتحدث ل (ب) الدائرتان الشخصيتان لكل منهما في الفضاء الطبيعي تتقاطعان،إنهما في نفس المكان، لا يستعملان إلا القنوات الطبيعية المتوفرة لديهما: التكلم السمع،اللمس، التطيب...الخ.

- ✓ **التواصل المسافي:** ينجز التواصل بالضرورة بواسطة قناة اصطناعية بفضل نسق تقني ينطلق من الأنبوب الهوائي الذي وضعه أجدادنا على القمر الصناعي مرورا بالهاتف،...الخ.

أما من ناحية اتخاذ الفاعلين في عملية التواصل بهدف تحديد اتجاهه فنجد:

- ✓ **التواصل الثنائي الاتجاه (La communication bidirectionnelle):** الذي يتبادل فيه المرسل و المستقبل دورهما تعاقبيا في سيرورة سؤال جواب ، إنها المحادثة ، المحاورة.
- ✓ **التواصل الأحادي الاتجاه ( La communication unidirectionnelle):** يبقي فيه المرسل و المستقبل نفسيهما دائما ، حيث لا تسير الإرساليات إلا في اتجاه واحد.

**ثانيا-التواصل اللساني:**

**أ- تلازم التواصل و اللغة :**

تؤكد اللسانيات الوظيفية على وجود علاقة تلازم بين اللغة و التواصل ، فقد جعلت الوظيفة الأساسية لأي لغة هي التواصل ، "...حسب المقاربة الوظيفية فإن اللغة أداة تسخر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية.من هذا المنظور ، تعد العبارات اللغوية ، مفردات كانت أم جملا ، وسائل تستخدم لتأدية أغراض تواصلية

[1] ينظر: D .H.Mellor, Ways of communicating, Cambridge University Press, 1991, p4

[2] أ.مولز – ك.زيليتمان –ك .أوريكيوني، في التواصل و التداولية المعاصرة، ص 12

معينة و تقارب خصائصها البنيوية على هذا الأساس"[1]،لتخالف بذلك ما جاءت به التوليدية التي ترى أن غاية اللغة و هدفها هو الإبداع و الخلق ، ومهما يكن من اختلاف بين الوجهتين فإن المهتمين بدراسة اللغة يتفقون على أن اللغة تحمل بعدا تواصليا في علاقتها بالجماعة اللغوية ، وهو ما يذكره (ابن خلدون ت 808 هـ)في تعريفه للغة : يقول : "إن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، و تلك العبارة فعل لساني ناشيء عن القصد بإفادة الكلام، فلابد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها ، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم "[2]، يوحي كلامه بوجود عملية تبليغية مقصودة بين مرسل و متلقي باستعمال اللغة كقناة ووسيلة للتواصل بغية التفاهم و الإفادة ، و في السياق ذاته نجد (كلود هاجيج) يورد في كتابه (إنسان الكلام ) عبارة مفادها أن وظيفة الألسنة هي التواصل ، يقول "الألسنة تبتدع العالم الذي تتحدث عنه وفي الوقت نفسه تتحدث عن العالم "[3]، فاللغة هي أداة الإنسان للتعبير عما يدور في ذهنه من أفكار تشكل رؤيته للعالم وتترجم وجوده ضمن المجتمع بما يتبادله مع الآخر ضمن عملية تواصلية دائمة ، وهذا يعني أنه أينما وجدت اللغة يوجد بالضرورة تواصل و أينما وجد تواصل توجد بالضرورة طريقة للتعبير تنتظم داخل نسق ترميزي ما.

**ب- خصائص التواصل اللساني :**

قام اللساني (**هوكيت hockett**) بتسجيل مجموعة من الملاحظات بعد مقارنة نمط التواصل البشري بغيره من الأنماط الأخرى ، و توصل إلى أن التواصل اللساني الذي يستخدمه الإنسان يتمتع بسمات هي[4] :

1- **الثنائية (duality-double articulation ):** و تشير إلى أن اللغة الإنسانية تتشكل من مجموعتين منهيتين من العناصر هما :

- ✓ م1- الفونيمات: و تمثلها حروف الأصوات الموجودة في كل لغة ،و هي متغيرة من نظام لغوي لآخر، وتتميز بعدم حمل أي دلالة أو معنى خاص في ذاتها، لكنها في الوقت ذاته تعمل علة إكساب قيمة تمييزية أثناء تبديلها في سلسلة الكلام .
- ✓ م2- المورفيمات: أصغر وحدة لغوية حاملة للمعنى ، وهي تتكون من الفونيمات السابقة الذكر.

مكنت هذه الخاصية النظام اللغوي من التوسع، وذلك عن طريق إنشاء عدد لا متناه من الرسائل بواسطة عدد محدود و متناه من العناصر (الأصوات ).

2- **الترميز و التدليل (semancity):** وتعني استخدام الإشارات اللغوية لمطابقة معان و دلالات معينة ، وهذا هو الجانب الأساسي لجميع أنظمة

[1] أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 20
[2] ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1، 1993، 1/ 295
[3] كلود حاجيج، إنسان الكلام ، ص 192
[4] Hockett, Charles.. *The Origin of Speech*, 1960, http://pkdas.in/MORPHO/dfhl.htm

التواصل، على سبيل المثال ، تعني كلمة باللغة الفرنسية مادة بلورية بيضاء تتكون من ذرات الصوديوم و الكلور، الكلمة ذاتها تتطابق مع الكلمة الانجليزية ، فأي شخص يتكلم هذه اللغات سيعرف أنه تم التعبير عن المعنى ذاته وهو الملح أو مادة كلوريد الصوديوم و لكن بإشارتين أو وحدتين لغويتين مختلفتين .

3- **الاعتباطية (arbitrary):** و تشير إلى أن عدم وجود علاقة طبيعية بين الدوال و مدلولاتها؛أي لا توجد صلة ضرورية بين شكل الإشارة و الشيء المشار إليه ، وهو ما يفسر اختلاف اللغات فيما بينها ، فكلمة كلب يمكن التعبير عنها بمجموعة من الدوال المنتمية إلى لغات مختلفة : مثلا في الإسبانية pirroو بالألمانية hund وهكذا ...

4- **الإزاحة (displacement):** ويقصد بها إمكانية المتكلم في التعبير و الحديث عن أشياء غير موجودة سواء عبر المكان أو عبر الزمان من خلال الانتقال بين الماضي و الحاضر والمستقبل،أو من خلال التحدث عن الأشياء البعيد جسديا، مثل الدول الأخرى أو القمر وما إلى ذلك، و تسمح اللغة أيضا بالإشارة إلى أشياء و أحداث لم توجد ولم تجر بالفعل علة نحو ما يحدث في الخيال.

5- **الإنتاجية (productivity):** وتعني أن اللغات البشرية تسمح للمتحدثين بإنشاء كلمات جديدة لم يتم سماعها قبلا مع إمكانية متوافرة للآخرين على فهمها، مثلا جملة: لقد قال لي بعض الرجال الذين يعيشون في درج الجوارب أن إيفيس سيعود من المريخ في العاشرة و سيضع جميع السياسيين في الهند على الحق .هذه جمل من رواية ولم يسمع بها من قبل ، لكن أي متحدث يتكلم الانجليزية بطلاقة ، يسكون قادرا على فهمها .

6- **النقل التقليدي (traditional transmission):** و ويقصد بها انه رغم الاستعداد الفطري الذي يمتلكه البشر نحو اكتساب اللغة ، إلا أنهم في النهاية لابد أن يتعلموها ويكتسبوها من متحدثين آخرين موجودين في نطاق المحيط و البيئة ، عكس بعض أنظمة التواصل الحيوانية التي يزود فيها الحيوان بدلالات نظامه التواصلي بشكل غريزي ، فالنحل مثلا يولد وهو يعرف كيف يرقص و ماذا تعني كل رقصة .

7- **التفاعل المتبادل (interchangeability):** وترمي إلى أن كل نشاط اتصالي ينبني على طرفين، متكلم يتحدث بلغة ما، و مستمع يفهم كلامه، مع قابلية تبادل الأدوار.

وهذه الخصائص التي تميز النظام اللغوي البشري، هي في الحقيقة تعود للبنية الذهنية التي يتمتع بها ككائن حي و تميزه عن بقية المخلوقات، بحيث تمكنه من إنتاج الكلام وفق ما يسمى بالقواعد الذهنية (mental grammar) و التي تضم:

- ✓ خاصية التفرد العقلي/الدماغي ؛اي التميز في بنية الدماغ البشري.

- ✓ مجموعة من العناصر اللغوية: الكلمات، أجزاء الكلمات...وما إلى ذلك ، و تسمى معجم.
- ✓ برنامج يغذي الدوائر العصبية في الدماغ[1]

ومن خلال هذه القواعد يتم إنتاج الكلام على النحو الذي يوضحه الشكل التالي[2]:

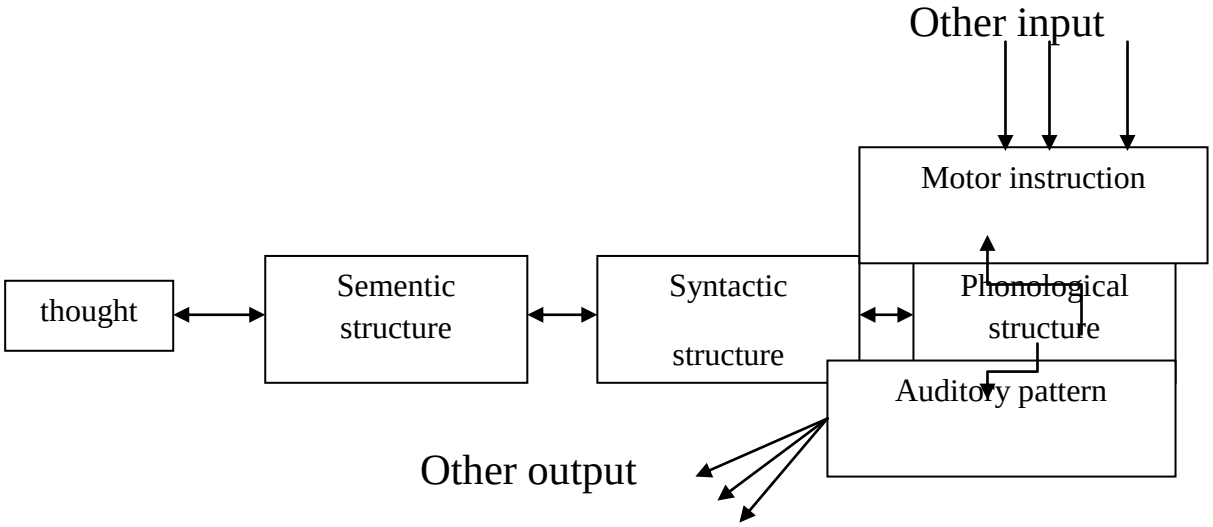


إن التواصل اللغوي الذي يمارسه البشر معقد نسبيا مقارنة ببقية النظم التواصلية ، لأن الإنسان أثناء سعيه لتركيب جملة ما أو خطاب أو إنتاج ملفوظ ، فإنه يعتمد على شبكة من العلاقات المعقدة والتي حاول العديد من اللسانين الولوج إليها و الكشف عنها وبناء نماذج لعملية التفاهم بواسطتها، ودفع بهم في أكثر من موضع إلى الاعتراف بمدى غناها ، وفي هذا الصدد يقول (جاكوندوف/**jackendoff**)* : حتى أبسط الجمل تحوي على الأقل هذه البنية الغنية...إذا كان المرء يرغب في الانضمام للحديث عن طبيعة اللغة فعليه أن يدرك و يعترف بهذا التعقيد[3].

وفيما يلي بعض من التفاسير المقدمة لعملية التواصل :

---

[1] Jason Marchant, human language and Animal communication, 2006, p15

[2] Ibid., p 11

* راي جاكندوف (1945- ) لساني أمريكي عرف بأبحاثه في مجال (علم الدلالة التصوري) و (المعمار الموازي) و (التركيب الأبسط)،إضافة إلى أبحاثه الرائدة عن (الإدراك الموسيقي) ،كان رئيسا سابقا لجمعية اللسانيات الأمريكية و جمعية الفلسفة و علم النفس الأمريكية، من أهم مؤلفاته:

- ✓ علم الدلالة و الإدراك (1983 م)
- ✓ نظرية توليدية للموسيقى النغمية ( 1983 م )
- ✓ الشعور و الذهن الحوسبي (1987م )

وغيرها من الكتب التي تتصل بالإدراك و الإدراك اللغوي على وجه الخصوص.

[3] Ray Jackendoff,Foundation of language,Brain,Meaning,Grammar,evolution,2004,p18 (Even the simplest contain at least this rich a structure…If one wishes to join the conversation about the nature of language,one must regonize and a knowledge this comlexity)

**ب- حلقة الكلام عند سوسير وخصائص التواصل اللساني :**

يظهر اهتمام سوسير بالتواصل من خلال كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة) ، وذلك أثناء حديثه عن كيفية وقوع الحدث أو التخاطب اللساني؛ فبعد تأكيده على أن اللغة نسق من العلامات و الإشارات التي تسعى لتحقيق التواصل ب داخل الجماعة اللغوية الواحدة، قام بعدها بشرح العملية التواصلية ، حيث أشار إلى عناصرها وذكر أن كل تبليغ في حده الأدنى لابد له من باث و متلق وقناة تصل بينهما لتبليغ أو نقل الرسالة اللغوية، فهي عملية عقلية يتم من خلالها توحد الدال بالمدلول،أو تقاطع الصورة السمعية والتصور الذهني ، و لتوضيح مجريات العملية التواصلية اقترح المخطط التالي:

تصويت استماع ت: تصور ذهني / ص:صورة سمعية

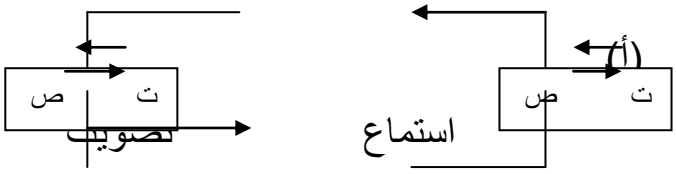


يشكل دماغ (أ) نقطة الانطلاق باعتباره مركز التصورات الذهنية التي سيقدمها المتكلم من خلال ربطها مع تمثلات الأدلة اللسانية أو ما يسمى بالصور السمعية المستخدمة للتعبير عنها؛إذ لكل تصور ذهني صورة سمعية واحدة أو أكثر تطابقه و تدل عليه ، مشكلة بذلك شحنة أو مثيرا لأعضاء النطق تستجيب لها في شكل موجات صوتية تصدر من لسان (أ) متجهة نحو أذن (ب) ، والذي يقوم بتفكيك الصورة السمعية التي التقطتها أذنه ليحيلها على تصورها الذهني المناسب لها و الكامن في الدماغ ، وباستجابة (ب) أي بتحدثه هو الآخر ، تتشكل حلقة الكلام و تمتد في دورتها بين كل من (أ) و (ب) ، وفي هذا الصدد نجد تبادلا للأدوار بين طرفي العملية التواصلية مع اتفاقهما في مستوى تفسير الرسالة "يجب أن يكون هناك ذكاء تصوري ينظم الأدلة البحتة، وأن توجد، من جهة أخرى مبادرة يقوم بها كل من طرفي الثنائية مرسل – مستقبل ضمن علاقة تقوم على الأدوار إذ يضطلع المستقبل بكافة وظائف المرسل حين يتصرف بدوره كمرسل "[1].

[1] كلود حجاج، إنسان الكلام ، ص 139 وينظر : محاضرات في اللسانيات العامة ل :سوسير

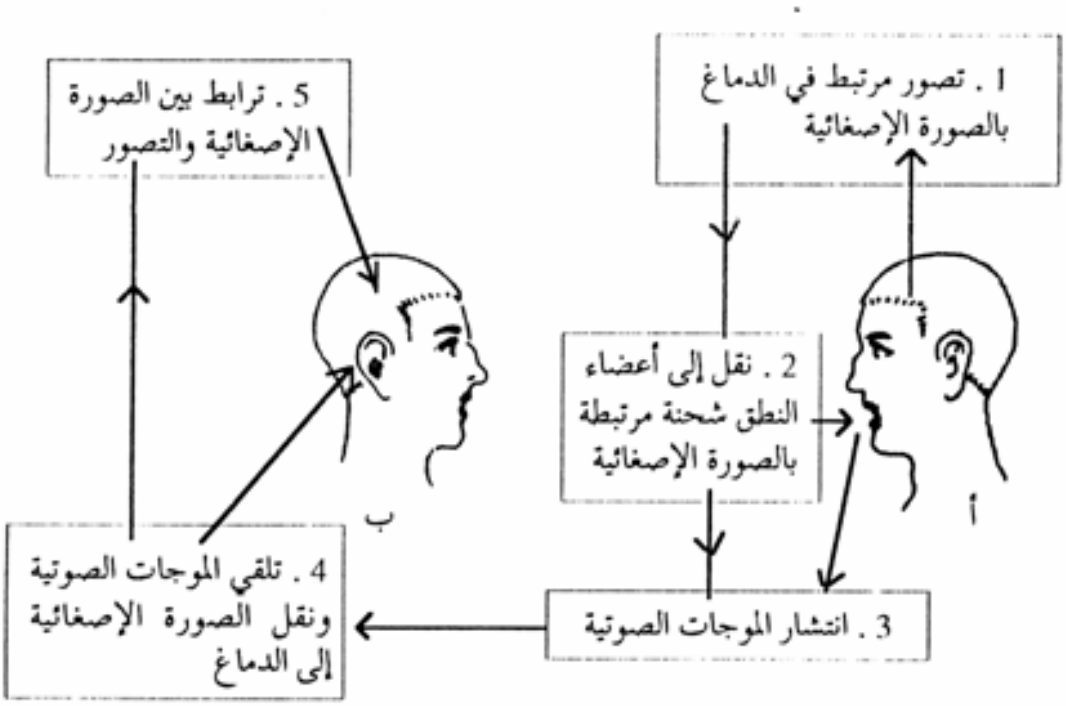


يتجلى اهتمام سوسير بعناصر ثلاثة في عملية التواصل وهي : الصورة السمعية أو الإصغائية أو اللفظية و التي تعكس العنصر النفسي ، ثم التصورات الذهنية التي تعكس عنصر المفاهيم والمتجسدتان في الخطوات (4) و (5) على التوالي ، لتليها الموجات الصوتية المتبادلة عبر القناة الهوائية و التي تمثل العنصر الفيزيائي و الذي يظهر في الخطوة (3) إلى جانب العنصر العضوي البيولوجي الذي يتمظهر في التصويت و الاستماع ؛أي في ما يمكن أن تؤديه أعضاء النطق و السمع في حلقة الكلام و الملاحظة في الخطوتين (2) و(4).

**جـ نموذج جاكوبسون التواصلي:**

يعد التواصل من أهم وظائف اللغة التي نادى بها ( **رومان جاكوبسون)** ، فقد استفاد مما أفرزه العلم الحديث بصفة عامة ،بحيث "اتكأ على النتائج التي توصل إليها علم الاتصال مع أبحاث المهندس الأمريكي ( **شانون)** والمختص بمجال التلغراف و الاتصال،ليفرز لنا معنى جديدا للتواصل وهو إيصال المعلومات بوساطة المرسلات عبر أشكال متنوعة كالموجات الصوتية و الذبذبات الكهربائية والأشكال البصرية في المرسلة الخطية "[1]، أضف إليها تطويره لنموذج حلقة الكلام الخاصة ب **(سوسير)** و إخراجها بشكل مميز فيما بات يسمى ب (نظرية التواصل) وتصبح من أهم أعماله التي ارتبطت باسمه بشكل مباشر .

يمكن القول بأن **(سوسير)** اعتمد مجموعة من العناصر التي تنتمي للبعد النفسي (صورة ذهنية ) والبعد السمعي النطقي البيولوجي (الصورة السمعية) ،

[1] ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبية (الرؤية و التطبيق) ،دار المسير للنشر و التوزيع،عمان، الأردن،ط1،2007،ص 127وينظر: محاضرات في الصوت و المعنى ل : جاكوبسون

ليقوم بتحليلها فيزيائيا مهملا البعد التبليغي القائم بين الطرفين (مرسل – متلقي) ، وهي نقطة الارتكاز التي بنى عليها (جاكوبسون ) مخططه التواصلي وفق بعد منظم معتنيا بالوظيفة التبليغية بشكل كبير ،" عرف الأنموذج ب "ديناميكية التواصل " و تبناه من جاء بعده ممن سار في الاتجاه الوظيفي،...فصوروا العملية التواصلية على أنها حركة ديناميكية مستمرة تحمل بنية اللغة آثارها الواضحة، وليست شيئا ثابتا"[1]،وتكمن الدينامية في قدرة التواصل على حمل عناصر مختلفة لها إمكانية إثراء معلومات المتلقي من جهة ، و نقل تجارب المتكلم من جهة ثانية ، وهو ما يخلق تفاوتا في حركة الحدث الكلامي.

ويمكن العودة إلى الفصل الثاني للإطلاع على عناصر المخطط ومختلف الوظائف المسندة إليها.

**ثالثا-التواصل عند علماء العربية القدامى:**

أولى علماء العربية القدامى اهتماما كبيرا لمسألة التواصل، وذلك توازيا و تماشيا مع ما شهدته الدراسات اللغوية من تطور ، بوصف اللغة أرقى أشكال التعبير ، وبالعودة إلى بحوثهم التي أدرجوها في مؤلفاتهم، نجدهم قد تطرقوا لنظرية التواصل ، بتحديد أركانها و أهدافها ، حتى أنهم تحدثوا بإسهاب عن مستويات التواصل بتصنيفها وفقا للطبقات الاجتماعية القائمة فيها ومميزات كل منها ، وتعيين دور ووظيفة كل من الإشارة و اللفظ في عملية التواصل ، وهي القضايا التي نجدها عند (**الجاحظ**) باعتباره أحد رواد التواصل في التراث العربي .

يؤكد (الجاحظ) أن اللغة هي أحد أشكال التواصل و أنها خاصية تتوافر تلقائيا أو بطريقة موازية مع ما يعرفه أفراد المجتمع من احتكاك و حركة فيما بينهم ، وهو ما يدفع بهم للتعبير عما يدور في أذهانهم من أفكار تتصل بمعاني و مقاصد قابعة في نفوسهم ،فتراه يقول" المعاني القائمة في صدور الناس، المصورة في أذهانهم مستورة خفية...لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه و خليطه...و إنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها.وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم و تجليها للعقل و تجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شاهدا البعيد قريبا، وهي التي تلخص الملتبس و تحل المنعقد و تجعل المهمل مقيدا و المقيد مطلقا، والمجهول معروفا،والوحشي مألوفا و الغفل موسوما و الموسوم معلوما "[2].

إن (**الجاحظ** ) بذكره لكل تلك الأمور إنما يذهب إلى إبراز و تأكيد البعد التواصلي للغة كما تذهب إليه الدراسات اللسانية الحديثة "لا يتضامن مفهوما اللغة و التواصل في الحقيقة إلا وفق أكثر معاني التواصل كثافة و تركيزا؛أي المعنى الذي مفاده أن قناة اتصال واحدة تضع فردين،تربطهما يبعضهما البعض

[1] ينظر: حافظ اسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة(دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالاته)،دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط 1، 2009،ص 343

[2] الجاحظ،البيان و التبيين، المكتبة الشاملة،https://al-maktaba.org/book/10614/77 ،81/1

شبكة وثيقة من العلاقات الاجتماعية ، بالضرورة ، الحد الذي نعرف عن درجة تركيزها ، فأنها تنتج عن فترة طويلة من الحياة ضمن جماعات متماسكة يعرف أفرادها بعضهم البعض من خلال الحاجات المتنوعة التي ولدها تعايشهم الوثيق وهذا التاريخ حصرا تاريخ البشرية وحدها "[1].

يمكن الملاحظة بأن دافع البشرية للتواصل منوط بالحاجة والتي هي بدورها تقف على سمتي الوجود البيولوجي و الاجتماعي للبشرية ، وهو ما يخلق تلازما بين الإنسان و اللغة و التواصل ، بحيث يتم التعبير عن الحاجات المتبادلة بين أفراد المجتمع باستعمال اللغة ، و هو ما يجعله –التواصل- سمة اجتماعية كما ذهب إليه ( **الجاحظ)** بقوله "جعله الله تعالى سببا فيما بينهم ، ومعبرا عن حقائق حاجاتهم، ومعرفا لمواقع سد الخلة، ورفع الشبهة، ومداواة الحيرة "[2]،ثم إنه يبرز مفهومه للتواصل من خلال الإبانة عن المعاني وتفصيل مكوناته وعناصره بقوله " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وعتك الحجاب دون الضمير،حتى يفضي السامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، و من أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعاني ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[3].

يقوم (**الجاحظ** ) من خلال حديثه عن البيان بذكر خمسة عناصر للعملية التواصلية و هي : المتكلم، السامع، الرسالة ، القناة، الشفرة ، بحيث تنتقل الرسالة من المتكلم إلى السامع و غاية كل منهما الفهم عن طريق اللغة ، بينما تمثل الشيفرة أو الرمز قوله " كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب ".

ولم يقف ( **الجاحظ** ) عند هذا الحد ، بل حدد العملية التواصلية وأدواتها ووظيفتها ومستوياتها بحيث لابد من بناء الخطاب وفقا لقدرات المتلقي ليلج بذلك إلى علم اللغة الاجتماعي و غيره من القضايا التي تطرق إليها في كتابه ( البيان و التبين )، والذي يمكن إيجاز محتواه في الشكل التالي:

[1] كلود حجاج ، إنسان الكلام ، ص 140
[2] الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون،القاهرة، مصر، ط2،1965 ،44/1
[3] الجاحظ، البيان و التبيين ،76/1

رسم تخطيطي يوضح فكرة كتاب البيان عند الجاحظ [1]

ينقسم مفهوم الجاحظ للإشارة إلى مستويين :

- ✓ " الإشارة المساعدة على التبليغ المصاحبة للفظ المكملة له و قد حظيت منه باهتمام كبير، باعتبارها جزءا من بلاغة الخطابة العربية.
- ✓ الإشارة الدالة في حد ذاتها باعتبارها نسقا منفصلا عن اللغة و تشمل عنده صور التعبير الاجتماعي مثل طريقة اللباس و الأزياء و غيرها من المظاهر

[1] محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999، ص 193

المعبرة."[1]، فالتواصل عند ( **الجاحظ** ) لا يقتصر على اللغة فقط ، بل تدخل في إطاره أدوات ووسائل أخرى يمكن أن يوظفها المتكلم و السامع على حد سواء في عملية التبليغ و تحقق تأثيرها كلغة الجسد وما يرتبط بها من إيماءات و إشارات ، وهي الفكرة ذاتها التي توصل لها المحدقون من خلال القول بأن "النظم الرمزية ترتبط في أذهاننا بمجموعة من المقولات أو المصطلحات التي يطرحها الشخص عادة في سياقات معينة،...نضمن أيضا وسائل غير لغوية للتمثيل "[2]، وفي كلامه إشارة إلى أن التميز الذي يستخدمه البشر للتواصل هو عبارة عن مزيج بين ماهو لغوي يتمثل في الوحدات اللسانية وما يرتبط بها من مدلولات ، وماهو غير لغوي كالإشارات والإيماءات و ما تحيل إليه من معاني .

انطلاقا من الأفكار التي جاد بها ( **الجاحظ**)، قام العديد من العلماء بالبحث في نظرية التواصل مع التطرق لما يصاحبها من قضايا و مسائل ومن بين هؤلاء:

- **أبو هلال العسكري ( ت 395هـ) :** تعرض لمفهوم الاتصال من خلال تعريفه للبلاغة ، يقول : "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه من نفسه، كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن "[3]، يمكن أن نستشف من كلامه مرتبة أخرى من مراتب التواصل وهي تواصل الإنسان مع ذاته ، وذلك من خلال إنشائه للمعنى و تمكنه في نفسه ثم التفكير في طريقة و أسلوب التعبير عنه حتى يصل إلى السامع و يحقق ذات التأثير الذي توصل إليه هو كمتكلم سابقا ، فهو يولي المتكلم أهمية في عملية الاتصال نظرا لكونه هو مؤلف الرسالة التي لابد لها أن تصل و تحقق تأثيرها في قلب السامع و ذاته.
- نجد **ابن سنان الخفاجي ( 466هـ)** هو الآخر يتطرق لمفهوم التواصل ومختلف مركباته في معرض حديثه عن شروط الفصاحة و البلاغة ، يقول : "...ومن شروط الفصاحة و البلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهرا جليا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه، و تأمل لفهمه...والدليل على صحة ما ذهبنا إليه ...أن الكلام غير مقصود في نفسه ، و إنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم و يفهموا المعاني التي في نفوسهم "[4]، فهو في كلامه يركز على الرسالة و ما يجب أن يتوافر فيها من شروط وأهمها الوضوح و عدم الوقوع في الغموض مما ينتج عنه اللبس ، لأنه يرى أنها ليست غاية في ذاتها؛أي ليست غاية المتكلم هي مجرد الكلام ، و إنما هو يسعى لتبليغ معان ومقاصد فيستعين على إيصالها بالحديث ، و في هذا إشارة لعملية التواصل من خلال انتقال الرسالة بين متكلم و سامع عن طريق الكلام .

---

[1] السابق، ص 205-206

[2] إسرائيل شيفلر، العوالم الرمزية، ص 21

[3] العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر،تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط2،1971،ص 19

[4] الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، دت ، ط1، ص 220-221

وبالتالي ، يتضح لنا مدى إدراك علماء العربية القدامى لمفهوم التواصل و أركانه ، و مستوياته ، فقد ولجوا إليه عبر نافذة اللغة بوصفها وسيلة و قناة للتواصل ، فانتبهوا إلى مكونات العملية التواصلية و مقوماتها التي يجب أن تتوافر حتى تتحقق بشكل فعال وهي:

- ✓ **(الرسالة )** وتتمثل في الخبر الذي يتم نقله بين (متكلم و سامع ) والذي يجري ضمن سياق معين أطلقت عليه العرب (المقام أو مقتضى الحال ) ، وقد أورد (السكاكي ت 626) كلاما يبرز فيه علاقة الرسالة بالسياق الذي ترد فيه و مدى تأثير ذلك في عملية التواصل ، يقول : " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية...وارتفاع شأن الكلام من باب الحسن و القبول و انحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو ما نسميه مقتضى الحال "[1]، فهناك تناسب بين الكلام وسياقه الذي يرد فيه و ذلك بحسب الأحوال و الغايات التي يمر بها كل من المتكلم و السامع بوصفهما طرفي عملية التواصل .
- ✓ **(الرمز أو الشفرة )** وهي بمثابة أرضية مشتركة يقف عليها كل من المتكلم و السامع ، ومن خلالها يتم وصول الخبر من المرسل إلى المتلقي ، وضمن إطارها يتم تفكيك (الرسالة ) والتوصل إلى المراد ، ذلك أنها مما يتعارف عليه طرفا الكلام وهو ما جعل فريقا من علماء العربية يذهب في نشأة اللغة و تعريفها مذهب التواضع "عبارة عما يتواضع عليه القوم من الكلام "[2]؛أي اتفاق الجماعة اللغوية على استعمال نظام ما في عملية التواصل ، وهو ما يشير إليه المسدي بقوله " إن المواضعة حقيقة نسبية ،لا فحسب باعتبارها تتصل بنظام اللغة المتخاطب بها في اللحظة المعينة دون غيره من أنظمة اللغات الأخرى ، وإنما أيضا باعتبار أنها لا تثمر في الخطاب اللساني إلا إذا تطابقت نواميسها عند المتكلم و عند سامعه في نفس الوقت "[3]، وهو ما تؤكده الدراسات اللسانية الحديثة ، إذ أنها تقر بأن (التواصل تفاعل من خلال رسائل، والرسائل أحداث رمزية وتصويرية مقعدة في شفرات من دلالة مشتركة معينة في ثقافة ما، منتجة لغاية الدلالة )[4].فالصفة الموجودة ضمنيا في الرسالة هي تطابق نظامها الترميزي بين طرفي التواصل .

وهكذا تكتمل عند علماء العربية القدامى عناصر عملية التواصل أو التبليغ ، وهي :

- ✓ المتكلم- الملقي- المرسل.
- ✓ السامع- المتلقي- المرسل إليه.

---

[1] أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي،مفتاح العلوم،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة ، مصر، دط، 1937،ص 168-169

[2] ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة،ص 48

[3] عبد السلام المسدي،التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 138

[4] محمد مفتاح وأحمد بوحسن، المفاهيم و أشكال التواصل، ص 12

- ✓ الرسالة – الخبر.
- ✓ القناة- اللغة.
- ✓ السياق-مقام –مقتضى الحال.
- ✓ الشفرة –الرمز- المواضعة .

وهذه العناصر يمكن أن يعاد توزيعها و ترتيبها بما يوازي مخطط (جاكوبسون التواصلي ) على النحو التالي :

سياق (مقام- مقتضى الحال)

متكلم (مرسل) _____ خبر|(رسالة )_____ سامع (مرسل إليه )

اللغة (أداة اتصال – قناة )

المواضعة|(شفرة – رمز )

2- فكرة التواصل اللغوي عند ابن جني من خلال الخصائص :

وردت فكرة التواصل اللغوي عند( **ابن جني** )عندما قدم مفهومه للغة في (باب القول على اللغة و ماهي ) بقوله : **"**أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم **"**[1].

يشير( **ابن جني)** من خلال تعريفه إلى أن اللغة وسيلة للتواصل بين الجماعة اللغوية الواحدة ، بحيث يختار الإنسان مما تعرضه له اللغة من وحداتها الصغرى وهي الأصوات ما يبني و يعبر به عما يجول في نفسه من خواطر و ما يدور في ذهنه من أفكار، سعيا منه إلى تحقيق مقصدية تتلاءم وما يرمي إليه ، وهو ما يتوافق مع ما تقره اللسانيات في مختلف مفاهيمها للغة ، إذ قامت كل منها في بناء تعريفها بالارتكاز على نقطة دون أخرى ، جمعها ابن جني كلها في تعريفه السابق وهي :

أ- الطبيعة الصوتية للغة: يتفق اللسانيون أن اللغة ذات بنية تحتية صوتية، " اللغة نظام من الرموز الصوتية الإصطلاحية أو الاختيارية تتخذه مجموعة من البشر وسيلة للاتصال"[2]، وهو ما يفسر المنهج الذي اتبعه علماء العربية القدامى في دراسة اللغة ، إذ تبنوا السماع و الرواية في عملية جمع اللغة ، وهو ما يوحي باهتمامهم بالممارسة اللغوية الفعلية ؛أي

[1] ابن جني، الخصائص، 33/1

[2] N Potter Simon, Language in the modern world, p48، نقلا عن: كريم زكي حسام الدين،أصول تراثية في علم اللغة، ص 79

بالأداء الفعلي للغة و الذي يظهر في عملية نطق الأصوات و طرق تأليفها حتى ينتج الكلام .

ب-وظيفة اللغة هي التواصل:وهو ما أشار إليه ابن جني بقوله (يعبر بها ) ، وهو يسند بذلك قول الوظيفية في أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل و بقية الوظائف إنما هي أنماط مختلفة يمكن للتواصل أن يتجسد من خلالها ، وهو ما يثبته المتوكل بقوله: "نريد هنا أن نبدي رأيا ...هو أن للغة وظيفة واحدة هي وظيفة التواصل ،أما وظائف (هاليداي) ووظائف (يا كبسون) فمن الممكن عدها أنماطا من أنماط التواصل المتعددة"[1]، وحجة ذلك أن بقية الوظائف لا يمكنها أن ترد بشكل مستقل الواحدة دون الأخرى في مقابل وظيفة التواصل ؛بمعنى لا يمكن لخطاب أن يتفرد و يتميز بوظيفة دون ظهور بقية الوظائف ولو بشكل ثانوي .

ت- الطابع الاجتماعي للغة : وهو ما أشار إليه بكلمة ( كل قوم عن أغراضهم ) ، مما يوحي بوجود علاقة بين اللغة و المجتمع ، بعدها نتاجا تفرضه الطبيعة الاجتماعية للإنسان و حاجته للتواصل ، وهي تختلف من جماعة لغوية إلى أخرى ، وفي هذا السياق يقول فندريس : "في أحضان المجتمع تكونت اللغة ، ووجدت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم...فاللغة هي الواقع الاجتماعي بمعناه الأوفى، تنتج من الاحتكاك الاجتماعي وصارت واحدة من أقوى العرى التي تربط الجماعات وقد دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي "

نجد نصا آخر يعترف فيه (**ابن جني**) بحاجة البشر للتواصل عن طريق اللغة وذلك في باب ( هذه اللغة:أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط) ، يتحدث فيه عن تواضع اللغة والأسباب التي دفعت إلى ذلك ، يقول : " وذلك أنهم وزنوا حينئذ أحوالهم و عرفوا مصاير أمورهم ، فعلموا أنهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني، وأنها لابد لها من الأسماء و الأفعال و الحروف،فلا عليهم بأيها بدءوا،أبالاسم أم بالفعل أم بالحرف،لأنهم قد أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهن جمع؛إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن"[2].

يمكن أن نستشف من كلامه ما يلي:

- ✓ كل احتكاك اجتماعي يؤدي بالضرورة إلى وجود تواصل من نمط ما، واللغة واحدة من أرقى الوسائل التي تضمن ذلك ، وهو ما توصل إليه الباحثون في مجال علم اللغة الاجتماعي عند اكتشافهم لمجموعة من اللغات المولدة ؛وهي

[1] أحمد المتوكل،التركيبات الوظيفية: قضايا و مقاربات، ص25

[2] ابن جني، الخصائص، 33/2

مزيج من لغتين فأكثر واصطلحوا عليها ب "الكريول/creole" وهو مصطلح يطلق على مجموعة متنوعة من اللغات التي تعرض للسمات المختلطة الناتجة عن اللغات المزجية ذات الأصول اللغوية المختلفة[1].

- ✓ المعاني قارة في النفوس حتى يتم التعبير عنها وإخراجها إلى حيز الوجود بواسطة اللغة.
- ✓ اللغة هي وسيلة التواصل المثلى بما تقدمه من إمكانيات تعود في أصلها إلى طبيعتها وهو ما يتناسب مع مختلف المعاني و الأغراض و المقصديات ، فهي تمنح مساحة شاسعة للتعبير عنها نظرا لتنوع لبنات بنيتها(اسم، فعل، حرف).

فالغاية من وجود اللغة و تواضع الناس عليها وفق ابن جني إنما هو التواصل و التبليغ وهو ما نجده عند المحدثين " الكلام ذاته مولد للمنفعة من حيث هو وسيلة سد الحاجة الفردية و الجماعية،...سبب وجود مؤسسة اللغة هو التكافل الجماعي مثلما أن سبب تعايش الأفراد في خلايا جماعية أنما هو الكلام ذاته"[2].

[1] David Crystal, Dictionary of linguistics and phonitics, p148, ( term used in sociolinguistics for a variety of language which displays linguistic resemblances to a creole (e.g. in simplification, or in the mixing of features from different source languages)

[2] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 51

## المبحث الثاني: تبعية البنية للوظيفة

### أولا- تبعية البنية للوظيفية مبدأ منهجي وظيفي

تقوم بين الشكل و الوظيفة في النحو الوظيفي علاقة تبعية، ذلك أن اللسان الطبيعي بنية –تراكيب أو عبارات- تؤدي وظيفة أساسية هي التواصل، بحيث تتحدد الخصائص البنيوية لعبارات هذا اللسان –صرف، تركيب، تنغيم- انطلاقا من الأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسائل لتحقيقها ، فبين البنية و الوظيفية علاقة تبعية[1]، ويمكن أن يلاحظ أن هذا المبدأ لا تختص به نظرية النحو الوظيفي دون غيرها ، بل هو مبدأ عام تنبني عليه اللسانيات الوظيفية ، بحيث تعكس بنية العبارات إلى حد بعيد وظيفتها التواصلية في واقع لغوي محدد، وفي ظل معطيات إنجازية خاصة، وهذا مبدأ منهجي عام معتمد في اللسانيات الوظيفية [2].

بما أن اللغة في اللسانيات الوظيفية هي وسيلة للتواصل بالدرجة الأولى ،فإنها قد سعت بشكل تلقائي إلى رصد ومحاولة توصيف الأغراض التي تؤديها اللغة ، وهو ما يلزمها الاستفادة مما تقدمه التداولية من إمكانية متوافرة للإجابة عن الأسئلة التي لها علاقة باستخدام العلامات اللغوية ضمن سياقاتها ، باعتبار التداولية دراسة للظواهر اللغوية بوصفها كلاما محددا (رسالة ) مستعملا من قبل مخاطب محدد (مرسل) في ظروف محددة (سياق- مقام ) موجها إلى مخاطب محدد (متلقي) لأداء وظيفة تواصلية محددة . وهذا هو أبرز مبدأ يقوم عليه الدرس الوظيفي الحديث ، "البنية التركيبية و الصرفية تعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصل ، بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات مقامية معينة "[3].

### ثانيا- تبعية البنية للوظيفة عند علماء العربية القدامى:

#### أ- المعنى الوظيفي عند سيبويه:

إن النحو الذي بناه سيبويه في (الكتاب ) هو في الحقيقة رصد للاحتمالات الممكنة التي يجيزها الكلام العربي ، والتي قام بتحديدها في منوالات ، اعتمد في بنائها على التحليل الوصفي البعيد كليا عن المعيارية ؛ بحيث جمع بين اللفظ و المعنى ، بل و اتكأ عليه بأن جعله عمدة و أصل التحليل ، فبناء الجملة آت وفق معنى يرغب المتكلم في إيصاله إذ تتكاتف على إخراجه كل من بنية التركيب ومقامها أو السياق الذي ترد فيه ، وهو ما يذهب إليه المحدثون في أن المعاني هي أصل اللغة وفي هذا الصدد يقول عبده الراجحي : " و المنهج الذي نرتضيه هو الذي يقع في الناحية الأخرى وهو الذي أصله سيبويه وظل يوجه الفكر النحوي في تاريخه الطويل ،

---

[1] ينظر: أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط1، 1993، ص 21

[2] ينظر: أحمد المتوكل،الوظيفة و البنية،ص 35

[3] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 65

المعنى هو الأصل في اللغة وليس للنحوي غاية إلا الوصول إلى المعنى"[1]، ولمن يعود ل (كتاب ) سيبويه يجد فيه لمسات عديدة في بنية منهجه مما اعتمد فيه على تبعية البنية للوظيفة في التحليل من بينها:

مقبولية الكلام ومدى صحته في باب (الاستقامة من الكلام )، يقول سيبويه في شأن الكلام منه :" مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب"[2]، ترتبط كل خاصية مما ذكر بواحد من جوانب الكلام في مستواه التركيبي،أو الدلالي أو التداولي، وهو ما يواصل سيبويه شرحه بالتمثيل له في قوله : "فأما المستقيم الحسن فقولك : - أتيتك أمس- و سآتيك غدا – وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا – وسآتيك أمس-و أما المستقيم الكذب فقولك – حملت الجبل – وشربت ماء البحر- ونحوه،وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت- وكي زيدا يأتيك -، و أشباه ذلك ، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[3].

يقسم سيبويه الكلام إلى أنماط هي:

المستقيم الحسن: وتعني استقامته صحة التركيب وتوافقه مع الدلالة، بينما يفيد الحسن صدق الخبر و عدم تناقضه مع الواقع .

المحال:وهي أن يمس الكلام تناقض في مستواه الدلالي مع سلامته من حيث التركيب وهو ما عبر عنه السيرافي باجتماع المتضادات في قوله (إن المحال هو الكلام الذي يوجب اجتماع المتضادات "[4]، ويمكن التناقض في الجمع بين دلالتين زمانيتين هما : الماضي و المستقبل ، ما جعل سيبويه يغض طرفه في النظر إليه من حيث صحته التركيبية ، وفي هذا دليل على قوة الصلة القائمة بين دلالة الجملة و علاقاتها التركيبية المجردة.

المستقيم الكذب: وهو سلامة الكلام من التناقض الدلالي واستقامة بنيته التركيبية ،إلا انه مخالف للواقع ، يقول السيرافي: " إنما خص – حملت ماء البحر- و – شربت ماء البحر- بالكذب ، لأن ظاهرهما يدل على كذب قائلهما قبل التصفح و البحث"[5].

المستقيم القبيح: وهو أن يضطرب ترتيب الألفاظ المكونة للجملة بسبب خرق قوانين و قواعد تجاور الألفاظ مع الحفاظ على العقد القائم بينها ، يقول السيرافي: " المستقيم من طريق النحو هو ما كان على القصد سالما من

[1] عبده الراجحي، النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية، إعداد وإشراف: عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 250

[2] سيبويه، الكتاب، تح:عبدالسلام هارون،دار الجيل ، بيروت لبنان،ط1،1991،25/1

[3] السابق، الصفحة نفسها

[4]السيرافي،شرح كتاب سيبويه،تح: أحمد حسن مهدلي، علي يد علي، دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 2008،1/ 186

[5] نفسه، شرح كتاب سيبويه،187/1

اللحن،فإذا قال:قد زيدا رأيت ،فهو سالم من اللحن،فكان مستقيما من هذه الجهة،وهو مع ذلك موضوع في غير موضعه فكان قبيحا من هذه الجهة"[1].

وعليه فالاستقامة تعني توافر الصحة التأليفية و عدم التناقض بين ألفاظ الكلام ،فإن كان متناقضا فهو المحال، وإذا أضيف إليها عدم تطابقه مع الواقع فهو الكذب، و هو النوع الأخير الذي سماه سيبويه بالمحال الكذب[2].

**الدلالة الوظيفية للرتبة :**

يأخذ ترتيب عناصر الجملة في اللغة العربية بعدا وظيفيا يرتبط بمقصدية المتكلم ، وهو ما انتبه له سيبويه و بحثه في أكثر من باب في (الكتاب) تعرض من خلالها إلى تحليل عدة مسائل منها ، دراسة التقديم و التأخير بين أجزاء الكلام وما يمكن أن تعكسه من وظائف تداولية ، كالبنية التي يتقدم فيها الاسم أو الفعل بعد أداة الاستفهام ، يقول سيبويه : " أضربت زيدا أم قتلته؟،فالبدء بالفعل ههنا أحسن ، لأنك إنما تسأل عن أحدهما ،لا تدري أيهما كان، ...كأنك قلت: أي ذاك كان بزيد؟وتقول: أضربت زيدا أم قتلت زيدا؟ لأنك مدع أحد الفعلين ولا تدري أيهما هو ،كأنك قلت: أي ذاك كان زيد"[3]، يورد سيبويه هنا أن المتكلم يقصد السؤال و الاستفسار عن نوع الحدث وهو الضرب أم القتل لأنه متأكد من وقوع أحدهما على مفعول به وهو زيد .

ونجده في موضع آخر يتحدث عن تقديم المفعول به في بناء الجملة و الشائع هو أن يتأخر عن الفعل والفاعل، يقول :"فإن قدمت المفعول و أخرت الفاعل جرى اللفظ كما يرى في الأول وذلك قولك ضرب زيدا عبد الله،لأنك إنما أردت به مؤخراما أردت به مقدما ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى وإن كان جميعا يهمانهم "[4]، فالعنصر الذي يتم تقديمه وفق ما ذهب إليه سيبويه يمكن أن يقابل ما يعرف في الدراسات الحديثة بالبؤرة وهي (وظيفة تداولية تسند إلى المكون الأبرز في الجملة )[5]، وهو ما عبر عنه سيبويه و من تبعه من اللغويين القدامى بالأهمية .

**ب- علاقة النظم بالمعاني عند الجرجاني :**

يذهب الجرجاني إلى أن وظيفة الكلام الأساسية هي التواصل و تبليغ المقاصد و تأدية المعاني ، فتصبح بذلك المعاني هي نقطة الارتكاز التي تقوم عليها بنية و هندسة اللغة ، وبالتالي جاءت دراسته في كتابه (دلائل الإعجاز ) كدعوة للنظر في وظائف التراكيب و ما يرتبط بها من غايات وذلك بتتبع نسيج شبكة العلاقات التي بنى عليها الكلام وما عبر عنه ب (النظم)، لأن كل بنية شكلية هي انعكاس لمعنى وظيفي ،

[1] السابق، 187/1

[2] ينظر: الزايدي بودرامة، النحو الوظيفي و الدرس اللغوي العربي: دراسة في نحو الجملة،أطروحة دكتوراه تخصص اللسان العربي،إشراف:لخضر بلخير،جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر،ص 288

[3] سيبويه، الكتاب،194/3

[4] السابق، 1/ص 31

[5] محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي : الأسس و النماذج و المفاهيم ،ص 56

وفي هذا الصدد يقول : " لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب و فروقه ، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعا وجاءني وهو مسرع أو هو مسرع وجاءني و قد أسرع فيعرف كل من ذلك موضوعه،وتجيء به حيث ينبغي له ،وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصيته في ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل من موضع الوصل ،والإضمار والإظهار فيضع كلا من ذلك في مكانه و يستعمله على الصحة وما ينبغي له "[1]، يمكن القول بأن كلامه بيان لما يوجد بين البنى النحوية (الشكل ) و المعاني (الوظائف) من رابطة وعلاقة عبر عنها واصطلح عليها ب (الوجوه و الفروق) ، بحيث تتعدد الوجوه وهي صور و أشكال التراكيب بحسب الأغراض ، فيعبر كل وجه عن قصد معين ضمن سياقه الخاص ، أما الفروق فهي مجموع المعاني المتولدة عن خروج الوجه الواحد إلى غيرها ، فنجده يعقد فصلا كاملا بعنوان ( مزايا النظم بحسب المعاني و الأغراض ) يورد فيه الخلفية الوظيفية لنظرية النظم ويجعل من المعاني مدار التحليل و غاياته بالنسبة للمتلقي و أساس تأليف الكلام بالنسبة للمتكلم ، يقول: " وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم بالأغراض و المقاصد وعلى الوجوه و الفروق التي من شأنها أن تكون فيه،فاعلم أن الفروق و الوجوه كثيرة،ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية ليست بواجبة لها في أنفسها ، ومن حيث هي على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني و الأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض"[2].

يلاحظ أن الجرجاني يتفق و المبدأ الوظيفي القائل بتبعية البنية للوظيفية ، من خلال بحثه في نظم الكلام و البرهنة على خصائص التراكيب و ما يمكن أن تؤديه من وظيفة في سلسلة الكلام بالعودة إلى البنية النحوية وما تحويه من عناصر لكل منها دور يلعبه في النظام اللغوي ككل بوصفه وسيلة للتواصل بين البشر ، فكل من البنية و الوظيفة متعلقان ببعضهما ، يعضد أحدهما الآخر لإنتاج خطاب ضمن سياق ما بهدف إيصال معنى معين ، يقول الجرجاني : "فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق؛فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب ، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ،أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه ، وكيف تكون مفكرا في نظم الألفاظ وأنت لا تعقل لها أوصافا و أحوالا إذا عرفتها عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا؟"[3]، يؤكد الجرجاني على فكرة البحث عن المعاني الوظيفية في التراكيب اللغوية ومختلف الدلالات التي تؤديها ضمن نظريته نظرية النظم ، وهي تتوافق إلى حد كبير مع المقاربة الوظيفية للغة

[1] الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 127
[2] السابق، ص 132
[3] الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص 148

القائمة على "ربط بنية اللغة بوظيفتها التواصلية و تدرس هذه البنية على أساس أنها تابعة لتلك الوظيفة التواصلية ،...وهو الذي تعتمده نظرية النحو الوظيفي"[1].

**ثالثا-تبعية البنية للوظيفة عند ابن جني من خلال الخصائص :**

تتجلى تبعية البنية للوظيفة عند ابن جني من خلال مجموعة من النصوص الموزعة في كتاب الخصائص ، والتي تكشف عن وجود جانب وظيفي ضمني تم اعتماده في التحليل اللغوي لنظام العربية،كتبعية الإعراب للمعنى، وأداء البنية و التراكيب لوظيفة التواصل، والدور الوظيفي للرتبة ودلالتها في تحديد المعنى، وعلاقة الألفاظ بمعانيها ،..وغيرها مما سيتم البحث فيه تاليا.

**أ- تبعية الإعراب للمعنى:**

يبين (**ابن جني**) مدى أهمية الإعراب و علاماته في رسم معاني الكلام و توضيحه مما يضفي عليه مسحة وظيفية بوصفه احد وجوه الإفصاح عن المقاصد ، وهو ما ذكره في باب (القول على الإعراب ) بعد أن قام بتحديد ماهية الإعراب بقوله :"هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ، ألا ترى أنك إذا سمعت –أكرم سعيد أباه وشكر سعيدا أبوه – علمت برفع أحدهما و نصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه"[2]، فغاية الإعراب حسب ما يذهب إليه ابن جني هو إزالة الغموض و الإبهام ووسيلة لفك اللبس بين المتشابه من الألفاظ ، وتمييز الوظائف النحوية في التراكيب من فاعلية و مفعولية وغيرها باعتباره من خصائص اللغة العربية كما يذهب في ذلك (ابن فارس ت 395هـ) في كتابه الصاحبي بقوله : "من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ،ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من ا استفهام، ولا صدر من مصدر ولا نعت من تأكيد"[3]، ولا يؤدي الإعراب وظيفته هذه في التمييز بين الوظائف إلا من خلال الحركات التي تعبر عن أثر الاشتغال والتحديد ، يقول (الزجاجي ت 340) في تفسير علة وجود الإعراب في الكلام : "فإن قال : فقد ذكرت أن الإعراب دخل في الكلام ، فما الذي دعا إليه و احتيج إليه من أجله؟ الجواب أن يقال: إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة و مفعولة و مضافة ، و مضافا إليها ، ولم تكن في صورها و أبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبيء عن هذه المعاني "[4]، فبالإعراب يمكن أن يتوصل السامع إلى الغرض المقصود وإن كانت البنية ذاتها على نحو ما يأتي عليه الحرف (ما ) من معاني الاستفهام والتعجب و النفي ، في مثل :

---

[1] محمد الحسن مليطان،نظرية النحو الوظيفي، ص 16

[2] ابن جني، الخصائص، 104/1

[3] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها و سنن العرب في كلامها ، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1،1997، ص 43

[4] الزجاجي،الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك،دار النفائس، بيروت، لبنان، ط4، 1982، ص 69

- ✓ ما أحسن زيد ؟ برفع النون و كسر الدال ، فهو استفهام عن أحسن شيء في زيد.
- ✓ ما أحسن زيدا!بنصب كل من النون و الدال ، للتعجب من زيد .
- ✓ ما أحسن زيد ، بنصب النون ورفع الدال ، فهي للنفي.

تقوم الحركات الإعرابية بالتوضيح بما تضفيه من قمة إسماع في المقاطع التي يتألف منها الكلام وبالتالي تمنح الملفوظ نبرا و تنغيما مميزا يدل على معنى دون غيره ، ومنه يمكن الوقوف على مختلف مقاصد المتكلم و أغراضه التواصلية ، وهو ما ذهب إليه (ابن فارس ) في باب ( الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل و الفهم من السامع ) بكلامه عن مكانة الإعراب ودور الحركات في النظام اللغوي العربي يقول :" فأما الإعراب فيه تميز المعاني و يوقف على أغراض المتكلمين ،...فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني"[1].

ومما سبق يمكن القول بأن الإعراب في لبه هو خادم للمعنى، إذ يعمل على الإفصاح و الإبانة عما في نفس المتكلم، والاستدلال بالحركات الإعرابية لتوضيح الدلالة و التمييز بين المعاني.

**ب-مركزية المعنى بالنسبة للفظ :**

نجد إشارة أخرى لابن جني تدل على تبعية البنية للوظيفية ، تظهر في رؤيته بأسبقية المعنى ومركزيته في عملية تفصيل و تأليف الملفوظ الذي يبدأ به و ينتهي إليه ، ولإثبات وجهة نظره في هذه المسألة عقد بابا بعنوان ( في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ و إغفالها المعاني ) يدافع فيه عن اللسان العربي و يفند فكرة تفوق الصناعة اللفظية في مقابل المعاني، يقول: " ...فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها و أفخم قدرا في نفوسها.

فأول ذلك عنايتها بألفاظها .فإنها لما كانت عنوان معانيها و طريقا إلى إظهار أغراضها ومراميها،أصلحوها و رتبوها، وبالغوا في تحبيرها و تحسينها ؛ ليكون ذلك أوقع لها في السمع و أذهب بها في الدلالة على القصد "[2]، يتبين من كلام ابن جني أن الألفاظ تالية للمعاني ، ذلك أن المعنى ينشأ أولا في نفس المتكلم ثم إنه يسعى إلى تبليغ دلالته في أحسن ما يكون من قوالب و بنيات لغوية (أشكال)ومعبرا عنه بأجود الألفاظ و أفصحها متبعا أساليب مناسبة تتوافق و ما يرمي إليه ساعيا بها إلى إحداث تأثير ووقع في نفس المتلقي ، ويواصل ابن جني تثبيت رأيه في خدمة الألفاظ للمعاني بقوله : "فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها و حسنوها وحموا حواشيها و هذبوها و صقلوا غروبها و أرهفوها ، فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني و تنويه بها و تشريف منها "[3]، فهو يصرح بشكل

[1] ابن فارس، الصاحبي ، ص 209
[2] ابن جني، الخصائص، 1/ 294
[3] السابق، 296/1

مباشر من خلال نصه هذا بتبعية البنية للوظيفة في قوله : هي عندنا خدمة للوظيفة،عاني ، هو ما يتوافق و المبدأ الثاني من النحو الوظيفي ، ثم إنه يلمح إلى الفكرة ذاتها في باب (إصلاح اللفظ ) بقوله : "اعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمة، وعليها أدلة و إليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة، عنيت العرب بها فأولتها صدرا صالحا من تثقيفها و إصلاحها "[1]،، ليؤكد عليها بشكل نهائي في باب ( الدلالة اللفظية و الصناعية و المعنوية ) بقوله : "...إنما جعلت الألفاظ أدلة على إثبات معانيها، لا على سلبها ونجد له عديدا من الأمثلة التي يقوم بتحليلها وهو يراعي فيها مبدأ تبعية البنية للوظيفة ، منها:

- **رصد تغيرات البنى وفقا لتغيرات المعاني** : يذكرها ابن جني في باب (قوة اللفظ لقوة المعنى)،حيث يذهب إلى أن كل حركة في بنية اللغة إنما هي انعكاس لما في نفس المتكلم من معنى ، يقول : "إذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به ، وكذلك إن انحرفت به عن سمته و هديته ، كان ذلك دليلا على حادث متجدد له "[2]، فكل تغير يصيب مبنى اللغة من زيادة أو حذف أو انزياح أو غيرها مما يطرأ على تراكيب اللغة مرتبط بشكل مباشر بالمعاني المراد تبليغها ، تحقيقا لمقولة زيادة المبنى تعني بالضرورة زيادة المعنى، ثم يستدل بمجموعة من الأمثلة في اللغة العربية منها قوله في الزيادة : "من ذلك قولهم : رجل جميل ، ووضيء، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا: وضاء ، وجمال ، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه "[3].
- **التكرار:** يؤكد ابن جني مرة أخرى على صلة المباني (الألفاظ )بوظائفها (معانيها ) من خلال الانتباه لفكرة التكرار في البنى و الصيغ وذلك في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني ) ، يوضح هذه الفكرة بقوله : "...وذلك انك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو: الزعزعة و القلقلة، و الصلصلة و القعقعة و الصعصعة و الجرجرة و القرقرة ،...فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر "[4]،يلاحظ مدى التوافق و التناسب الموجود بين هذه الألفاظ و معانيها وهذا من علامات ترابط بنى الكلام بمدلولاتها ، فنجده في موضع آخر يقول : " فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به،وهو تكرير الفعل،كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر وحقحق دليلا على تقطيعه . ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام لكراهية التضعيف في أول الكلمة و الإشفاق على الحرف المضعف أن يجيء في آخرها ، وهو مكان الحذف وموضع الإعلال وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل، فهذا أيضا من مساوقة الصيغة للمعاني"[5].

[1] ابن جني ،الخصائص ، 400/1
[2] نفسه ، 291/3
[3] نفسه ، 288/3
[4] ابن جني ،الخصائص، 164/2
[5] نفسه،167/2

## المبحث الثالث: السياق محدد معنوي لوجهة الكلام

### أولا- مكانة السياق في التوجه الوظيفي:

عرف أغلب اللغويين أهمية السياق و تأثيره في كشف و معرفة ملابسات الخطاب ، وما يمكن أن يحيط به من ظروف و أحوال ، فالكلمة يتغير معناها بتغير العلاقات التي تجمعها بمثيلاتها مما يمنحها سياقا مختلفا و بالتالي معنى مغايرا ، والأمر ذاته في المستوى الأعلى وهو مستوى الخطاب ، فما يحمله من فحوى و ما يشير إليه من مقصدية مرتبط بشكل مباشر مع السياق الذي يرد فيه .

ونظرا لهذه الأهمية التي اكتسبها السياق ، عكفت مجموعة من الدارسين اللغويين على الاشتغال عليه ، وعلى رأسها المدرسة الانجليزية ، بحيث سار هاليداي على خطى أستاذه فيرث في رؤيته للسياق و مدى ارتباطه بالنتاج اللغوي بما له من أثر في توجيه دلالة الألفاظ و معانيها ، يقول (**هاليداي**) : "إن السياق جزء من التخطيط الكلي ،...ليس هناك انفصال بين ماذا نقول كيف نقول ، اللغة إنما تكون لغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال ، وكل ما فيها مرتبط بالسياق"[1]، فاللغة هي الاستعمال ، وهي إحدى المباديء التي قامت عليها النظرية السياقية والتي حاولت بناء نحو نظامي بالاعتماد على الأسس الدلالية الوظيفية منطلقة من فكرة أن كتابة نحو لغة ما هو في الحقيقة بحث عن الوسائل و الطرق التي تؤدي بها اللغة تلك المعاني ؛ والأداء لا يتم إلا في سياق ومقام معين، وهنا تجدر الإشارة إلى أن السياق مختلف عن المقام كما يقول السامرائي : "فالسياق هو مجرى الكلام و تسلسله واتصال بعضه ببعض، و أما المقام فهو الحالة التي يقال فيها الكلام و ذلك كأن يكون المقام مقام حزن و بكاء أو مقام فرح وسرور أو مقام تكريم أو مقام ذم أوغير ذلك "[2]، وهذا لا ينفي تداخلهما لأن الكلام يجري عادة ضمن مقام بعينه ، وفي هذا تركيز على الجانب الاجتماعي للغة وما يمكن أن تفرزه من احتمالات في استعمال اللغة وفقا لمقاماتها وهي أهم النتائج التي توصلت إليها النظرية السياقية .

توالت الدراسات بعدها و تطورت حتى أضحى السياق مكونا قائما بذاته ضمن النماذج التي قدمها الاتجاه الوظيفي في الدراسات اللسانية ، منها نموذج مستعملي اللغات الذي يعد المكون السياقي ( contextual component) هو همزة الوصل بين المكونات الأخرى : المفهومي و النحوي و الإصاتي ، فهو "محط رصد السياق العام و السياق المقامي و السياق المقالي التي تواكب إنتاج الخطاب ويقوم بدور الربط "[3]، ومع تطور النموذج إلى ما يعرف ب : نموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسع عل يد أحمد المتوكل الذي هدف من خلاله إلى رصد مختلف العمليات المكونة

[1] الاتجاه الوظيفي و دوره في تحليل اللغة ، ص 84

[2] فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية و المعنى، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط 1، 2000،ص 63

[3] محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي، ص141

للحدث التواصلي بشكل مباشر أو غير مباشر بواسطة اللغة أو بغيرها من وسائل التعبير ، عرف المكون السياقي ارتباطات أخرى اكتسبها من علاقته بالمكونات المحللة في حالة التلقي ، وبالتالي أصبح السياق عنصرا فعالا في مرحلتي إنتاج الخطاب وفهمه بالنسبة لكل من المتكلم و المتلقي ، فهو بمثابة البلازما التي تسبح فيها مختلف المكونات المؤلفة للحدث التواصلي .

**ثانيا-السياق عند علماء العربية القدامى:**

كان لدى القدماء إدراك لماهية السياق و أهميته، حتى أنه وظف بشكل واسع في مختلف العلوم التي التفت حول النص القرءاني واتخذت من اللغة موضوعا لها كالتفسير و الفقه و الأصول و البلاغة و النحو ، بحيث أخذ كل منها بطرف في تحليله و بيان ملابسات الكلام ، وفيما يلي بيان لكل منها:

أ- **علم التفسير و الأصول** : تفطن علماء التفسير و الأصول إلى ضرورة معرفة وقائع النص وعدم عزله عن السياق الخارجي الذي ورد فيه ، لأنها تسهم بشكل أو آخر في الوقوف على مقاصده و أغراضه وفهمه بشكل يسعف في بناء أحكام شرعية تتناسب و المعاملات الموضوعة لها وهو ما يوضحه (الواحدي ت 468هـ) في بيان أهمية تتبع أسباب النزول ، يقول : "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها ، وبيان سبب نزولها "[1]، وفي هذا اعتراف واضح بأهمية المقام وما يمكن أن يمنحه من مفاتيح تسمح بالولوج إلى باطن النص وعدم الاكتفاء بظاهره لأن المقاصد وطرق التعبير مرتبطة بالعديد من العوامل الخارجية التي يتضمنها السياق ، يقول (الزركشي ت 794هـ) في بيان مدى ارتباط النص الديني بواقعه : "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني كلمات الكتاب العزيز ، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا،ومنها أن يكون اللفظ عاما ويقوم الدليل على التخصيص فإن محل السبب لا يجوز إخراجه بالإجماع والاجتهاد"[2].

لعل أبرز من أخذ من الأصوليين بأهمية السياق و المقام في منهج تحليله بشكل كبير هو (**الغزالي** ت 505هـ) في كتابه (المستصفى) ، فقد أقر و أصر على ما أسماه بالأحوال المشاهدة وغيرها من العناصر المحيطة بالنص وما يمكن أن يمنحه تفاعلها و إياه في عملية استيعاب النص و فهمه ، يقول في هذا الصدد : " ليس طريق معرفة التوقيف في الأحكام مجرد النص، بل النص و العموم والفحوى ومفهوم القول وقرائن الأحوال و شواهد الأصول و أنواع الأدلة "[3]، فالنص وحده لا يكفي حسب الغزالي للوصول إلى استنباط الأحكام بل لابد من الالتفات إلى بقية العناصر بوصفها تعين المتلقي في محاولته للكشف عن المعاني الكامنة داخل النص فهي بمثابة "دلائل من خارج النص القرءاني، تلقي أضواء كاشفة لمعانيه في كثير

[1] النيسبوري،أسباب النزول، تح: السيد الجميلي،دار الكتاب العربي،ط3،1990،ص3
[2] الزركشي،البرهان في علوم القرءان، تح: أحمد أبو الفضل ابراهيم،المكتبة العصرية، صيدا،22/1
[3] الغزالي ، المستصفى في علوم الأصول ،تح: إبراهيم رمضان،دار الأرقم ، بيروت،1994،363/2

من الأحيان حتى أنها عدت من العلوم التي يجب أن يحيط بها المفسر قبل أن يشرع في بيان معاني كتاب الله"[1].

**ب-البلاغة:** قام البلاغيون بالربط بين صيغ الكلام وسياقه وتوصلوا في تحليلهم إلى أن أصناف الكلام ترد وفق مقتضيات أحوالها حتى قالوا أن لكل مقام مقالا ولكل كلمة مع صاحبها مقام، وقد أثبتت الدراسات ذلك حتى ذهب أحد المحدثين إلى القول بأن البلاغيين القدامى (وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط ، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على السواء)[2]، وفي هذا اختبار للنظرية السياقية ومدى اتصال المقام فعلا بالخطاب الذي ينشأ فيه ، واعتراف في الوقت ذاته بالقيمة المعرفية لجهود القدماء في مسألة السياق التي أثارها وانتبه إليها أول مرة (ابن المقفع) أثناء إجابته عن سؤال في معنى البلاغة فأجاب قائلا : "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة،ومنها ما يكون في الاحتجاج ...فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى و الإيجاز هو البلاغة.

فأما الخطب بين السماطين، وفي إصلاح ذات البين فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال،وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته، فقيل له:فإن مل السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف؟قال:إذا أعطيت كل مقام حقه و قمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام و أرضيت من يعرف حقوق الكلام،فلا تهتم لما فاتك من رضى الحاسد و العدو"[3] ، فابن المقفع يربط مستوى بلاغة المرء بحسن التوفيق بين مقاله و المقام الذي يقف فيه والذي أشار إليه بالموقف.

وتوالت الدراسات بعدها على أيد مجموعة من اللغويين في الاشتغال على مدى التناسب القائم بين الكلام و سياقه ، من أمثال الجاحظ و عبد القاهر الجرجاني و ابن طبطبا وغيرهم حتى وصلت إلى السكاكي الذي فصل فيها القول من خلال الخوض في تمايز المقامات ومدى تأثيره في عملية إنشاء الخطاب ، يقول : "فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية،...فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام ، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن و القبول ،وانحطاطه في ذلك حسب مصادفة الكلام لما يليق به ، وهو الذي نسميه: مقتضى الحال"[4]، فالسكاكي يذهب إلى أن مقتضى الحال هو معيار لقياس مكانة الكلام وتموضعه في سلم الحسن أو الانحطاط وفقا لما يؤديه ضمن مقامه و الذي هو متغير من حالة لأخرى .

---

[1] كاصد ياسر الزيدي،الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي و يساق الحال، مجلة آداب الرافدين،ع 26،1994،ص 129

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 372

[3] ابن المقفع، نقلا عن: البيان و التبيين،114/1

[4] السكاكي،مفتاح العلوم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة،1937، ص 168

**جـ - النحاة:** حلل النحاة الجمل و التراكيب بالعودة إلى السياق ، بحيث أخذ بعدا مركزيا في تفسير العديد من الظواهر النحوية المصوغة ضمن التراكيب اللغوية من قبيل الحذف و الإضمار و التقديم والتأخير وغيرها مما يستلزم استحضار المقام و دلالة السياق الذي وردت فيه حتى يتم فهم الكلام ، وهو ما نجده شائعا في كتب النحويين الأوائل ممن ضربوا لنا أمثلة جمة في التحليل باعتماد عنصر السياق و الإحالة للدلالة الاجتماعية من أجل تحديد القواعد و الأحكام النحوية التي تقرأ في ضوئها سلامة التراكيب ، فنجد سيبويه في الكتاب يحدثنا عن أحوال المتخاطبين ومدى فاعليتهم في التوصل لمعنى الكلام و التعبير ، يقول في ذلك : "إنما ذكر الخليل رحمه الله هذا لتعرف ما يحال منه وما يحسن، فإن النحويين مما يتهاونون بالخلف إذا عرفوا الإعراب، وذلك أن رجلا من أخوانك و معرفتك لو أراد أن يخبرك عن نفيه أو عن غيره بأمر فقال : أنا عبد الله منطلقا، وهو زيد منطلقا كان محالا، لأنه إنما أراد أن يخبرك بالإنطلاق ،ولم يقل هو ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية لأن هو و أنا علامتان للمضمر، وإنما يضمر إذا علم أنك عرفت من يعني .إلا أن رجلا لو كان خلف حائط، أو في موضع تجهله فيه فقلت من أنت؟فقال : أنا عبد الله منطلقا في حاجتك ، كان حسنا"[1]، وفي كلامه أشارة إلى أن الإعراب قد يكون غير كاف للوصول إلى معاني الجمل و التراكيب وأنه في كثير من الأحيان يستغنى عن بعض أجزاء الكلام التي يعوضها السياق وموقف أو مقام الخطاب ، وفي هذا الصدد نجده يذكر في موضع آخر أن الحذف مرتبط بالسياق بحيث لا يتم إلا بوجود دليل أو قرينة في السياق تدل على المحذوف وإلا أدى ذلك إلا اللبس وخلل في الإفادة ، فنجده يسوق في باب ما يضمر في الفعل قولا مفاده :" ...وذلك إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج قاصدا في هيئة الحاج، فقلت: مكة ورب الكعبة، حيث زكنت أنه يريد مكة.كأنك قلت : يريد مكة والله...أو رأيت رجلا يسدد سهما قبل القرطاس فقلت: القرطاس و الله، أي يصيب القرطاس...ولو رأيت ناسا ينظرون الهلال و أنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال و رب الكعبة، أي أبصروا الهلال"[2]، فسيبويه انتبه إلى أهمية السياق وخاصة الاجتماعي منه الذي يمكن معاينته واستثمره في منهجه الذي تبناه في تحليل الكلام فهو "يعول على هذا الضرب من السياق كثيرا وتكثر في الكتاب الإشارة إلى فهم المخاطب و الاستغناء عن بعض العناصر اللغوية في الجملة بناء على السياق الخارجي الذي يجري فيه الكلام ، ويلحظ قاريء الكتاب أن سيبويه في مواضع كثيرة يعنى بوصف الموقف الذي يجري فيه الكلام و استعماله وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب ،وحال المتكلم ، وموضوع الكلام "[3].

**ثالثا-دلالة السياق عند ابن جني من خلال الخصائص:**

[1] سيبويه، الكتاب،تح:عبد السلام هارون،دار الجيل،بيروت ، لبنان،ط1،1991،80/2

[2] نفسه،257/1

[3] ينظر: أسعد خلف العوادي،سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو و الدلالة،دار الحامد،عمان ، ط 1، 2010، ص 15

**أ- دقة المعاني ترتبط بالسياق:**

تجلت فطنة ابن جني لأهمية السياق الخارجي في غير موضع من كتابه الخصائص ، فنجده يشير إلى أن السياق ذو بعد هام في عملية نقل الخبر ، ويورد كلاما ضمن باب ( أن العرب أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها ) عن الأحوال و القرائن المصاحبة لما يعرف بالرواية ، يقول : "وليست كل حكاية تروى لنا ولا كل خبر ينتقل إلينا يشفع به شرح الأحوال التابعة له المقترنة به .نعم ، ولو نقلت إلينا لم نفد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها"[1]، ثم يبين أن الحاضر في الواقعة تكون دقته في فهم محصول الكلام عالية مقارنة بمن نقلت إليه وكان غائبا وفي هذا دليل على ضرورة العناية بالسياق و المقام ونقل أحوال الحاضرين وخاصة في تواتر الخبر، يقول : "فليت شعري إذا شاهد ،...علماء البلدين – وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد لها من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهد وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها ، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه غير متهم الرأي و النحيزة و العقل"[2]، يستفاد من قول ابن جني أن المشاهدة تحقق بما تحمله من إشارات جسدية فهما أعمق للكلام بالنسبة للمتلقي الحاضر ، وهو ما أشار إليه بقوله :( ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها،تضطر إلى معرفته من أغراضها و قصودها: من استخفافها شيئا أو استثقاله و تقبله أو إنكاره و الأنس به أو الاستيحاش منه والرضا به أو التعجب من قائله...وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود بل الحالفة على ما في النفوس "[3]، وهو ما يعين علماء النحو على بناء نماذج تحليلة لغوية دقيقة بعيدة عن الالتباس الذي يمكن أن يحدث بسبب تناقل الرواية دون معرفة مقامها مما يؤدي إلى تضارب في مسائل استعمال الكلام و استنباط القواعد والاحتجاج بشواهد دون ربطها بسياقاتها وقد ضرب لنا مثلا عن عملية الاشتقاق في العربية وكيف كان عنصر المقام حكما فاصلا في فهم اللفظ و ذلك في قوله : "...لو ذهبنا نشتق لقولهم – ع ق ر- من معنى الصوت لبعد الأمر جدا وإنما هو أن رجلا قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ثم نادى و صرخ بأعلى صوته فقال الناس - رفع عقيرته- أي رجله المعقورة "[4]، فالسياق إذن يلعب دورا كبيرا في فك كثير من الغموض الذي يلف اللفظ ، ذلك أنه يبرزه في مستوى استعماله وبالتالي تحديد المعنى المقصود وإلغاء بقية الاحتمالات و التأويلات التي يمكن أن يشغلها لو نقل دون مقامه، وهذا تأكيد على ما يذهب إليه المحدثون من أن "العلاقة بين المقال و

[1] ابن جني، الخصائص، 326/1
[2] نفسه ، 1/ 329
[3] السابق،325/1-326
[4] ابن جني،الخصائص ، 1/ 328

المقام شفرة كاشفة ومفسرة"[1]، ويبين ابن جني هذه المقولة من خلال تطبيقها وذلك بضرب مثال قول الأعرابية وتحليله في ضوء نظرية السياق ، يقول : "ألا ترى إلى قوله:

تقول و صكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس-من غير أن يذكر صك الوجه – لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال فقال: -وصكت وجهها- علم بذلك قوة إنكارها و تعاظم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف و لعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل – ليس المخبر كالمعاين- ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله –وصكت وجهها- لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها "[2]، فهو بهكذا مثال يؤكد على الأثر الذي يحدثه السياق في توجيه الدلالة إلى المعنى الدقيق الذي هو في النهاية تفاعل بين عنصري المقال و المقام معا مما يساعد في الوصول إلى المعاني وهي هنا شدة تعجب وقوة إنكار الأعرابية لحال زوجها .

نجده في موضع آخر يؤكد على الفكرة نفسها ولكن هذه المرة مع مثال وشاهد يغيب فيه وصف الحال ، يقول : " كذلك قول الآخر:

قلنا لها قفي لنا قالت قاف

لو نقل إلينا هذا الشاعر شيئا آخر من جملة الحال فقال مع قوله : قالت قاف: و أمسكت بزمام بعيرها أو عاجته علينا ، لكان أبين لما كانوا عليه و أدل على أنها أرادت: وقفت أو توقفت دون أن يظن أنها أرادت : قفي لنا ! أي : يقول لي: قفي لنا متعجبة منه.وهو إذ شاهدها وقد وقفت علم أن قولها: قاف إجابة له لا رد لقوله و تعجب منه في قوله : قفي لنا"[3]، في كلامه تأكيد على أهمية السياق الخارجي في الكشف عن المعاني ، إذ أن غيابه قد يؤدي إلى نوع من الخطأ في تفسير معاني التراكيب و العبارات.

ويقوم ابن جني في الباب ذاته بإعادة تصنيف للخطاب وفقا لعنصر السياق أو ما سماه بالأحوال الشاهدة فتراه يقول : (فالحمالون و الحماميون و الساسة و الوقادون و من يليهم ويعتد منهم – يستوضحون من مشاهدة الأحوال ما لا يحصله أبو عمرو من شعر الفرزدق إذا أخبر عنه ولم يحضره ينشده.أو لا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه و ينعم تصويره له في نفسه، استعطفه ليقبل عليه فيقول له: يا فلان أين أنت؟ أرني وجهك أقبل علي أحدثك: أما أنت حاضر ياهناه.فإذا أقبل عليه و أصغى إليه اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك. فلو كان استماع الأذن

[1] صلاح كاظم، السيمياء العربية بحث في أنظمة الإشارات عند العرب،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط1،2008، ص 102

[2] ابن جني، الخصائص، 326/1

[3] نفسه، 327/1

مغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه و الإصغاء إليه...وقال لي بعض مشايخنا – رحمه الله- أنا لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة)

فالكلام عند ابن جني وفقا للأحوال المصاحبة للأداء هي ثلاث أقسام:

- الأول: ذلك الذي نشاهد فيه ظروف الأداء و نستوضح فيه من مشاهدة الأحوال ما لا يمكن تحصيله من أكابر العلماء إذا غيبت عنهم هذه الظروف.
- الثاني: ذلك الكلام المشفوع برواية الحال و هذا يمثل منزلة وسطى بين النوع الأول و النوع الثالث.
- الثالث: وهو ذلك الكلام المنقول إلينا مقطوعا عن سياقه و مجردا عن ذكر أحواله و أسبابه وهذا النوع هو منطقة الخطأ و موطن الزلل الذي يقع فيه الباحث اللغوي عند إرادة الكشف عن المعنى معتمدا على عنصر المقال وحده.

وكما لاحظنا فقد ضرب ابن جني فيما سبق لكل نمط ونوع مثالا للتوضيح و الإبانة.

**ب- القيمة التعويضية للسياق :**

يصرح ابن جني بأن السياق يمكن أن يقوم بدور تعويضي في بنية الجملة بعد حذف أحد عناصرها كالفعل مثلا ، ويستدل على ذلك بأمثلة مما جاء به اللسان العربي ، يقول "من ذلك أن ترى رجلا قد سدد سهما نحو الغرض ثم أرسله فتسمع صوتا فتقول: القرطاس و الله ؛أي أصاب القرطاس .ف-أصاب – الآن في حكم الملفوظ به البتة ، وإن لم يوجد في اللفظ، غير أن دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به .وكذلك قولهم لرجل مهو بسيف في يده: زيدا ، أي اضرب زيدا.فصارت شهادة الحال بالفعل بدلا من اللفظ به.وكذلك قولهم للقادم من سفر : خير مقدم ؛أي قدمت خير مقدم.وقولك للقادم من حجه: مبرور مأجور؛ أي أنت مبرور مأجور.و مبرورا مأجورا؛أي قدمت مبرورا مأجورا "[1]، فدلالة الحال تقوم مقام الفعل في صيغة التركيب ولهذا جاز حذفه دون إخلال بالمعنى ،وهو أحد وجوه الإيجاز في العربية ذلك أن "المحذوف للدلالة عليه بمنزلة الملفوظ به البتة، فاعرفه واشدد يدك به"[2].

يمكن القول بأن ابن جني يؤكد في خصائصه عبر حديثه عن مسألة السياق أن المعاني لا يمكن أن تصل كاملة بالاقتصار فقط على الجانب التركيبي منعزلا، بل لابد من التبصر فيها و تحليلها بوضعها في سياقاتها و خاصة الاجتماعية منها ، مما يسهم في تجنب الوقوع في اللبس و بالتالي توجيه الذهن إلى المعنى و الغرض المقصود من الكلام .

[1] ابن جني، الخصائص، 370/1
[2] نفسه،374/1

يصل البحث في نهاية رحلته إلى خلاصة عرفته بالخلفيات المعرفية ،و المنطلقات التأسيسية والمباديء التي تقوم عليها اللسانيات الوظيفية ؛بحيث تعتمد في تحليلها للظاهرة اللغوية على الجانب التواصلي؛أي أنها تحاول تفسير النشاط اللغوي انطلاقا من وظيفته وهي التواصل ، مما يستدعي وجود علاقة بين بنية الكلام ووظيفته التي يؤديها، لأنها تتنوع حسب الأغراض و المعاني و المقاصد المراد تبليغها ضمن مواقف مختلفة.

تمتد هذه الفكرة بجذورها في التراث العربي بشكل مواز ؛إذ تتجلى مباديء اللسانيات الوظيفية فيما أنجز من دراسات لغوية على يد علماء تركوا مؤلفات مازالت تحتاج إلى بحث و تنقيب حتى تأخذ مكانتها العلمية على خريطة الدرس اللساني.

لعل كتاب (الخصائص) لابن جني من بين المؤلفات التي تمثلت بعضا من مباديء الوظيفية ومفاهيمها؛بحيث تظهر تارة بشكل ضمني و تارة أخرى تتجلى بوضوح في تحليله و دراسته لنظام العربية،وفيما يلي أهم النتائج المتوصل إليها:

1- يختلف تحديد موضوع النظرية اللسانية بين علماء اللغة مما دفع إلى تنوع الإجراءات التحليلية و انقسام تيارات البحث اللساني إلى :

أ- شكلية: اكتفت بوصف نظام اللغة وتحديد شبكة علاقاته الداخلية دون البحث عن المعطيات الخارجية المساهمة في تكوينه واشتغاله.

ب-وظيفية: سعت إلى تفسير الحدث التواصلي بعده نظام لغوي قائم بين الأفراد بهدف التواصل والتبليغ، مستفيدة في ذلك من انفتاحها على التداولية ، وتوسع دراستها لتشمل كلا من منشيء الخطاب ومتلقيه و القناة الواصلة بينهما و السياق الذي يتم فيه الحدث.

2- تحديد معالم اللسانيات الوظيفية و أهم مبادئها وإجراءات مقاربتها في التحليل اللغوي ممثلة في كون الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل ، ومنه لابد من دراسة بنية اللغة و خصائصها في ظل استعمالها ، مما يجعل السمات الشكلية لبنية الكلام و خصائصه خاضعة لوظيفته التبليغية ، وهو ما يقع تحت مبدأ تبعية البنية للوظيفة.

3- توافر المباديء الوظيفية في لب النحو العربي ؛إذ أنه بني على استقراء الواقع اللساني ، مما يجعله يتجاوز مجرد العلم بقوانين الكلام الشكلية و سننه إلى ربط الظواهر اللغوية بواقعها وسياق استعمالها(السماع بالدرجة الأولى) ، وهو ما يلاحظ في الكتاب لسيبويه ومن نهج دربه من النحاة من أمثال ابن جني مكونة بذلك نحوا علميا ذا أبعاد وظيفية.

4- تعيين ملامح اللسانيات الوظيفية في فكر ابن جني من خلال الخصائص و التي تتجلى في :

أ- إدراكه للقيمة التعبيرية للصوت و خصائصه من خلال ملاحظته لتغير الحروف في بنية الكلمة مما يؤدي إلى تغير معناها، وهو ما اكتشفته حلقة براغ حديثا ضمن نظرية الفونيم و نظرية السمات .

ب-تحديده للظواهر السياقية من نبر و تنغيم ووقف في نظام اللغة العربية ، وإن لم يوردها بمصطلحاتها،إلا أنه انتبه لها وإلى مدى تأثيرها في بنية الكلام باعتبارها فونيمات فوق تركيبية تؤدي أغراض ومعان إنشائية كالاستفهام و التعجب و غيرها مما يفرضه سياق الخطاب .

ت-دراسته للتغيرات الصوتية ؛ مماثلة و مخالفة، إعلال،إبدال، وتنوعاتها بوصفها ظواهر لغوية يوظفها العربي في كلامه كنوع من الاقتصاد اللغوي.

ث-تأكيده على الطبيعة الصوتية للغة و أنها ذات طابع اجتماعي ، وظيفتها الأساسية التواصل وهو أبرز مباديء الاتجاه الوظيفي.

ج- تطبيقه لمبدأ تبعية البنية للوظيفة في التحليل اللغوي و الذي يتجلى وفقه في الإعراب و أسبقية المعاني لألفاظها ورصد تغيرات بنية الجمل انطلاقا من المعاني .

ح- الاهتمام بالسياق وعده قرينة معنوية لابد من مراعتها أثناء رواية و تحليل الكلام لأنه يمكن أن يحمل قيمة تعويضية في بنية الكلام .

5- وفي الأخير لابد من الإشارة إلى أن التراث اللغوي العربي يحمل في جنباته الكثير من مباديء التحليل الوظيفي التي لابد من كشفها وإخراجها إلى الوجود بحلة حديثة .

هذا ما استطاع البحث الوصول إليه بحمد الله و توفيقه، فإن كان صوابا فذلك من فضل الله، وإن جانبه فهو من الشيطان، وآخر الدعوى أن الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على سيد الثقلين محمد وعلى آله وصحبه.

## الملحق الأول: ترجمة لابن جني

تعد تركة ابن جني العلمية ثروة معرفية بدون شك، فقد ، ذلك أنه ألف مجموعة من الكتب اللغوية، والتي هي بمثابة منبع يروي به الباحث اللغوي في قضايا التراث عطشه المعرفي، مما دفع بعلماء التأريخ والسير و الأعلام إلى إثبات ترجمة له في مختلف الكتب ، بوصفه عالما فذا وضع بصمة ذات أثر راسخ في علوم العربية جعلته ذائع الصيت قديما و حديثا في أوساط البحث اللغوي ، وفيما يأتي ترجمة لهذا العالم الجليل صاحب كتاب (الخصائص) مدونة هذه الدراسة ، فيها ذكر مولده وصفاته وأولاده، و ذكر لشيوخه و بعض تلامذته وأهم مؤلفاته .

### أولا- نسبه ومولده وصفاته و أولاده[1] :

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، الشهير بابن جني ، (بكسر الجيم و تشديد النون و بعدها ياء مشددة )، عالم نحوي ذو شأن كبير،وصاحب تصانيف مشهورة و مفيدة ،كان أبوه (جني) مملوكا روميا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي ، ولذلك ينتسب ابن جني أزديا بالولاء ولا يعرف عن أبيه قبل مجيئه الموصل شيء ولا عن نوع عمله عند ليمان بن فهد.

ويرى ابن جني أن الله عوضه عن نسبه علما أليه ينسب، وبه يشرف، فقال في جملة أبيات:

فإن أصبح بلا نسب فعلمي في الورى نسبي

على أني أؤول إلى قوم سادة نجب

قياصرة إذا نطقوا أرم الدهر ذو الخطب

أولاك دعا النبي لهم كفى شرفا دعاء نبي

وكان ابن جني يذكر أن اسم أبيه (جني )بالرومية يعني (فاضل) بالعربية، وهذا لأن كلمة جني تعني في العربية:فاضل، كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري، مخلص.

ولد بالموصل،وفيها نشأ وتلقى مباديء التعليم،أما عن سنة ولادته، فقد تضاربت الآراء حولها،فبعضهم قال : قبل الثلاثين و الثلاثمائة[1]،وبعضهم قال قبل

---

[1] ينظر ترجمة ابن جني في :

ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، تح: إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،لبنان،ط4،1933،1585/1

السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر،ط2،1979،132/2

ابن الأنباري،نزهة الألباء في طبقات الأدباء،تح:إبراهيم السامرائي،مكتبة المنار،الزرقاء، الأردن،ط3،1985،ص 244

ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تح:إحسان عبد القدوس،دار صادر،بيروت، لبنان،دط،246/3

رحاب خضر عكاوي،موسوعة عباقرة الإسلام في النحو و اللغة و الفقه،دار الفكر العربي،بيروت،لبنان،ط1،1993،96/3

الثلاثمائة[2]،بينما لم يذكرها آخرون أصلا[3]،إلا أن هناك من رجح أنها بين إحدى وعشرين و ثلاثمائة،واثنين وعشرين وثلاثمائة[4]،ذلك باعتماد وفاة ابن جني سنة اثنين و تسعين و ثلاثمائة وكان حينها بعمر سبعين سنة.

يذكر أن ابن جني كان أعورا، وفي ذلك يقول في عتب صديق له[5]

صدودك عني-ولا ذنب لي- دليل عن نية فاسدة

فقد –وحياتك- مما بكيت خشيت على عيني الواحدة

ولولا مخافة ألا أراك لما كان في تركها فائدة

وكان له من الأولاد علي و عال و علاء، وكلهم أدباء فضلاء قد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيحي الضبط وحسني الخط كما قال ياقوت في معجمه[6]

**ثانيا- شيـــوخه:**

احتك ابن جني بعلماء الموصل بحكم نشأته بها ، وتلقى مباديء العلوم على يد شيوخها ، فأخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش[7]، وقرأ الأدب على يد أبي علي الفارسي (ت377هـ)،كما أخذ عن كثير من رواة الأدب و اللغة، منهم أبو بكر بن محمد بن حسن المعروف بابن مقسم وكان من القراء ، يروي لثعلب ( ت 291هـ)،ويروي عن أبي الفرج الأصفهاني (ت356هـ).

كان يروي عن أبي بكر محمد ابن هارون الروياني عن أبي حاتم السجستاني ( ت 250 /255هـ)، وممن يروي عنه أيضا محمد بن سلمة عن أبي العباس المبرد ( ت 285هـ)، وكذا عبد الله الشجري من الأعراب الفصحاء الذين لم تفسد لغتهم [8].

وفي رواية يذكرها ابن خلكان، أن ابن جني فارق أبا علي الفارسي وقعد للإقراء بالموصل فاجتاز بها شيخه أبوعلي ، فرآه في حلقته و الناس حوله يشتغلون عليه فقال له : (زببت و أنت حصرم ) فترك حلقته و تبعه ولازمه حتى تمهر[9]،إلا أن صاحب معجم الأدباء يذكر أن ابن جني صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة،

---

[1] إبن النديم ، الفهرست، تح: يوسف علي طويل،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،ط2،2002،ص138،ياقوت الحموي،معجم الأدباء،1585/4

[2] كارل بروكلمان،تاريخ الأدب العربي،تر:عبد الحليم النجار،دار المعارف،القاهرة، مصر،ط4،244/2

[3] ابن الأنباري،نزهة الألباء،ص244

[4] رحاب خضر عكاوي،موسوعة عباقرة الإسلام،96/3

[5] ينظر:ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1586/3

[6] نفسه،1589/4

[7] هو أحمد بن محمد أبو العباس الموصلي النحوي،فقيه فاضل عارف بالمذهب الشافعي، أقام ببغداد،ينظر:السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة،389/3

[8] رحاب خضر عكاوي،موسوعة عباقرة الإسلام ، 95/3

[9] ابن خلكان، وفيات الأعيان،246/3

وكان السبب في صحبته له أن أبا علي اجتاز الموصل فمر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يقريء النحو وهو شاب ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها ، فقال له أبو علي : ( زببت قبل أن تحصرم )فسأل عنه فقيل له: هذا أبو علي الفارسي فلزمه من يومئذ واعتنى بالتصريف ، ويقال أن المسألة التي سأل فيها أبو علي ابن جني هي مسألة قلب الواو ألفا في مثل :قام و قال [1].

ومما أثبته ياقوت الحموي في معجمه أن ابن جني كان يرتحل طلبا للعلم فيقول (...وما صح عنه –أيده الله –من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي – رحمهم الله – وقرأته عليهم بالعراق و الموصل و الشام وغير هذه البلاد التي أتيتها و أقمت بها ...)[2].

هذا وقد جمعت ابن جني علاقة خاصة بأبي الطيب المتنبي ، فقد صحبه زمانا طويلا ، قرأ عليه ديوانه و شرحه و نبه على معانيه و إعرابه، كما كان المتنبي يحترم ابن جني و يجله و يقول فيه : (هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس )[3].

وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو و التصريف في شعره يقول: (سلوا صاحبنا أبا الفتح ).

**ثالثا- تلامذته:**

لما مات أبو علي الفارسي خلفه ابن جني وتصدر مجلسه ببغداد ودرس فيها النحو، فاجتمع الناس حوله لينتفعوا بعلمه و يتخرجوا على يديه، فخلف علماء أجلاء ومن أشهرهم نذكر:

أبو الحسن السمسمي (ت 415 هـ)

عبد السلام البصري (ت 429هـ)

أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني (ت 424 هـ)

**رابعا- ابن جني النحوي الصرفي:**

كان ابن جني من أحدق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو و التصريف ، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو[4]،و السبب في ذلك ما تم إيراده في قصة التقائه بشيخه أبي علي الفارسي حين سأله عن مسألة قلب الواو ألفا، وهي مسألة في التصريف و تقصير أين جني أدى به بعد ذلك إلى اعتنائه بالتصريف أحسن اعتناء، حتى نبغ فيه ولم يصنف أحد في التصريف ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاما منه [5].

[1] ابن الانباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء،ص 245
[2] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1599/4
[3] ابن الانباري نزهة الألباء في طبقات الأدباء،ص 246
[4] السيوطي، بغية الوعاة،132/2
[5] ينظر: ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ،ص 244

يذكر مؤرخوا تاريخ النحو العربي أن (ابن جني) يحسب على المذهب البغدادي ، إلا أن كتاباته تتمتع بالنزعة البصرية على نحو مذهب شيخه أبي علي الفارسي، وهو ما نجده مبثوثا في كتاباته ، إذ يؤلف على أصول و مباحث المدرسة البصرية و يدافع عنها، مع ذلك فإن شغف العلم لم يحده عن طلب العلم و أخذه عن مختلف الشيوخ بغض النظر عن مذهبهم النحوي بصريا كان أو غير ذلك ،ولهذا نجده كثير النقل عن ثعلب و الكسائي و أمثالهما[1]

**خامسا- ابن جني الأديب الشاعر:**

لم يكن ابن جني إماما في النحو و الصرف فقط ، بل كان من أئمة الأدب أيضا ، له أشعار حسنة[2]،وقد ذكره الباخرزي في دمية القصر فقال :( ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله.ولا سما في علم الإعراب، ومن تأمل مصنفاته وقف على بعض صفاته ، فورب إنه كشف الغطاء عن شعره، وما كنت أعلم انه ينظم القريض أو يسيغ ذلك الجريض حتى قرأت له مرثية المتنبي )[3] ، والتي يقول فيها[4]:

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد ري دوحة الكتب

مازلت تصحب في الجلى إذا انشعبت قلبا جميعا وعزما غير منشعب

وقد حلبت لعمري الدهر أشطره تمطو بهمة لا وان و لا نصب

**سادسا- آثاره ومؤلفاته**

أغنى ابن جني البحث في اللغة العربية بما تركه من مؤلفات تطرق فيها إلى شتى مباحث اللغة في عصره و زمانه ليسهم بذلك في وضع لبنة تضاف إلى صرح التراث اللغوي في الحضارة الإسلامية ، وتبقى مصنفاته شاهدا حيا على ما عرفه المسلمون من نضج في التفكير اللغوي ذلك أن تركته (تبهر الأفكار ،فإنها مع كثرتها غاية في الإتقان)[5]، فقد تنوعت وشملت اللغة وأصول النحو وعلم التصريف، الشعر و القوافي ، الفقه و القراءات ، وقد ذكر بعضها ابن جني في إجازة حررها لتلميذه أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن ناصر (ت 384)، جاء في أولها :"بسم الله الرحمن الرحيم :وقد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر- أدام الله عزه –أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحمد

[1] ينظر: محمد الطنطاوي،نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،دار المعارف،القاهرة، مصر،ط2،ص 116،121

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان،246/3

[3] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1587/4

[4] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر العربي، القاهرة،1982،338/2

[5] ينظر:محمد طنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،ص 202

عبد السلام بن الحسين البصري-أيد الله عزه –عنده منها..."[1] وذكر بعدها الكتب التالية[2]:

- التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السكري .
- سر الصناعة.
- تفسير تصريف المازني.
- شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها.
- شرح المقصور و الممدود عن ابن السكيت .
- تعاقب العربية.
- تفسير ديوان المتنبي الكبير.
- تفسير معاني ديوان المتنبي.
- اللمع في العربية.
- مختصر التصريف المشهور بالتصريف الملوكي.
- مختصر العروض و القوافي.
- الألفاظ المهموزة.
- المقتضب في اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي.
- تفسير المذكر و المؤنث ليعقوب (ذكر أنه لم يتممه).
- تأييد تذكرة أبي علي.
- المحاسن في العربية (ذكر أنه فقد منه ).
- النوادر الممتعة في العربية (ذكر أنه فقد منه ).
- الخاطريات.
- هذا وقد ذكر ياقوت الحموي أن لابن جني كتبا لم تذكر في الإجازة منها:
- المحتسب في شرح الشواذ.
- تفسير أرجوزة أبي نواس.
- تفسير العلويات (أربع قصائد للشريف الرضي).
- البشرى و الظفر ( صنعة لعضد الدولة).
- رسالة في مد الأصوات و مقادير المدات (كتبها لأبي إسحاق أبراهيم بن أحمد الطبري).
- المنصف.
- مقدمات أبواب التصريف.
- المغرب في شرح القوافي.
- الفصل بين الكلام الخاص و الكلام العام .
- الوقف و الابتداء.
- الفرق.
- المعاني المجردة.
- الفائق.

[1] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 4/1597-1600

[2] هذه الكتب مرتبة كما ذكرها ابن جني في إجازته، وكما ذكرها ياقوت في معجمه.

- الخطيب.
- مختار الأراجيز.
- ذي القد في النحو.
- شرح الفصيح.
- شرح الكافي في القوافي.
- وغيرها مما ألفه ابن جني من الكتب ،للأسف لم يصل إلينا منها إلا القليل.

**سابعا-وفاته:**

توفي أبو الفتح عثمان ابن جني يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنين و تسعين و ثلاثمائة للهجرة (392هـ)ببغداد ، وفيها دفن رحمه الله تعالى.

## الملحق الثاني: كتاب الخصائص لابن جني:

بحث ابن جني عن الخصائص التي يتميز بها النظام العام للغة العربية ،متمثلا بعضا من أراء سابقيه وعلى رأسهم شيخه ؛أبو علي الفارسي ، و القائمة أساسا على دراسة اللغة وفق منطلق بنيوي وظيفي ، فافتتح كتابه بالحديث عن موضوعات لغوية عامة، كالتفريق بين القول و الكلام ، و الفصل في معنى النحو والإعراب و البناء، ليمر بنشأة اللغة ويذكر الآراء الثلاث التي قدمت في تفسير هذه المسألة وهي : الوحي ، والاصطلاح، و الأصل الطبيعي، إلا أنه لم يولها كبير اهتمام نظرا لعدم تغييرها أو تأثيرها في القوانين و القواعد التي تحكم النظام اللغوي ، ويصل إلى تبيان الهدف و الغاية من كتابه ، وهو وضع أصول للنحو، على غرار أصول الفقه ، و يتطرق بعدها إلى الخوض و الغوص في نظام اللغة العربية و يعمل على تحليله وفك أسراره وفق مستويات عدة من خلال (162) بابا ، تمكن بواسطتها من استنباط القواعد و القوانين التي يخضع لها النظام اللغوي العربي ، فجاء كتابه مميزا بعدة سمات أبرزها :

- غياب الترتيب المنطقي الذي يمكن أن تخضع له أبواب الكتاب، وهي سمة الكتابة و التدوين والتأليف في تلك الحقبة الزمنية.
- بناء المادة العلمية وهندستها وفق منهج يتسم بكثرة التعليل و التحليل مع دقة الملاحظة .
- تنوع مسائل وقضايا الكتاب ، لأن ابن جني بصدد البحث عن خصائص اللغة العربية مما استدعاه التطرق إلى جوانبها الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية، وهو ما خلق تضاربا في تصنيف مادته وعدم قدرة إلحاق باب ما بمستوى لغوي بعينه وفقا لما تقره اللسانيات من مستويات التحليل اللغوي ،إذ يمكن للباب أن يضم مسائل تنتمي إلى مستويات أخرى، بالتالي يمكن القول بأنه موسوعة لغوية تناولت موضوعات شتى منها : أصول النحو و هي غاية تأليفه على ما أثبته ابن جني بقوله " ...وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام و الفقه

"[1]،إضافة إلى الصرف مع ربطه بالنحو ، ومباحث الدلالة ، وفلسفة اللغة و بعض من علم الكلام فنجده محط نظر للباحثين باختلاف توجهاتهم المعرفية وتنوعها ولكل متأمل منهم حظ فيه .

يمكن إعادة ترتيب أبواب الكتاب وفق مستويات البحث اللساني الحديث *

الموضوعات التي تطرق فيها إلى المستوى الفلسفي التاريخي:

| عنوان الباب | موضوع الباب | الجزء |
|---|---|---|
| القول على اللغة وما هي ؟ | أصول اللغة (تعريف اللغة ) | 1 |
| باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح؟ | أصول اللغة (نشأة اللغة ) | 1 |
| هذه اللغة أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط؟ | أصول اللغة (وضع اللغة ) | 2 |
| فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية | أصول اللغة (اللغة و الفكر الديني) | 3 |

الموضوعات المتعلقة بالمستوى الصوتي :

| عنوان الباب | موضوع الباب | الجزء |
|---|---|---|
| تدافع الظاهر | نظام تركيب الأصوات | 2 |
| مضارعة الحروف للحركات و الحركات للحروف | الحروف و الحركات – العلاقة بينهما - | 2 |
| محل الحركات من الحروف أم معها أم قبلها أم بعدها | الحروف و الحركات- العلاقة بينهما- | 2 |
| الساكن و المتحرك | أقسام الصوت( الحروف و الحركات) | 2 |
| كمية الحركات | الحركة ( أنواع الحركات) | 3 |
| مطل الحركات | الحركة – مد الحركة | 3 |
| مطل الحروف | الحروف –بين الصائت و الصامت | 3 |
| حرف اللين المجهول | الحركة (دلالتها ) | 3 |

[1] ابن جني، الخصائص، 1 /34

* تمت الإستفادة من هذا التبويب من الدراسة الموسومة ب: مستويات التحليل اللغوي عند ابن جني ل:دوكوزي ماسيري والتي نشرت في مجلة مجمع دون ذكر العدد، المدينة العالمية ماليزيا ، 2013

الموضوعات المتعلقة بالصرف:

| عنوان الباب | موضوع الباب | الجزء |
|---|---|---|
| الفرق بين البدل و العوض | البدل و العوض | 1 |
| عكس التقدير | تداخل الأحكام | 1 |
| تلاقي اللغة | تداخل الأوزان | 1 |
| تركيب اللغات | تداخل اللغات | 1 |
| تداخل الأصول الثلاثية و الرباعية و الخماسية | تداخل الأصول | 2 |
| المثلين كيف حالهما في الأصلية و الزيادة | أصالة و زيادة الحروف | 2 |
| الأصلان يتقاربان في التركيب بالتقديم و التأخير | القلب المكاني | 2 |
| الحرفان المتقاربان يستعمل أحدهما مكان صاحبه | الإبدال اللغوي | 2 |
| قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة و التلطف لا بالإقدام و التعجرف | الإعلال و الإبدال | 2 |
| اتفاق المصاير على اختلاف المصادر | الاشتقاق الصغير | 2 |
| لإدغام الأصغر | أنواع الإدغام | 2 |
| زيادة الحروف و حذفها | الحذف و الزيادة | 2 |
| زيادة الحرف عوضا من آخر محذوف | التعويض | 2 |
| غلبة الزائد للأصلي | أصالة الحروف و زيادتها | 2 |
| ما لا يكون للأمر وحده يكون له إذا ضام غيره | الإلحاق | 2 |
| أضعف المعتلين | الإعلال و الإبدال | 2 |
| الغرض في مسائل التصريف | غاية علم التصريف | 2 |
| حفظ المراتب | اجتماع إعلالين فأكثر | 3 |
| التغيران يعترضان في المثال الواحد بأيهما يبدأ | اجتماع إعلالين فأكثر | 3 |
| سبب الحكم قد يكون لضده على وجه | التصحيح مع وجود موجب الإعلال | 3 |
| فك الصيغ | الميزان الصرفي | 3 |

| | | |
|---|---|---|
| إنابة الحركة عن الحرف و الحرف عن الحركة | العوض | 3 |
| هجوم الحركات على الحركات | الإعلال و الإبدال | 3 |
| شواذ الهمز | الإعلال و الإبدال | 3 |
| حذف الهمز و إبداله | الإعلال و الإبدال | 3 |
| القول على فوائت الكتاب | الأبنية التي فاتها سيبويه | 3 |
| ذكر الأمثلة الفائتة للكتاب | نقد الكتاب لسيبويه | 3 |

موضوعات النحو و التركيب :

| عنوان الباب | موضوع الباب | الجزء |
|---|---|---|
| القول على الفصل بين الكلام و القول | الفرق بين الكلام –أنواع الكلمة | 1 |
| القول على النحو | مفهوم النحو | 1 |
| القول على الإعراب | مفهوم الإعراب | 1 |
| القول على البناء | مفهوم البناء | 1 |
| ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية | أصول النحو – العلة | 1 |
| القول في الاطراد و الشذوذ | أصول النحو – القياس | 1 |
| تقاود السماع و تقارع الانتزاع | أصول النحو –السماع | 1 |
| مقاييس العربية | أصول النحو –القياس | 1 |
| جواز القياس على ما يقل و رفضه فيما هو أكثر منه | أصول النحو – القياس | 1 |
| تعارض السماع و القياس | أصول النحو – القياس | 1 |
| الاستحسان | أصول النحو – الاستحسان | 1 |
| تخصيص العلل | أصول النحو – العلة | 1 |
| ذكر الفرق بين العلة الموجبة و العلة المجوزة | أصول النحو – أنواع العلة | 1 |
| تعارض العلل | أصول النحو –العلة | 1 |
| العلة إذا لم تتعد لم تصح | أصول النحو – العلة | 1 |
| العلة و علة العلة | أصول النحو – العلة | 1 |
| حكم المعلول بعلتين | أصول النحو – العلة | 1 |
| إدراج العلة و اختصارها | أصول النحو – العلة | 1 |
| في دور الاعتلال | أصول النحو – العلة | 1 |
| الرد على من اعتقد فساد | أصول النحو- دليل العلة | 1 |

| | | |
|---|---|---|
| علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة | | |
| الاعتلال لهم بأفعالهم | أصول النحو- دليل العلة | 1 |
| الاحتجاج بقول المخالف | أصول النحو - الترجيح | 1 |
| القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة | أصول النحو- العلة | 1 |
| الزيادة في صفة العلة لضرب من الاحتياط | أصول النحو – العلة | 1 |
| عد النظير | أصول النحو – عدم النظير | 1 |
| إسقاط الدليل | أصول النحو- الترجيح | 1 |
| في الدور و الوقوف منه على أول رتبة | أصول النحو – القياس | 1 |
| الحمل على أحسن الأقبحين | أصول النحو – القياس | 1 |
| حمل الشيء على الشيء من غير الوجه الذي أعطي الأول ذلك الحكم | أصول النحو – القياس | 1 |
| أن العرب قد أرادت من العلل و الأغراض ما نسبناه إليها و حملناه عليها | أصول النحو – العلة | 1 |
| الحمل على الظاهر و إن أمكن أن يكون المراد غيره | أصول النحو – القياس | 1 |
| في مراتب الأشياء و تنزيلها تقديرا و حكما لا زمنا ووقتا | قاعدة كلية: الأصل و الفرع | 1 |
| الاستغناء بالشيء عن الشيء | قاعدة كلية: الاستغناء | 1 |
| الفرق بين تقدير الإعراب و تفسير المعنى | قاعدة كلية: الحذف و التقدير | 1 |
| المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به | قاعدة كلية: الحذف و التقدير | 1 |
| نقض المراتب إذا عرض هناك عارض | رتبة الفاعل و المفعول | 1 |
| غلبة الفروع على الأصول | أصول النحو – القياس | 1 |
| هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب | قاعدة كلية – الضرورة الشعرية | 1 |

| | | |
|---|---|---|
| أو لا؟ | | |
| الاعتراض | قاعدة كلية – الاغتفار و التوسع | 1 |
| التقديرين المختلفين لمعنيين مختلفين | قاعدة كلية - التقدير | 1 |
| تدريج اللغة | أصول النحو – القياس | 1 |
| ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب | أصول النحو - القياس | 1 |
| الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا | أصول النحو – السماع | 1 |
| فيما يرد عن العربي مخالفا لما عليه الجمهور | أصول النحو –السماع | 1 |
| امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس | قاعدة كلية – الاستغناء- العلاقة بين السماع و القياس | 1 |
| في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر | أصول النحو – السماع | 2 |
| اختلاف اللغات وكلها حجة | أصول النحو – السماع | 2 |
| في العربي الفصيح ينتقل لسانه | أصول النحو – السماع | 2 |
| في العربي يسمع لغة غيره أيراعيها و يعتمدها أم يلغيها و يطرح حكمها | أصول النحو- السماع | 2 |
| في الامتناع من تركيب ما يخرج عن السماع | أصول النحو السماع | 2 |
| في الشيء يسمع من العربي الفصيح لا يسمع من غيره | أصول النحو – السماع | 2 |
| اللغة المأخوذة قياسا | أصول النحو – القياس | 2 |
| في ترافع الأحكام | أصول النحو – تعارض الأحكام | 2 |
| في تعليق الأعلام على المعاني دون الأعيان | المعارف – الأعلام | 2 |
| في الشيء يرد مع نظيره مورده مع نقيضه | قاعدة كلية – المشابهة | 2 |

| | | |
|---|---|---|
| في ورود الوفاق مع وجود الخلاف | قاعدة كلية – الوفاق و الخلاف | 2 |
| في نقض العادة المعتاد المألوف في اللغة | قاعدة كلية – السماع | 2 |
| في التطوع بما لا يلزم | النقد الشعري | 2 |
| في التام يزاد عليه فيعود ناقصا | قاعدة كلية – زيادة المبنى زيادة المعنى و النقصان | 2 |
| في مراجعة الأصل الأقرب دون الأبعد | قاعدة كلية –الأصل و الفرع | 2 |
| في مراجعة أصل و استئناف فرع | قاعدة كلية – الأصل و الفرع | 2 |
| فيما يراجع من الأصول مما لا يراجع | قاعدة كلية – الأصل و الفرع | 2 |
| في مراعاتهم الأصول للضرورة تارة و إهمالهم إياها أخرى | قاعدة كلية – الأصل و الفرع | 2 |
| حمل الأصول على الفروع | قاعدة كلية – الأصل و الفرع | 2 |
| في الحكم يقف بين الحكمين | الإعراب و البناء – علامات الإعراب | 2 |
| في شجاعة العربية | قواعد كلية – الحذف – المشابهة –التضمين | 2 |
| في إقرار الألفاظ على أوضاعها | قاعدة كلية –الأصل و الفرع | 2 |
| في ملاطفة الصنعة | أصول النحو – العلة | 2 |
| في اللفظ يرد محتملا | أصول النحو – الترجيح | 2 |
| فيما يحكم به القياس مما لا يسوغ به النطق | أصول النحو – القياس | 2 |
| في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف | قاعدة كلية – الاستثقال و الخفة | 3 |
| في إقلال الحفل بما يلطف من الحكم | أصول النحو – دليل العلة | 3 |
| في إضافة الاسم إلى المسمى و المسمى إلى الاسم | أنواع المعارف | 3 |
| في اختصاص الأعلام بما | أنواع التعريف | 3 |

| | | |
|---|---|---|
| لا يكون مثله في الأجناس | | |
| في تسمية الفعل | أنواع الكلمة | 3 |
| في اقتضاء الموضع لك لفظا هو معك | الشبيه بالمضاف | 3 |
| في احتمال القلب لظاهر الحكم | أصول النحو –السبر و التقسيم | 3 |
| في أن الحكم للطاريء | أصول النحو – الحكم النحوي | 3 |
| في الشيء يرد فيوجب له القياس حكما ويجوز أن يأتي السماع بضده | أصول النحو –القياس | 3 |
| في الاقتصار في التقسيم على ما يقرب و يحسن لا على ما يبعد و يقبح | أصول النحو – السبر و التقسيم | 3 |
| في خصوص ما يقنع فيه العموم من أحكام صناعة الإعراب | أصول النحو – الخصوص و العموم في الحكم النحوي | 3 |
| في تركيب المذاهب | أصول النحو – الحكم النحوي-الخلاف-الترجيح | 3 |
| في وجوب الجائز | أصول النحو – الأحكام النحوية | 3 |
| في إجراء اللازم مجرى غير اللازم وإجراء غير اللازم مجرى اللازم | التعدي و اللزوم | 3 |
| في إجراء المتصل مجرى المنفصل و إجراء المنفصل مجرى المتصل | أنواع المعارف – الضمائر | 3 |
| في احتمال اللفظ الثقيل ضرورة التمثيل | قاعدة كلية – العدول عن الخفة | 3 |
| في الاحتياط | قاعدة كلية – التبعية | 3 |
| في بقاء الحكم مع زوال العلة | أصول النحو – العلة | 3 |
| في كثرة الثقيل و قلة الخفيف | أصول النحو – الثقل و الخفة | 3 |
| في الجوار | قاعدة كلية – الجوار | 3 |
| في نقض الأصول و إنشاء أصول غيرها | قاعدة كلية –الأصل و الفرع | 3 |

| | | |
|---|---|---|
| في الامتناع من نقض الغرض | قاعدة كلية – العلة | 3 |
| في التراجع عند التناهي | قاعدة كلية – نفي النفي إثبات | 3 |
| في الاستخلاص من الأعلام معاني الأوصاف | أنواع المعارف – العلم | 3 |
| في أغلاط العرب | قاعدة كلية – السماع | 3 |
| في سقطات العلماء | قاعدة كلية – السماع | 3 |
| في صدق النقلة و ثقة الرواة و الحملة | أصول النحو- السماع | 3 |
| في الجمع بين الأضعف و الأقوى في عقد واحد | قاعدة كلية – الحمل على اللفظ و المعنى | 3 |
| في جمع الأشباه من حيث يغمض الاشتباه | قاعدة كلية – المشابهة | 3 |
| في المستحيل و صحة قياس الفروع على فساد الأصول | أصول النحو – القياس | 3 |

موضوعات الدلالة:

| عنوان الباب | موضوع الباب | الجزء |
|---|---|---|
| في اللفظين على المعنى الواحد يردان عن العالم متضادين | التضاد | 1 |
| في الرد على من ادعى على العربي عنايتها بالألفاظ و إغفالها المعاني | علاقة اللفظ بالمعنى | 1 |
| في إصلاح اللفظ | علاقة اللفظ بالمعنى | 1 |
| في اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين في الحركات و الحروف و السكون | المشترك اللفظي | 2 |
| في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول و المباني | الترادف | 2 |
| في الاشتقاق الأكبر | الاشتقاق الأكبر | 2 |
| تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني | الصوت و المعنى | 2 |
| إمساس الألفاظ أشباه | الصوت و المعنى | 2 |

| | | |
|---|---|---|
| المعاني | | |
| مشابهة معاني الإعراب معاني الشعر | دلالة التركيب | 2 |
| في خلع الأدلة | معاني الحروف | 2 |
| في استعمال الحروف بعضها مكان بعض | معاني الحروف | 2 |
| فرق بين الحقيقة و المجاز | دلالة السياق و علاقته بالحقيقة و المجاز | 2 |
| المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة | علاقة السياق بالحقيقة و المجاز | 2 |
| إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد | علاقة السياق بالحقيقة و المجاز | 2 |
| في التجريد | دلالة السياق و المقام و علاقتها بالتجريد | 2 |
| في السلب | السلب | 3 |
| في الدلالة اللفظية و الصناعية و المعنوية | أنواع الدلالة | 3 |
| توجه اللفظ الواحد إلى معنين اثنين | المشترك اللفظي | 3 |
| في الاكتفاء بالسبب من المسبب و بالمسبب من السبب | دلالة السياق و علاقته بالمجاز | 3 |
| في تجاذب المعاني و الإعراب | دلالة التركيب | 3 |
| في التفسير على المعنى دون اللفظ | دلالة السياق و المقام | 3 |
| في قوة اللفظ لقوة المعنى | الصوت و المعنى | 3 |

القرءان الكريم برواية ورش عن نافع

## قائمة المصادر و المراجع:

### أولا- باللغة العربية


1. **ابتهال الزيدي** ،علم الأصوات في كتب معاني القرآن ،دار أسامة ،عمان ،الأردن ،دط،2005.

**إبراهيم أنيس**

2. الأصوات اللغوية،مكتبة الأنجلو مصرية ،مصر ،ط5،1975
3. في اللهجات العربية ،مكتبة الأنجلو مصرية ،دط ،دت

**أحمد المتوكل**

4. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ،دار الهلال العربي ،المغرب ،دط،1993
5. التركيبات الوظيفية ،قضايا ومقاربات ،مكتبة دار الأمان ، الرباط ،المغرب، ط1 ،2005
6. اللسانيات الوظيفية ،مدخل نظري ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بنغازي ،ليبيا ،1987
7. من البنية الحملية إلى البنية المكونية ،الوظيفة المفعول ،دار الثقافة ، الدار البيضاء ،1987
8. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي،الأصول والامتداد ،مكتبة دار الأمان ،الرباط ،المغرب ،ط1، 2006
9. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي،دار الثقافة،الدار البيضاء،المغرب،1986
10. **أحمد حساني** ،مباحث في اللسانيات ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1999
11. **أحمد مختار عمر** ،دراسة الصوت اللغوي
12. **أندري مارتيني** ،وظيفة الألسن وديناميتها،تر:نادر سراج ،المنظمة العربية للترجمة ، بيروت لبنان ،ط 1، 2009
13. **برتراند راسل** ،النظرية العلمية،تر:عثمان نويه،المدى للطباعة والنشر ،سوريا ،ط1،2008

14. **بريجيتيه بارتشيت،** مناهج علم اللغة من هارمان باول حتى نعوم تشومسكي،تر:سعيد حسن بحيري،المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ،مصر ،ط1، 2004،

**تمام حسان**

15. اللغة العربية معناها ومبناها ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،المغرب،دط،1994

16. اللغة بين المعيارية والوصفية ،الدار البيضاء،دار الثقافة،1992

17. مناهج البحث في اللغة ،مكتبة الأنجلو المصرية للنشر ،مصر ،دط،1990

18. **التواتي بن التواتي** ، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي،الجزائر ،ط2

19. التواصل اللغوي،مقاربة لسانية وظيفية،بيروت،لبنان،ط1، 2018

20. **الجاحظ** (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ) ،البيان والتبيين ،تح :عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي،القاهرة ،مصر،ط7، 1998

21. **جان بياجيه** ، البنيوية ،تر:منيمنة،بشير أوبري ،منشورات عويدات ،بيروت ،باريس ،ط4، 1985

22. **جان ماري سشايفر، أوزوالد ديكرو**،القاموس الموسوعي الجديدلعلوم اللسان،تر:منذر العياشي،المركز الثقافي العربي ،المغرب،ط2، 2007

23. **جرهارد هلبش**،تاريخ علم اللغة الحديث ،تر:سعيد حسن البحيري ،مكتبة زهراء ،الشرق ،القاهرة ،مصر ،ط1، 2003.

24. **الجزري (أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف الجزري)**،النشر في القراءات العشر ،تح:محمد علي الضباع ،دار الكتب العلمية ،دط،دت

25. **جفري سامسون** ،مدارس اللسانيات ـالتسابق والتطورـ تر:محمد زياد كبة ،مطابع جامعة الملك سعود ،الرياض ،السعودية ،1994.

**جني (أبو الفتح عثمان ابن جني)**

26. الخصائص،تح: محمد علي النجار ،المكتبة التوقيفية ،القاهرة ،مصر،ط 1، 2015

27. سر صناعة الإعراب ،تح:محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاته عامر،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط 1، 2000

28. **الجيلالي دلاش**،مدخل إلى اللسانيات التداولية ،تر:محمد يحياتن،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،دط،دت

29. **جين إشسين**،مقدمة إلى المقدمات ،تر:عبد الكريم محمد جبل،المركز القومي للترجمة ،ط1، 2016

30. **حافظ إسماعيلي علوي** ،اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ـ دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته ،دار الكتاب الجديدة المتحدة ،ط1، 2009.

31. **حسام البهنساوي**،الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث،مكتبة زهراء ،الشرق، القاهرة،مصر ،ط1، 2005.

32. **رمضان منيسي عبد الله**،الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث،دار النشر للجامعات ، القاهرة ،مصر،ط1، 2006

33. **رومان جاكبسون** ،محاضرات في الصوت والمعنى ،تر:حسن ناظم ،علي حاكم صالح،بيروت ،المركز الثقافي العربي ،1994

34. **روير مارتان**،مدخل لفهم اللسانيات ،تر:عبد القادر المهيري ،المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ، لبنان ،ط1، 2007.

35. **زبير دراقي**،محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،دط،دت

36. **الزواوي بغورة** ،الفلسفة واللغة ،نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ،دار الطلية للطباعة والنشر ،بيروت ،2005

**زين كامل الخويسكي**

37. الأصوات اللغوية ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية،مصر ،دط،2008

38. محتارات صوتية ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،مصر ،دط،2007

39. **سمير شريف استيتيه** ،اللسانيات ،المجال والوظيفة والمنهج ،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،إربد ،الأردن،ط2، 2008

40. **سيبويه (أبو بشرعمرو بن عثمان بن قنبر)**،الكتاب،عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط3، 2006

41. **صابر حباشة** ،اللغة والمعرفة ،رؤية جديدة ،صفحات للدراسة والنشر ،دمشق ،سوريا ط1، 2008

42. **صبري إبراهيم السيد**،تشومسكي وفكره اللغوي وآراء النقاد فيه،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1989

43. **الطيب البكوش** ، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث،المطبعة العربية ،تونس ط1992،3

44. **الطيب دبة**،مبادىء في اللسانيات البنيوية ،دار القصبة ،الجزائر،2001
45. **عادل فاخوري** ، اللسانيات التوليدية التحويلية ،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان،ط1، 1988
46. **عبد الرحمان جلال الدين السيوطي**،المزهر في علوم اللغة و أنواعها ،تح:محمد أحمد جاد المولى وآخرون ،مطبعة عيسى البابي الحلبي ،القاهرة ،دط،دت
47. **عبد الرحمان محمد طعيمة**،البناء العصبي للغة ، دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفانية ،دار كنوز المعرفة ،الأردن ،ط1 ،2017
48. **عبد السلام المسدي** ، التفكير اللساني في الحضارة العربية،الدار العربية للكتاب،ط1986،2
49. **عبد الصبور شاهين** ،في التطور اللغوي ،المطبعة العالمية ،القاهرة ،ط1، 1975

**عبد القادر الفاسي الفهري**

50. اللسانيات واللغة العربية ،نماذج تركيبية ودلالية ،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط3، 1993
51. 51 المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي ،دار توبقال للنشر،ج1،الدار البيضاء،،المغرب ،ط1، 1993
52. **عبد القادر المهيري** ،المدارس اللسانية ،اللسانيات الوظيفية،المعهد القومي لعلوم التربية ،تونس،ط2، 1990
53. **عبد القادر عبد الجليل** ،الأصوات اللغوية ،دار صفاء ،عمان ،الأردن ،ط1، 2010
54. **عبده الراجحي**،،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،مصر،ط2،دت
55. **فاضل مصطفى الساقي**،أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1977
56. **فاطمة الطبال بركة**،النظرية الالسنية عند رومان جاكوبسون،دراسة و نصوص،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع،بيروت،لبنان،ط1، 1993
57. **فرديناند دي سوسير**، علم اللغة العام :تر:يوئيل يوسف عزيز،آفاق عربية ،العراق ،1985

58. **فيليب بلاتشيه**،التداولية من أوستين إلى غوفمان ،تر:صابر لحباشة ،دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية ،سوريا،ط1، 2007

59. **كلاوس هيشت**،القضايا الأساسية في علم اللغة ،تر:سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار ،القاهرة ،ط1، 2007

**كمال بشر**

60. علم الأصوات ، دار غريب للنشر والطباعة ،القاهرة ،مصر ،دط، 2000

61. دور الكلمة في اللغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط12

62. **لويك دوبيكير**،فهم فرديناند دي سوسير وفقا لمخطوطاته ـمفاهيم فكرية في تطور اللسانيات ،تر:ريمة بركة،مراجعة :بسام بركة ،المنظمة العربية للترجمة،دراسات الوحدة العربية ،بيروت لبنان ،ط1، 2015

63. **ماريو باي**،أسس علم اللغة ،تر:أحمد مختار عمر،عالم الكتب ،القاهرة ،مصر:ط8، 1998

64. **مبارك حنون** ، مدخل للسانيات سوسير، دار توبقال ،الدار البيضاء ،المغرب،ط1، 1987

65. **مجمع اللغة العربية** ،المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق الدولية،مصر ،ط4، 2004

66. **محمد التنوجي وراجي الأسمر**،المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات )، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ،ط1، 2001

67. **محمد الحسين مليطان** ،نظرية النحو الوظيفي ،الأسس والنماذج والمفاهيم ،دار الأمان،المغرب،ط 1، 2014.

68. **محمد الرحالي**، تركيب اللغة العربية ،مقاربة نظرية جديدة

69. **محمد يونس**، علي بن غازي ،مدخل إلى اللسانيات ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1،حزيران ،2004

70. **محمود أحمد نحلة** ،علم اللغة النظامي ،ملتقى الفكر،ط2، 2001

71. **مصطفى غلفان**، في اللسانيات العامة ،تاريخها ،طبيعتها موضوعها ،مفاهيمها،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت ،لبنان ،ط1، 2010

72. **منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي )** ، لسان العرب ،دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان ،1956

73. **ميشال زكريا،** الألسنية علم اللغة الحديث، المبادىء والأعلام ،بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط2، 1985

74. **ميلكا إيفيتش،** اتجاهات البحث اللساني،تر:سعد مصلوح،وفاء فايد كامل ،المجلس الأعلى للثقافة،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،ط2، 2000

75. **نعوم تشومسكي** ،المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها،تر:محمد فتيح،دار الفكر العربي ،القاهرة ،مصر،ط1، 1993

76. **نور الهدى لوشن،** مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،المكتبة الجامعية الأزاريطة ،الإسكندرية ،مصر ،دط.

**ثانيا-باللغة الأجنبية**

77. **Andri Martinet** ,Elément de linguistique

78. **David Crystal** , dectionary of linguistics and phonitics ,balckwell publishing,6th edition,2008

79. **Ernst Cassirer** ,in ,structuralism in modern linguistics,:world journalist of the linguistics cercle of new york ;v1,1945

80. **Georges mounin** , dictionnaire de la linguistics,press universitaire de la France,4 e ed,2004

81. **Jacob L . Mey**, Pragmatics-An introduction- Blackwell publishing,2nd edition,2001

82. **Jerrold J . Katz and Paul M.Postal** ,An integrated theory of linguistic descriptions , , Cambridge,MA,MIT press1964,in the Philosophical forum, v34,nov3-4,2003

83. **Leonard Bloonfield**,language,london,USA,1933

84. Mounin,G, Le modèle en linguistique, , encyclopidia universalis,paris,tome IX,2002

85. **N.S Trubetzkoy** ,principles of phonology, translated byChristiane,A .M.Baltaxe,university of California,press,U .S 2nd ed,1971

86. **Noam Chomsky**,aspects of the theory of syntax, the M I T press,1965

87. **Patrick colm** , the cambridge encyclopedia of the language sciences, cambridge university press, 2011

88. principes de linguistique appliqueé, **Enrico Arcaini**,Paris,payot

89. Sociolinguistics,an interview with **William Labov**,Revista,vertual de Estudos da liguagem,Revel,v5,n9, Agosto de 2007,p1,[ www.Revel.INF.br]

**ثالثا- المجلات و الدوريات**

90. **أحمد يحي**، الاتجاه الوظيفي و دوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، الألسنية، وزارة الإعلام الكويتية، ع3، 1989

91. **ر.هـ.روبنز**، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة و الفنون، ع 227،1997

92. **رضا بابا أحمد**، مفهوم النموذج في الدراسة اللسانية الصورية، مجلة قراءات، منشورات كلية الآداب و اللغات، جامعة معسكر، الجزائر.

93. **عبد الرحمن الحاج صالح**، مدخل علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات،مج 2، الجزائر ،ع 1،1972

94. **عبد الله غزلان،** اللسانيات و تعليم اللغة العربية وتعلمها، سلسلة ندوات منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط،رقم 14
95. **عز الدين البوشيخي،** مفهوم النموذج اللساني وشروط بنائه، أعمال اليوم الدراسي :اللسانيات العربية بين النظرية و التطبيق، المغرب، مكناس، 1991
96. **فؤاد زكريا** ،التفكير العلمي، ،مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت ،ع3، 1978
97. **ليلى سهل،**الظواهر الصوتية الوظائفية في اللغة العربية، مجلة الأثر،ع8،ماي 2009
98. **محمد الملاخ،** المقاربة الإبستسمولوجية في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، مجلة تبين للدراسات الفكرية و الثقافية، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، الدوحة،قطر،مج 3، ع 10،2014

**رابعا-الرسائل و الأطروحات الجامعية**

99. **الزايدي بودرامة،**النحو الوظيفي و الدرس اللغوي العربي،دراسة في نحو الجملة، أطروحة دكتوراه دولة تخصص علوم اللسان العربي، إشراف:لخضر بلخير،جامعة باتنة،2014/2013
100. **يحي بعيطيش،** نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة، إشراف: عبد الله بوخلخال ،جامعة منتوري قسنطينة،2006/2005.

# الفـــــــــــهرس

**مقدمة .....ح**

**الفصل الأول: النسق اللساني من وصف البنية إلى نمذجة القدرة التواصلية**

**المبحث الأول:اللغة من التاريخية إلى الوصف**

أولا-ماقبل المقاربة الوصفية ..... 12

ثانيا- المقاربة الوصفية للغة وعملية التنظير للسانيات ..... 17

ثالثا- تجليات فكر سوسير في البحث اللساني ..... 25

**المبحث الثاني: من وصف اللغة إلى تفسير الكفاءة**

أولا- العقلانية/التجريبية ..... 31

ثانيا-الكفاءة/الأداء ..... 34

ثالثا- نحو تفسير الكفاءة اللغوية ..... 36

**المبحث الثالث:نحو نمذجة القدرة التواصلية**

أولا-من كفاءة اللغة إلى إنجاز القدرة التواصلية ..... 43

ثانيا-القدرة التواصلية تجسيد للبعد التداولي..... 45

ثالثا- نمذجة القدرة التواصلية ..... 48

**الفصل الثاني: مسارات الوظيفية في البحث اللساني**

**المبحث الأول: التحول نحو الوظيفية في مقابل الصورية**

أولا-الوظيفة ..... 56

ثانيا- الوظيفية ..... 60

**المبحث الثاني: الوظيفيات البنيوية**

أولا- حلقة براغ..... 68

ثانيا-التفكير الوظيفي عند مارتيني ..... 77

**المبحث الثالث: الوظيفيات التداولية**

أولا-الوجهة الوظيفية للجملة ..... 82
ثانيا-الوظيفية عند فيرث ..... 84
ثالثا- الوظيفية عند هاليداي..... 85
رابعا-نموذج البراغمانتكس ..... 89
خامسا-التركيبات الوظيفية..... 94
سادسا –التركيب الوظيفي..... 95
سابعا-النحو الوظيفي ..... 98

**الفصل الثالث: قضايا الصوتيات الوظيفية في كتاب الخصائص**

**المبحث الأول: نظرية الفونيم و السمات**

أولا- وعي علماء العربية بالبحث الفونولوجي ..... 109
ثانيا- نظرية الفونيم و السمات عند ابن جني ..... 113

**المبحث الثاني: الفونيمات فوق التركيبية**

أولا-النبر..... 119
ثانيا- التنغيم..... 123
ثالثا- الوقف..... 125

**المبحث الثالث:التغيرات الصوتية**

أولا- المماثلة و المخالفة الصوتيتين ..... 129
ثانيا-القلب المكاني..... 136
ثالثا- الإعلال و الإدغام ..... 139

**الفصل الرابع:مباديء التنظير الوظيفي في الخصائص**

**المبحث الأول: وظيفة اللغة هي التواصل**

أولا-مفهوم التواصل..... 145
ثانيا – التواصل اللساني..... 150

ثالثا- التواصل عند علماء العربية القدامى ..... 158

رابعا- فكرة التواصل عند ابن جني ..... 165

**المبحث الثاني: تبعية البنية للوظيفة**

أولا-تبعية البنية للوظيفة مبدأ وظيفي..... 169

ثانيا-تبعية البنية للوظيفة عند علماء العربية القدامى ..... 170

ثالثا- تبعية البنية للوظيفة عند ابن جني ..... 175

**المبحث الثالث: السياق محدد معنوي لوجهة الكلام**

أولا- مكانة السياق في التوجه الوظيفي ..... 180

ثانيا- السياق عند علماء العربية القدامى ..... 181

ثالثا- الدلالة الوظيفية للسياق عند ابن جني ..... 186

**الخاتمة.....192**

**الملاحق**

الملحق الأول- ترجمة ابن جني ..... 196

الملحق الثاني-كتاب الخصائص ..... 204

**قائمة المصادر و المراجع .....221**

**الفـــــهرس .....231**